مسرحيات شكسبير
المجلد الحادى عشر

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية



الليلة الثانية عشرة
و
على هواك



دار المعارف

مسرحيات شكسبير

المجلد الحادى عشر

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

الليلة الثانية عشرة

على هواك



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

الليلة الثانية عشرة

تأليف : ويليام شكسبير

ترجمة : الدكتور مؤنس طه حسين

مراجعة : الدكتور محمد عوض محمد
الدكتورة سهير القلماوى

تقديم : الدكتورة أنجيل بطرس

مقدمة

بقلم : د . أنجيل بطرس سمعان

تمتاز مسرحيات شيكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية مسرحية وعبقرية شعرية معاً ، فقد جمع شيكسبير بين حس درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة بالنفس الإنسانية والسلوك الإنسانى بدرجة من العمق والاتساع جعلت من مسرحياته ، من تراجيديات وكوميديات ، صوراً فنية رائعة للحياة الإنسانية ، حلوها ومرها ، وما يمكن أن تتسم به من قوة ونبل أو ضعف وضعة أو من شجاعة وصمود أو جبن واستسلام ، من غرور أو ثقة بالنفس أو خداع للذات والغير ، وذلك عن طريق مئات الشخصيات التى امتازت بالتنوع والحيوية والصدق ، وتنويعات لا حد لها من الأحداث التى تصور المشاعر الإنسانية ومصائر البشر تصويراً شاعرياً رائعاً كفل لصاحبها الحياة والخلود .

وإذا كانت تراجيديات شيكسبير أكثر شهرة وانتشاراً ، وأكبر قدرة على استثارة جماهير المسرح فى كل العصور ، فقد حققت بعض كوميدياته من الشهرة والنجاح مايكاد يوازى شهرة التراجيديات ، مثال ذلك « حلم ليلة فى منتصف الصيف » و « كماتحب » و « الليلة الثانية عشرة » و « العاصفة » .

أما « الليلة الثانية عشرة » أو « كما تشاء » فيعتبرها معظم النقاد أروع كوميديات شيكسبير وأقربها إلى قلوب المشاهدين . فهى مسرحية فكاهية مهرجانية مليئة بالضحك والمرح والبهجة وهى آخر مسرحياته الرومانسية أو الغرامية كما تسمى أحيانا ، وواحدة من أعمال مرحلته المتوسطة التى كان قد بلغ فيها أوج قدرته المسرحية وإعجازه الشعرى . ولعل موقعها الزمنى بين أعمال شيكسبير يفسر بعض ميزاتها . فهى تتسم بدرجة كبيرة بروح المرح والخفة والفكاهة الصافية التى تميزت بها كوميديات شيكسبير المبكرة بخلاف تلك الكوميديات المتأخرة التى توصف بالكوميديات المرة أو القاتمة ، نظراً لما يشوبها من قتامة ونقد مر مثل « ترويلاس وكريسيدا » و « دقة بدقة » « والعبرة بالخواتيم » . « فالليلة الثانية عشرة » وإن لم تخل من بعض الظلال القاتمة إلا أن الجو السائد هو جو مرح وفكاهة كما سنرى . وهى تتصف أيضاً بالإتقان الفنى الذى حققه الشاعر العظيم فى تلك المرحلة من حياته ، مرحلة النضج اللامع التى مالبثت أن أنتجت التراجيديات الكبرى .

فمن المرجح – اعتماداً على بعض الإشارات إلى أحداث معاصرة فى النص ، مثل الإشارة إلى خريطة العالم التى نشرت عام ١٦٠٠ ، أو ذكر للمسرحية فى

كتابات بعض معاصرى شيكسبير أن «الليلة الثانية عشرة» كتبت فى سنة ١٦٠٠ أو ١٦٠١ وقدمت على المسرح فى السادس من يناير ١٦٠١ أو ١٦٠٢ وذلك فى قاعة من قاعات قصر هوايتهول أحد قصور الملكة اليزابيث وفى حضورها. ويعنى هذا أنها كتبت قبل « هاملت » ، فاتحة تراجيديات شيكسبير العظيمة وأكثرها شهرة ، بحوالى سنة واحدة ، يؤيد ذلك مافى هذه الكوميديا من ظلال قاتمة – كما أشرنا – تبشر ببدء مرحلة التراجيديات . هذا علماً بأن تحديد تاريخ بعض مسرحيات شيكسبير على وجه الدقة يحيطه كثير من العقبات التى لا داعى لتفصيلها هنا والتى تؤدى إلى بعض الاختلاف فى آراء النقاد . إلا أن مثل هذه الخلافات لا تحول دون وجود شبه اتفاق على الإطار الزمنى العام لهذه الأعمال .

ويعتقد بعض النقاد أن الكوميديا كتبت خصيصاً لإحياء الليلة الثانية عشرة من ليالى عيد الميلاد وهى الليلة الأخيرة من احتفالات هذا العيد ، والتى تبدأ فى الخامس والعشرين من ديسمبر ، وتقدم فيها الأعمال المسرحية وعروض « السخرة » أو الحفلات التنكرية ومن هنا اتسمت هذه المسرحية شكلاً وموضوعاً بكثير من سمات بعض الأعمال المسرحية والترفيهية التى تقدم فى هذه الاحتفالات . ويزعم البعض أنها كتبت على عجل ، وتفسير ذلك أنها تحوى بعض الهنات كأن يقال إن بعض أحداث المسرحية حدثت منذ ثلاثة أيام فى موقف وثلاثة أشهر فى موقف آخر مثلاً – مما قد يكون نتيجة لذلك ، أو – وهو احتمال قائم – نتيجة وقوع بعض التحريف فى النص قبل نشره فى صورة معتمدة .

وكما هو الحال فى معظم مسرحيات شيكسبير الأخرى ، استقى موضوع هذه الكوميديا من عدة مصادر ، اختار منها مايخدم غرضه ، وأعاد صياغته . فقد درج شيكسبير على استقاء مواضيع مسرحياته من التاريخ والأساطير والقصص أو المسرحيات المعاصرة ثم إعادة صياغتها بعبقرية فذة وأسلوب مسرحى يتفق ومتطلبات عصره وجمهوره من ناحية ورؤيته الإنسانية من ناحية أخرى . وقد اختار لهذه الكوميديا مادة تتفق والمناسبة التى يقال إنها أعدت لها ، وتعالج موضوع الحب فى إطار من قصص التنكر والشخصيات المغلوطة ، التى تتفق مع كل ماكان يعرض فى الليلة الثانية عشرة من عروض تقلب فيها الأوضاع رأساً على عقب ، فيلعب الخدم أدوار السادة والسادة أدوار الخدم ، إذا ما أقيمت هذه العروض فى القصور ، أما إذا أقيمت فى الجامعات أو مدارس القانون فيلعب الدارسون الأدوار الأساسية ، ويؤدى كبار رجال القانون الأدوار الثانوية . ويناهم كثير من السخرية ممن يصبح بيدهم الأمر فى هذه المناسبات . على أن أهم صفة من صفات هذه العروض هى أن كل شخص يؤدى دوراً غير دوره الحقيقى فى الحياة أو يتنكر فى زى أبعد ما يكون عن زيه المألوف .

أما مصادر **الليلة الثانية عشرة** المعروفة والتى نوجز طرفاً منها هنا [١] ، فهى قصص تنكُّر النساء فى زى الرجال والخلط بين الشخصيات والمواقف الثنائية

(١) لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى :

1 — Geoffrey Bullough, ed. *Narrative and Dramatic Sources of Shakespeare*, Vol. 2. The Comedies (1597 — 1603). 1957.

2 — Kenneth Muir. *Shakespeare's Sources*, Vol. 1, Comedies and Tragedies, 1957.

المألوفة فى **كوميديا الأخطاء** لبلوتوس اليونانى ، وفيما نقل عنها من قصص لاتينى – ترجم وانتشر فى أشكال عديدة وخاصة فى القرن السادس عشر

ويرى النقاد أن أقرب هذه الأعمال لمسرحية شيكسبير هى مسرحية إيطالية بعنوان : El'Ingannati أى «المخدوعون» قدمت على المسرح فى سيينا فى عام ١٥٣١ ، وطبعت فى البندقية فى عام ١٥٣٧ ، وكان لها عدة ترجمات بالفرنسية والأسبانية ، واقتبست منها القصص القصيرة ، بواسطة بانديللو Bandello الإيطالى ، وبيلفوريست Belleforest الفرنسى ، وبارنبى رتش Barnaby Rich الإنجليزى . وقد ضمن الأخير إحدى هذه القصص بعنوان أبولونيوس وسيلا » مجموعة قصص بعنوان «وداعاً إلى المهنة الحربية» نشرت فى عام ١٥٨٦ .

ودارس هذه الأعمال يجد أوجه شبه كثيرة بينها وبين **الليلة الثانية عشرة** كما يجد الكثير من أوجه الاختلاف . أما من الناحية الأولى فتدور جميع هذه الأعمال حول فتاة تتنكر فى زى الرجال كى تبقى قريبة من حبيبها فتعمل خادماً أو تابعاً أو وصيفاً ، ويرسلها هذا إلى سيدة يحبها ، سيدة ثرية جميلة فى جميع الأحوال ، أرملة فى بعضها ، وفتاة فى البعض الآخر ، فتقع هذه فى غرام الرسول الشاب الوسيم الذى يشبه الفتيات فى جماله وعذوبة صوته وهى لا تدرى أنه بالفعل فتاة فى زى فتى . وفى كل من هذه الأعمال أيضاً للفتاة المتخفية أخ توأم يشبهها تمام الشبه ، ويظهر فجأة بعد طول أو قصر غياب فتظنه السيدة العاشقة نفس الشخص وتتعقد الأمور وتكاد تؤدى إلى كارثة نظراً لغيرة الحبيب

الأول وثورته عندما يعلم أن معشوقته قد فضلت عليه رسوله ، ثم تنكشف الحقيقة وتدق الأجراس معلنة النهاية السعيدة المألوفة لمثل هذه القصص والمسرحيات ، إذ يدرك الحبيب الأول مدى حب الفتاة المتخفية له فيتزوجها ويتزوج التوأم السيدة العاشقة . أما من الناحية الثانية ، ناحية أوجه الاختلاف ، فمسرحية « المخدوعين » مليئة بالمواقف المليودرامية وتتسم الأحداث بالعنف والمبالغة والشخصيات بالسطحية وعدم الصدق ، بينما قصة « أبولونيوس وسيلا » أكثر قرباً إلى عالم الواقع نتيجة لإضافة العديد من التفاصيل الدقيقة وبعض اللمسات الإنسانية إلى الأحداث والشخصيات ومن هنا فهى أقرب العملين إلى مسرحية « **الليلة الثانية عشرة** » .

ويشير النقاد إلى كثير من التفاصيل التى يبدو أن شيكسبير نقلها من قصة ريتش ولكنهم يؤكدون أنه ما من شك فى أنه كان يعرف أيضاً مسرحية « المخدوعين » ، التى قدمت على المسرح فى ترجمة لاتينية فى عام ١٥٩٥ ، كما كان يعرف قصص بانديللو وبيلفوريست [1] . ومهما يكن الأمر فالذى يهمنا هو أن شيكسبير قد أعاد صياغة القصة فأخرج لنا شيئاً جديداً نادراً أمتع العديد من المشاهدين طوال عدة قرون . ولعله من الجدير بالذكر أيضاً أن شيكسبير قد نقل عن بعض مسرحياته – كما اعتاد أن يفعل أحياناً ، فشخصية أنطونيو صديق سباستيان أخ البطلة التوأم – شديد الشبه بسميه فى مسرحية تاجر البندقية ،

---

(١) انظر مثلاً مقدمة بنجوين الجديدة :

Introduction to *Twelfth Night* New Penguin Shakespeare, ed M.M. Mahood, 1976.

وسيراندرو ايجيوشيلك صديق سير توبى يكاد يكون نسخة مطابقة لأحد شخصيات كوميديا « سيدات وندسور المرحات » . وكما نقل من أعماله وأعمال غيره فقد أضاف الكثير من عنده ، لا من ناحية الصياغة والأسلوب فحسب بل من ناحية الإطار العام والمضمون الإنسانى للمسرحية .

أما من ناحية الإطار أوالجو العام للمسرحية ، فبالرغم من أنها تقدم عالماً خيالياً – بعيد الصلة بعالم الواقع ، عالماً يسوده الحب الرومانسى والأحداث البعيدة الاحتمال – فإنه يضفى عليه درجة من الواقعية بربط بعض جوانبه بالحياة الواقعية ، حياة الطعام والشراب والمرح وتدبير المقالب ، ثم بالعمل على تبرير بعض مايبدو غير محتمل الحدوث أو بمعنى آخر بتزويده بالتفاصيل الزمنية والمكانية والسببية . كأن يطلق اسم الليريا على مكان الأحداث ، ويذكر تاريخ وفاة والد الليدى أوليفيا ثم وفاة أخيها ، ويضيف الزمن الذى مر منذ بداية اهتمام الدوق بهذه الفاتنة . أما من ناحية المضمون ، فإنه يجعل الأحداث أكثر إنسانية والشخصيات الأساسية أكثر سمواً وجمال خلق .

فى الليلة الثانية عشرة مثلاً تجد الفتاة الجميلة فيولا ذاتها ، بعد أن أنقذها قبطان سفينة من الغرق ، فى بلد غريب دون أهل أو أصدقاء ، بعد أن غرق أخوها التوأم فقررت التنكر فى زى شاب لتحمى ذاتها مما يحيط بها من أخطار ، والعمل لدى أحد كبار المدينة . ولما كان ذلك مستحيلاً لدى الليدى أوليفيا التى أوصدت أبوابها حزناً على موت أخيها ، فإنها تتجه إلى خادم الدوق أورسينو ، وتقع فى حبه فيما بعد ، بعكس فتاة « المخدوعين » أو أوسيلا فى قصة ريتش التى

تسعى وراء عشيق أهلها . كذلك فإن أوليفيا ليست أرملة ولكنها فتاة قررت الاعتكاف بعيداً عن العالم حزناً على زوج سرعان ماتستبدله بغيره بل على أخ شاب عزيز . كما أن سباستيان ، أخ للبطلة فيولا ، ليس شاباً مغامراً مستهتراً كما هو الحال فى العملين السابقين بل شاب نبيل تلجمه المفاجأة حين يجد فتاة جميلة ثرية تعرض عليه الزواج فيفعل ماتمليه عليه غرائزه وشهامته ، ويقبل الزواج شاكراً مشدوهاً . وهكذا يجنب شيكسبير أوليفيا مهانة العلاقة غير الشريفة التى تتردى فيها أو تجبر عليها مثيلتها من قبل ويحفظ للمسرحية جوها الرومانسى النقى ، ولشخصياته براءتها وتلقائيتها .

من الإضافات الهامة أيضاً بالمسرحية شخصية مالفوليو بالشكل الذى يقدمه شيكسبير هنا ويجعل من قصته – وهى فى مجملها قصة لابد أن تكررت بشكل أو بآخر فى كثير من الأعمال التى عرفها – عنصرا هاماً من عناصر بناء المسرحية وإثراء موضوعها الأساسى وهو الحب وما يرتبط به من خداع الذات أو الجنون وهى كلمة تتردد فى الكوميديا بشكل لافت .

أما فستى المضحك الحكيم ، الذى يتنقل عبر المسرحية مؤدياً دور المهرج والجوقة فيؤكد بتعليقاته اللاذعة وأغانيه المرحة التضاد بين الواقع والخيال ، بين ماهو كائن وما يظن أنه كائن ، ويقدم دليلاً آخر على مقدرة شيكسبير الفريدة على الربط بين أجزاء مسرحيته وخلق وحدة عضوية متكاملة .

فإذا ألقينا نظرة سريعة على بناء المسرحية لرأينا أن الحدث الرئيسى أو مايسمى الحبكة الأساسية هو قصة الحب الثنائية التى تدور أحداثها بين قصر

الدوق أورسينو ودار الليدى أوليفيا ، فى جو من الرومانسية والموسيقى والشعر .
ويمثل أورسينو الحب الرومانسى الذى يعبر عنه بتلك الكلمات التى تفتح بها المسرحية والتى خلدها الزمن لفرط جمالها وتعبيرها عن نفسية مثل هذا العاشق ، الذى وصف بأنه يعشق الحب أكثر مما يعشق محبوبته :

إن تكن الموسيقى غذاء الحب فامضوا فى العزف .
أتخمونى منها حتى تبلغ التخمة أقصاها .
فتتضاءل الشهوة إلى الفناء .
أعيدوا هذا اللحن مرة أخرى . فلقد كانت نهايته خافتة .
وانتهى النغم إلى أذنى وكأنه صوت عذب .
مر على حوض من زهر البنفسج .
سارقاً منه عطره ليحمله إلى .

وكأنه يصف هذا النوع من الحب الذى يغذيه الأحلام حين يقول :

إن خيال المحبين لتملؤه الأحلام .
حتى لكأنه حلم عظيم .

فهو يهوى الرقاد على فراش وثير من الزهر ، فأحلام الحب تنام سعيدة فى ظل الخمائل الخضراء ويواصل إرسال رسوله إلى أوليفيا الجميلة التى لا تشاركه حبه ، ولا يثنيه عن ملاحقتها سوى زواجها ممن تظنه رسولا إليها ، وسرعان مايتحول إلى فيولا حين يكتشف أنها فتاة وتذكر كلمات الحب المستترة التى كانت تلقيها عليه .

أما أوليفيا التى آلت على نفسها ألا ترى رجلاً طوال سبع سنوات حزناً على أخيها فما تكاد تقع عيناها على سيزاريو الذى يبثها حب سيده بصوت عذب وكلمات شاعرية حتى تقع صريعة المرض الذى طالما شكا منه غيرها :

ولكن ماذا ؟ أيمكن أن يصاب المرء بالوباء بهذه السرعة ؟
لكأنى أجد كمال هذا الشاب .
ينفذ إلى عينى فى لطف .
لايرى ولا يشعر به [١] .

وهنا نرى وجهاً من وجوه خداع الذات أو التناقض بين الواقع والخيال .
فحين تدرك فيولا أن أوليفيا قد أغرمت بها فى زى سيزاريو تقول :

إنما أنا هو من يحب . فإذا كان الأمر كذلك – وهو كذلك –
فيابؤس هذه السيدة .
لقد كان خيراً لها أن تحب حلماً (ص٣٨)

وفى حديث تالٍ بين أوليفيا وفيولا تتكرر التيمة بهذا الشكل :

أوليفيا : تفضل وأنبئنى برأيك فىّ .
فيولا : رأيى أنك ترين فى نفسك ماليس فيها .
أوليفيا : إن فكرت مثلك فإنى أرى فيك نفس الرأى .
فيولا : وإذن تصيبين . فلست أنا إياى .
أوليفيا : ليتك كنت كما أحب أن تكون .

---

(١) انظر ص ٣٣ فيما يلى . فيما بعد سيذكر رقم الصفحة فى نهاية الفقرة المختارة من النص للتمثيل .

فيولا : أيكون ذلك خيراً ياسيدتى مما أنا .

وددت لو أستجيب لك ، فإنى الآن لست إلا مضحكاً (ص ٧١) .

وبينما يخدع البعض أنفسهم ينخدع البعض نتيجة حيلة التنكر التى يعتمد عليها شيكسبير ويقوم عليها كثير من المواقف المضحكة فى المسرحية ، كما هو الحال فى المشاهد الذى يظهر فيها سباستيان ويظنه الآخرون سيزاريو أو فيولا . ولعل واحدا من أهم هذه المشاهد هو ذلك الذى يلتقى فيه سباستيان بالمضحك فستى وينكر الأول أنه يعرفه أو رآه من قبل ، فيردف المضحك بقوله :

« لعمرى ما أبرعك . لا لست أعرفك . لا لم ترسلنى سيدتى لأدعوك إلى مناجاتها . لا ليس اسمك سيزاريو ، وليس هذا أيضاً أننى لا شىء مما هو كائن بكائن » .

هناك أيضاً كلمات سباستيان حين يتذكر كلمات أوليفيا وما تنم عنه من حب له وما أصابه من حظ ، فتجرى كلمة « الجنون » على لسانه كما تجرى فى مواقف أخرى على لسان أوليفيا والمضحك .

ومما يتصل بالتنكر والشخصيات المغلوطة السخرية المسرحية ويستخدمها شيكسبير فى مثل هذه المواقف ببراعة فائقة .

فإذا انتقلنا من هذا العالم الرومانسى الحالم الشاعرى إلى عالم أكثر قرباً إلى الواقع ، عالم الخبز والخمر والمرح والغناء ، الذى يندمج فيه سيرتوبى ، عم الليدى أوليفيا ، وسيرآندور صديقه وطالب يدها ، وماريا وصيفتها وفابيان أحد

خدمها ، وجدنا نوعاً آخر من الحب والخداع ، يشكل الخط الثامن من الأحداث أو الحبكة الثانوية . فهؤلاء القوم يحيلون الليل نهاراً بعبثهم وضجيجهم ، رائدهم فى ذلك أن الهم عدو للحياة ، إلا أن مالفوليو القيم أو المشرف على دار أوليفيا يقف لهم بالمرصاد . فهو رجل متزمت لا يميل إلى حياة العبث التى يحياها سيرتوبى وجوقته ، ولا يرقى إلى الحياة الرومانسية التى تعيشها سيدته والدوق أورسينو . وهو مع ذلك مغرور محب للذات ، لا يستبعد أن تقع سيدته فى حبه وعلى هذا الوتر من تكوينه السيكولوجى – أو من صراع الذات ، يعزف أعداؤه لحناً يوقعه فى شر أعماله . إذ يوهمونه بحيلة بارعة أن سيدته بالفعل تهواه ، وينصحونه أن يسلك مسلكاً يجعله يبدو أقرب إلى الجنون منه إلى مسلك العاشق ، وعندئذ يسهل عليهم إيهام سيدته بأنه فعلاً مجنون ، ويدعون أن به شيطاناً يحاولون بحيلة أخرى أن يخرجونه منه ، وهكذا يؤدبون الرجل المسكين الذى لا يشاركهم حب الحياة والإقبال على مسارها بصراحة وتلقائية كما هو مألوف أيضاً فى عروض الليلة الثانية عشرة التقليدية .

وهكذا بينما نضحك ملء شدقينا على مالفوليو وهو يقرأ الخطاب المدسوس بما فيه من أصداء لما يدور بخاطره ، وهو يتباهى بملابسه المضحكة التى نصح بها الخطاب ، ويضع على وجهه ابتسامة تجعله من كثرة مابه من خطوط أقرب إلى خريطة العالم الجديدة من أى شىء آخر كما تقول الماكرة ماريا ، لا نملك إلا أن نرثى له فى النهاية عندما يتهم بالجنون ويوضع فى حجرة مظلمة ويسخر منه ، كما ترثى له أوليفيا قائلة :

« وأسفاه أيها المجنون لقد عبثوا بك أيما عبث »

فهنا أحد الظلال القاتمة التي تمر كسحابة صيف في سماء هذه الكوميديا الضاحكة . فبينما تنتهي أحداث الحبكة الرئيسية نهايتها السعيدة بزواج أوليفيا وسباستيان ، وزواج فيولا وأورسينو ، يجد مالفوليو نفسه وحيداً ، يعاني مرارة الخيبة والألم لما أصابه من سخرية وقسوة ولا يجد مايفعله سوى التهديد بالانتقام ، ولكنه دون شك ، يشارك أولئك السعداء قدراً من حظهم ، فكما حقق أورسينو وأوليفيا نوعاً من الحكمة ومعرفة الذات ، بعد الإغراق في الرومانسية وخداع الذات ، لا بد أن طُهِّر مالفوليو ، ولو بقدر من غروره وتعاليه .

وهكذا نرى كيف يقدم شيكسبير الحدث الرئيسي بما يرتبط به من تيمات ، ثم يتبعه بتنويعه له ، تتفق معه في بعض الوجوه ، وتختلف في البعض الآخر . ويعملان معاً على إحداث الأثر المطلوب في نفس المشاهد ، وهو إمتاعه بالضحك والفكاهة من ناحية وإثارة عطفه ورثائه من ناحية أخرى .

ويسهم فستي المضحك في ذلك بقدر غير يسير . فهو يتنقل بين قصر أورسينو ودار أوليفيا وصحبة سير توبي ورفاقه كهمزة الوصل ، يضحك سادته تارة ، ويسخر منهم تارة أخرى ويعين مالفوليو في النهاية على إقناع سيدته بعدم جنونه . ولكنه – أكثر من غيره من المضحكين في مسرح شيكسبير – يضفي مسحة أخرى من الحزن على هذه الكوميديا ، فهو يوصف في البداية بأنه أخذ يشيخ وتبوخ نكاته – وهو الشيخ الوحيد بين شخصيات المسرحية من الشباب – وكأنما يحس

هو ذلك فيعمل على استجداء أكبر قدر من النقود وفكرة مرور الزمن لا تفارقه ، وعلى نغمة النهاية والموت تنتهى أغنيته التى تختم بها المسرحية .

وفستى أحد الشخصيات التى أبدع شيكسبير فى تصويرها فى « **الليلة الثانية عشرة** » . امتدحته فيولا فى فقرة من أجمل فقرات المسرحية وأبلغها ، وأعاره النقاد والدارسون كثيراً من الاهتمام . يشاركه فى ذلك مالفوليو ، تلك الشخصية الفريدة ، المتعددة الجوانب ، التى استحقت أن يطلق اسمها على بعض طبعات المسرحية ، واختلف النقاد والمخرجون فى تفسيرها وأسلوب تقديمها على المسرح . فكان معاصرو شيكسبير يرون فيها شخصية كوميدية مثيرة للضحك والسخرية . بينما أخذ البعض فيما بعد ذلك تأكيد الجانب الآخر للشخصية – جانب المعاناة ، وما تثيره من شفقة وعطف .

وتمتاز الشخصيات فى « الليلة الثانية عشرة » سواء فى ذلك الرئيسية منها أو الثانوية بوجه عام بالتنوع والثراء والصدق والإقناع ، وبالتوافق مع الأحداث والحركة الدرامية ، كما رأينا فى عدد من الأمثلة .

أما ألمع الشخصيات على الإطلاق فهى فيولا بطلة المسرحية وواحدة من أروع شخصيات شيكسبير النسائية . تتعلق بها أنظارنا وقلوبنا من اللحظة الأولى ، فإلى جانب جمالها وذكائها ، فهى تتسم بالشجاعة والإخلاص والواقعية فى عالم مغرق فى الخيال . يؤلمنا مايدور بداخلها من صراع حين تقول مخاطبة أورسينو :

« سأفعل ما أستطيع لأكسب لك حب سيدتك » ثم لنفسها : « ومع ذلك فأى صراع عنيف أن أسعى له فى حب أخرى وأنا أتمنى أن أختص به نفسى ».

ويفرحنا شعورها بالثقة فى الفوز فى النهاية . يقلقنا خوفها من اكتشاف أمرها عندما يدعوها سيرتوبى آندرو ، وتشاركها حيرتها حين يطلب إليها أنطونيورد ما أقرضها من نقود ، ظناً منه أنها سباستيان ، وفرحها حين تدرك أن سباستيان لابد حى لم تلتهمه أمواج البحر كما ظنت . لقد كرمها شيكسبير بأن كتب لها سطوراً من أجمل وأرق ما كتب من شعر ، فهزت بكلماتها مشاعر أوليفيا الباردة وقلب أورسينو وألهبت خياله ، كما ميزها بأن جعلها الوحيدة التى تفوز بمن أحبت منذ البداية ، فهى الوحيدة بين الشخصيات الرئيسية التى لم تَخْدع ذاتها ولم تخدعها المظاهر وإن انخدع بها الآخرون . يشاركها فى بعض صفاتها أخوها سباستيان ، فهما كالثمرة التى شطرت شطرين ، لا شكلا فقط بل خُلقاً ومسلكاً . فكلاهما شجاع جرىء ، صادق العاطفة ، مقبل على الحياة ، قادر على الحب والعطاء .

أما بين الشخصيات الثانوية التى تشكل مجموعة رائعة من الشخصيات الكوميدية المتنوعة فلعل سير توبى – بحبه للطعام والشراب والمرح والحياة – أهمها من ناحية البناء المسرحى فهو نقيض مالفوليو وعدوه الأول – وزواجه من ماريا مكافأة لها على المكيدة التى دبرتها له لأكبر دليل على ذلك . وسير توبى قريب الشبه من أشهر شخصيات شيكسبير الكوميدية إن لم يكن أشهرها ، وهو

فولستاف ، الفارس الأكول الشريب الجبان ، محب الحياة والمرح والفكاهة وكلاهما يؤمن بأن « الهم » عدو الحياة ، ولكن سير توبي يفتقر إلى ثقل فولستاف وثراء شخصيته . .

الدكتورة أنجيل بطرس

شخصيات المسرحية

أورسينو	دوق الليريا [1]	Orcino
سيبستيان	أخوفيولا (توأم)	Sebastian
أنطونيو	قبطان بحرى ، صديق سيبستيان	Antonio
فالنتين	نبيلان من حاشية الدوق	Valentine
كوريو		Curio
سير توبى بلتش	عم أوليفيا	Sir Toby Belch
سير آندرو اجتشيك		Sir Andrew Aguecheek
مالفوليو	قيم على أوليفيا	Malvolio
فابيان	من حاشية أوليفيا	Fabian
فيستيه		Feste
أوليفيا	كونتيسة ثرية	Olivia
فيولا	أخت سيبستيان	Viola
ماريا	وصيفة أوليفيا	Maria

نبلاء - قسيس - بحارة - ضباط - موسيقيون - وخدم آخرون

المنظر : مدينة فى الليريا وساحل البحر قريب منها

(١) الليريا : إقليم جبلى يقع على الساحل الشرقى لبحر الأدريانى وهو الآن جزء من يوغسلافيا وألبانيا .

الفصل الأول

المنظر الأول

جناح فى قصر الدوق

(يدخل الدوق وكوريو ونبلاء آخرون يصحبهم الموسيقيون)

الدوق : إن تكن الموسيقى غذاء الحب فامضوا فى العزف .
أتخمونى منها حتى تبلغ التخمة أقصاها
فتتضاءل الشهوة وتصير إلى الفناء .
أعيدوا هذا اللحن مرة أخرى . فلقد كانت نهايته خافتة .
وانتهى النغم إلى أذنى وكأنه صوت عذب
مر على حوض من زهر البنفسج
سارقاً منه عطره ليحمله إلىّ حسبكم لاتزيدوا
فليس النغم عذباً كما كان من قبل .
أى روح الحب . . ما أكثر تقلبك وما أشد حيويتك
أنت الذى يتلقى كل شىء كالبحر .
غير عابئ بما يمكنه أن يتلقى .

ولكن كل ما يصل إليك يفقد فوراً قيمته
مهما يكن حظه منها .
إن خيال المحبين لتملؤه الأحلام
حتى لكأنه كله حلم عظيم .

كوريو : أتذهب إلى الصيد يامولاى ؟

الدوق : صيد ماذا أى كوريو ؟

كوريو : الظباء

الدوق : هذا ما أنا فيه وهو أشرف ما أطلب .
آه لم تكد عيناى تريان أوليفيا لأول مرة
حتى خيل إلى أنها تطهر الهواء من كل أذى !
وفى تلك اللحظة تحولت أنا إلى ظبى
وجعلت شهواتى كأنها الكلاب القاسية الهائجة تطاردنى
(يدخل فالنتين)
ماذا ؟ ما أنباؤها ؟

فالنتين : عفواً يامولاى لم يتح لى اللقاء
ولكن وصيفتها حملتنى هذا الجواب
إن السماء نفسها لن تستطيع قبل سبعة أصياف
أن ترى وجهها سافراً ولكنها ستظل ملثمة كالراهبة
وستملأ عيناها الحزينتان

غرفتها دموعاً مرة كل يوم .
كل ذلك لتحفظ حب أخيها الذى قضى
ذلك الحب الذى تريد أن تحتفظ به رخصاً خالداً
فى ذاكرتها البائسة .

الدوق إن التى تملك قلباً كهذا القلب
وتمنح أخاً مثل هذا الوفاء
لجديرة أن تحس الحب حين يقتل السهم الذهبى النفيس
كل هذا القطيع من المشاعر التى تحيا فى نفسها
وحين يصبح عقلها وقلبها وكبدها
عروشاً ملكية يشغلها ملك واحد
مسيطر على كل مشاعرها الجميلة .
هلم امض أمامى وقدنى إلى فراش وثير من الزهر
فإن أحلام الحب تنام سعيدة فى ظل الخمائل الخضراء
(يخرجون)

المنظر الثانى

على ساحل البحر

(تدخل فيولا وقبطان وبحارة)

فيولا : ما هذه الأرض أيها الأصدقاء ؟

القبطان : إنها الليريا ياسيدتى .

فيولا : وماذا أصنع فى الليريا

وأخى قد صار إلى الفردوس

لعله لم يدركه الغرق . ماذا ترون أيها البحارة ؟

القبطان : إن الحظ السعيد وحده هو الذى نجاك أنت من الغرق .

فيولا : يا لأخى البائس ! لعل هذا الحظ نفسه أن يكون قد نجاه

القبطان : عسى ياسيدتى . ولكى يطمئن قلبك بشأن الحظ

ألا فاعلمى أنى بعد أن غرقت سفينتنا

ونجوت أنت وهذا العدد اليسير من الرجال

متعلقين بسفينتنا الهائمة رأيت أخاك

الحذر عند الخطر يتعلق بسارية متينة

يتقاذفها الموج ، ويعينه على ذلك ما يمتاز به من شجاعة وأمل

كانا يعلمانه كيف يقوم بما قام به

ورأيته حينئذ
ما أتاحت لى عيناى أن أراه ،
يقاوم الموت كأنه إريون[1] على ظهر الدلفين .

فيولا : أما إذ قلت هذا فإليك هذه القطعة الذهبية ،
إن نجاتى لتبعث فى الأمل
وإن حديثك ليقوى هذا الأمل نفسه بالنسبة إليه .
أتعرف هذا البلد ؟

القبطان : أجل ياسيدتى ، حق المعرفة ، لأنى ولدت ونشأت
على ثلاث ساعات أو أقل من هذا المكان الذى نحن فيه .

فيولا : ومن يحكم هنا ؟

القبطان : دوق عظيم . لايعدل نبل طبيعته إلا شرف اسمه

فيولا : وما اسمه ؟

القبطان : أورسينو .

فيولا : أورسينو ! لقد سمعت أبى يذكر هذا الاسم .
كان فى ذلك الوقت أعزبا .

القبطان : مازال إلى الآن . أو هو قد كان إلى وقت قريب .
فمنذ شهر أبحرت من هنا

---

(١) إريون : شاعر يونانى عاش فى القرن السابع قبل المسيح أدركه الغرق فأنجاه منه درفيل لأنه كان يحب غناءه .

وكان الناس قد أخذوا يتحدثون
بأنه يلتمس حب أوليفيا الحسناء
وأنت تعلمين أن صغار الناس يتحدثون دائماً بشئون كبارهم .

فيولا : ومن تكون ؟...

القبطان : فتاة فاضلة أبوها كونت
توفى منذ قريب من عام
وتركها فى حماية أخ لها
لم يلبث أن توفى بعد قليل . ويقال إنها وقد ملكها حب أخيها ،
قد رفضت لقاء الرجال وعشرتهم

فيولا : آه . وددت لو استطعت خدمة هذه السيدة
مستخفية عن الناس
حتى تسنح لى الفرصة الملائمة
لإظهار نفسى .

القبطان : هذا أمر عسير التحقيق
لأنها لاتقبل أى طلب حتى من الدوق نفسه .

فيولا : إنّ مسلكك ليعجبنى أيها القبطان
ومع أن الطبيعة تخفى أحياناً وراء المظهر الحسن
مخبراً سيئاً فإننى أرى
أن قلبك يلائم خلقك الجميل السمح .

وإنى لأرجو منك أن تخفى حقيقة أمرى
ولك عندى أحسن المكافأة .
أعنّى على تنكر يلائم ما صممت عليه
سأخدم الدوق
وستقدمنى إليه على أنى خصى
فذلك جدير أن ينفعك
لأنى أحسن الغناء
وسأتحدث إليه فى ألوان من الموسيقى
تجعلنى جديرة بخدمته .
أما ما يكون بعد ذلك فإنى أكله إلى الوقت
وأما أنت فلائم بين صمتك وبين مهارتى .

القبطان : كونى خصياً وسأكون خادمك الأخرس ولأفقد البصر إن نطق لسانى بشىء .

فيولا : لك الشكر . قدنى إذن .

(يخرجان)

* * *

المنظر الثالث

دار أوليفيا

(يدخل توبى بلتش وماريا)

سير توبى : ياللشيطان ماذا تريد ابنة أخى حين تذهب بموت أخيها هذا المذهب . إنى لمؤمن بأن الحزن عدو الحياة .

ماريا : لعمرى ، سيرتوبى يجب عليك أن تعود فى ساعة ملائمة قبل أن يتقدم الليل .

إن ابنة أخيك ، سيدتى ، مستاءة تلوم على إبطائك فى العودة .

سير توبى : دعيها تلم قبل أن تلام .

ماريا : حسن ولكن يجب أن تلتزم حدود المألوف .

سير توبى : أن ألتزم ! لا أستطيع أن ألتزم أدق مما أنا ملتزم .

إن هذه الثياب تلائمى حين أشرب . وهذا الحذاء كذلك وإلا فليشنق بشراكه .

ماريا : إن هذا السكر والإدمان جديران أن يتلفاك . لقد سمعت سيدتى تتحدث عن ذلك أمس .

وعن هذا النبيل الذى استصحبته ليبتغى الوسيلة إليها .

سير توبى : من ذلك ؟ سير آندرو أجتشيك ؟ .

ماريا : أجل هو .

سير توبى : ليس فى الليريا كلها فتى فارع القوام مثله .

ماريا : وأى صلة بين هذا وذاك ؟

سير توبى : إن دخله لثلاثة آلاف[1] فى كل عام .

ماريا : ولكنه سيأتى على ماله كله فى عام واحد . فهو مأفون أحمق مبذر .

سير توبى : إليك عنى ماذا تقولين ؟ إنه رجل يعزف على الكمان ويتكلم ثلاث لغات أو أربعاً كلمة بكلمة دون أن يحتاج إلى كتاب ويمتاز بخير ما يمكن أن تهب الطبيعة من مزايا .

ماريا : نعم لقد منحته الطبيعة كل شىء .
فهو على حمقه عربيد ولولا جبنه الذى يلطف ميله إلى العربدة ،
لصار كما يرى العقلاء ، إلى القبر .

سير توبى : قسماً بقبضة يدى إن الذين يقولون هذا ليسوا إلا مجرمين ووشاة نمامين . من هم ؟

ماريا : هم الذين يقولون أيضاً إنه يسكر معك الليل كله .

سير توبى : إنما نشرب على صحة ابنة أخى

---

(١) فى الأصل ثلاثة آلاف دوقة Ducat وهى عملة تساوى فى هذا الزمان ستة شلنات ونصف .

سأشرب على صحتها ما أساغ حلقى شراباً ومادام فى الليريا خمر تشرب . إن الذى لايريد أن يشرب على صحة ابنة أخى حتى يدور رأسه كما يدور «الخذروف» ، ليس إلا جباناً أبله . ولكن ياشاطرة (اصطنعى الجد)[1]

فهذا سير آندرو أجتشيك مقبلا .

(يدخل سير آندرو أجتشيك)

سير آندرو : سير توبى بلتش . كيف حالك سير توبى بلتش .

بسير توبى : عزيزى سير أندرو .

سير آندرو : بارك الله عليك أيتها الوحشية الحسناء .

ماريا : وعليك أيضاً ياسيدى .

سير توبى : بادرها [2] سير آندرو بادرها .

سير آندرو : ماذاك ؟

سير توبى : وصيفة ابنة أخى .

سير آندرو : عزيزتى السيدة بادرها . إنى راغب فى أن أتعرف إليك أكثر من ذلك .

ماريا : إن اسمى مارى ياسيدى .

---

(١) فى الأصل «كاستيليانو فولجو» : لفظ يتكلفه ليظهر علمه باللغات الأجنبية يقصد به اصطنعى الجد .

(٢) فى الأصل . Ausest معناها بادر أو تجرأ إلخ .

سير آندرو : عزيزتى السيدة مارى بادرها !!!

سير توبى : أنت مخطئ أيها النبيل . « بادرها » معناها واجهها استقبلها . تلطف لها . استعطفها .

سير آندرو : لعمرى لا أريد أن أتعرض لها فى هذه الحضرة . أهذا معنى بادرها ؟

ماريا : وداعاً سيدى .

سير توبى : إن تدعها تمضى على هذا النحو سير آندرو
فلا سلت يدك سيفاً .

سير آندرو : إن تمض على هذا النحو ياسيدتى فلا سللت سيفى ما حييت . أتظنين أيتها السيدة الجميلة أن تحت يدك أحمق .

ماريا : كيف ياسيدى وليست يدك تحت يدى .

سير آندرو : لعمرى ستمسينها عما قليل . وإليك يدى .

ماريا : كلا ياسيدى ليس تحت يدى حمق . لذلك أرجو منك أن تحول يدك إلى حيث توجد الدنان لتشرب .

سير آندرو : لماذا أيتها الحبيبة ! لماذا تعرضين ؟

ماريا : إن يدك لجافة ياسيدى .

سير آندرو : أعلم ذلك فلست حماراً إلى هذا الحد . وفى وسعى أن أحتفظ بيدى جافة .
ولكن إلام تريدين بمزاحك ؟

ماريا : إنه مزاح جدب جاف ياسيدى .

سير آندرو : أمليئة أنت بمثل هذا المزاح .. ؟

ماريا : أجل ياسيدى حتى إنه لفى متناول أصابعى . ولكن انظر ، إنى وقد تركت الآن يدك ، أصبحت عقيماً[1] .

(تخرج)

سير توبى : آه أيها النبيل إنك لفى حاجة إلى قدح من نبيذ كناريا[2] ، متى رأيتك ذليلاً لاصقاً بالأرض إلى هذا الحد ؟

سير آندرو : لم ترنى قط كذلك فيما أظن . إلا أن تكون رأيتنى وقد ألصقنى نبيذ كناريا إلى الأرض . يخيل إلىّ أحياناً أن ليس لى من الذكاء إلا ما عند النصرانى أو الرجل العادى ولكنى مسرف فى الأكل من اللحم البقرى وهذا هو الذى يغض من ذكائى .

سير توبى : لاشك فى ذلك .

سير آندرو : لو وثقت أن هذا الطعام هو السبب لكفرت به . سأركب غداً إلى دار سير توبى

سير توبى : « بوركوا »[3] أيها النبيل العزيز .

سير آندرو : ومامعنى « بوركوا » ؟ أمعناها سافر أو لاتسافر ؟ ليتنى أنفقت فى

---

(١) تريد بالعقم أنه لم تبق لديها نكت . والنكتة الجافة هى الرديئة . واليد الجافة كناية عن شخص لا يعشق .

(٢) كناريا : خمر من جزائر كناريا .

(٣) « بوركوا » معناها لماذا وقد استعمل كلمة Pourquoi الفرنسية نصاً وتحذلقاً .

درس اللغات هذا الوقت الذى أضعته فى التمرس بالسلاح وفى الرقص وفى مخاتلة الدببة .
ليتنى عنيت بالفنون .

سير توبى : إذن لكان لك رأس رائع حسن الوفرة .

سير آندرو : ماذا . أكان هذا جديراً أن يجمل وفرتى .

سير توبى : من غير شك . فأنت ترى أنها لاتتجعد بطبعها .

سير آندرو : ولكنها تزرى بى أليس هذا حقاً .

سير توبى : بل هى تلائمك كل الملاءمة فهى تتعلق عليك كما يتعلق الكتان على المغزل .
فلا تيأس من أن ترى ذات يوم ربة منزل وقد جمعت عليك ساقيها لتغزلها .

سير آندرو : لعمرى إنى لعائد إلى دارى من الغد ياسير توبى . إن ابنة أخيك لاتريد أن ترى . وإن أرادت فأنا أراهن أربعة لواحد أنها لن تريدنى . فالدوق نفسه يبتغى الوسائل إليها .

سير توبى : إنها لاتريد الدوق .
لاتريد أن تقترن بمن هو أعلى منها سناً أو منزلة أو عقلاً سمعتها تقسم على ذلك . هلم إن فى هذا شيئاً من أمل أيها الرجل .

سير آندرو : سأقيم شهراً آخر .

فأنا أغرب الناس خلقاً أهيم أحياناً بالمسخرة[١] واللهو هياماً .

سير توبى : أتحسن التبختر أيها النبيل .

سير آندرو : كأى رجل فى الليريا مهما يكن . إلا أن يكون أمهر منى وأنا مع ذلك لا أقرن نفسى إلى ماهر مجرب .

سير توبى : إلى أى حد تتقن الرقص أيها النبيل ؟

سير آندرو : لعمرى إنى لأحسن تقطيع الوثبة .

سير توبى : أما أنا فأحسن تقطيع لحم الضأن

سير آندرو : وأظن أنى أحسن الخطوة إلى الوراء كأى رجل فى الليريا .

سير توبى : لماذا إذن تخفى كل هذه الخبرة ؟

لم تلقى ستراً على كل هذه المواهب ؟ أتراك تشفق عليها من الغبار

كمن يشفق منه على صورة مسترس مول[٢] ؟ لم لا تذهب إلى

الكنيسة راقصاً رقصة الجايرد[٣] ؟ ولم لا تعود إلى دارك راقصاً

الكورانت[٤] ؟ أما أنا فمشيتى هى الجيج[٥] .

فيم تفكر؟ أترانا نعيش فى عالم تخبأ فيه المواهب ؟

---

(١) المسخرة : هى أصل الكلمة الأجنبية Mascarade يراد بها الرقص فى أزياء متنكرة

(٢) Mistress Mall : فتاة اشتهرت بالسرقة والفجور والقيادة .

(٣) Galliard : رقصة قديمة مرحة .

(٤) Caranto : رقصة قديمة فيها بعض الوقار .

(٥) Jig : رقصة قوية غريبة معروفة عند الإنجليز .

لقد قدرت في ثقة حين رأيت حسن تقويم ساقك أنها تكونت تحت نجم الجايرد.

سير آندرو : حقاً إنها قوية وأن منظرها لابأس به في جورب بلون النار. هل لك في أن ننظم بعض اللهو؟

سير توبي : وماذا نستطيع أن نصنع غير هذا. ألم نولد تحت برج الثور؟

سير آندرو : الثور أي الجنوب والقلب.

سير توبي : كلا يا سيدي بل الأسوق والأفخاذ: هلم أرني كيف ترقص متواثباً

(سير آندرو يرقص)

بل أعلى من ذلك. أعلى. أعلى. جيد.

(يخرجان)

المنظر الرابع

قصر الدوق

(يدخل فالنتين ومعه فيولا فى زى رجل)

فالنتين : إن مضى الدوق فى العطف عليك ياسيزاريو فلك أن تطمع فى الرق . إنه لايعرفك إلا منذ ثلاثة أيام . وها أنت ذا لم تعد غريباً بالقياس إليه .

فيولا : أتخشى تغير خلقه أو إهمالى .

حتى تشك فى أنه سيمضى فى عطفه على . أتراه متقلباً فى مودته ياسيدى ؟

فالنتين : كلا صدقنى .

فيولا : شكراً لك . هذا هو الدوق .

(يدخل الدوق ؟وكوريو والحاشية)

الدوق : أيكم يا هؤلاء رأى سيزاريو .

فيولا : فى خدمتك يامولاى . ها أنذا .

الدوق : (للحاشية) دعونا قليلاً . (إلى سيزاريو) سيزاريو .

إنك تعرف كل شيء . لقد نشرت أمامك

كل شيء حتى ما أسر فى كتاب ضميرى

من أجل ذلك يابنى العزيز أرجو أن توجه خطاك إليها
ولا يمنعك أحد من لقائها ، بل أقم على بابها
وقل إن قدميك الثابتتين فى هذا المكان ستغرسان فيه
حتّى يتاح لك اللقاء .

فيولا : من المحقق يامولاى العظيم
أنها وقد أسلمت نفسها إلى الحزن إلى هذا الحد
لن تلقانى .

الدوق : ولخير لك أن تحدث ما استطعت من الضوضاء وتخالف كل
أصول الأدب .
على أن تعود بغير طائل .

فيولا : هبنى استطعت لقاءها يامولاى فماذا عساى أن أقول لها .

الدوق : أظهرها على قوة حبى
افجأها . أدهشها بما تقص عليها من وفائى العزيز لها .
وسيجمل بك أن تصف لها نار حبى
فستتلقى ذلك من شبابك
خيراً مما تلقاه من رسول أعظم منك وقاراً .

فيولا : لا أرى ذلك يامولاى .

الدوق : بل ثق به يابنى العزيز
فستكذب سنك السعيدة كل من يدعوك رجلا

فليست شفة ديانا [1] أحلى من شفتك ولا أشبه منها بالياقوت
وإن صوتك الضئيل الرفيع لأشبه بصوت الفتاة .
وكل شيء فيك يؤهلك أن تتقن دور المرأة .
وإنى لأعلم أن نجمك شديد الملاءمة لهذه المهمة .
وليصحبه منكم أربعة أو خمسة .
بل اصحبوه جميعاً إن شئتم . فإنى أجد الراحة حين يقل رفاقى .
كن موفقاً فى هذا الأمر .
تعش حراً كمولاك .
وتستطيع أن تقاسمه حظه .

فيولا : سأفعل ما أستطيع لأكسب لك حب سيدتك
(لنفسها) ومع ذلك فأى صراع عنيف أسعى له
فى حب سيدة أخرى وأنا أتمنى أن أختص به لنفسى .
(يخرجون)

* * *

(١) ديانا : الاسم اللاتينى للإلهة اليونانية « أرتميس » وكانت تحب الصيد .

المنظر الخامس

دار أوليفيا

(تدخل ماريا والمضحك)

ماريا : إما أن تقول لى أين كنت أو أغلق شفتى عن الاعتذار لك حتى لاتنفذ بينها شعرة . ستشنقك سيدتى جزاء غيبتك .

المضحك : فلتشنقنى فإن من أحبذ شنقه فى هذه الدنيا لايخشى عدواً .

ماريا : أوضح .

المضحك : لن يرى من يخيفه .

ماريا : هذا جواب «مختصر» مفيد . أستطيع أن أنبئك بأصل هذا المثل لا أخاف عدوًّا .

المضحك : أين أرسل المثل وما مصدره أيتها السيدة الكريمة ؟

ماريا : أرسل فى الحرب . ولكيا تستطيع أن تقوله فى شجاعة فى أثناء عبثك .

المضحك : لعمرى إن الله يؤتى الحكمة للحكماء . أما المجانين فعليهم أن يعملوا مداركهم ليصلوا إلى الحكمة .

ماريا : ومع ذلك فستشنق لطول غيبتك أو تطرد . أليس هذا كالشنق بالقياس لك .

المضحك : لكم يقى الشنق المحكم من زواج سيئ . أما الطرد فإن الصيف كفيل بأن يجعلنى أحتمله .

ماريا : فأنت تصمم إذن .

المضحك : لا على هذا ولا على ذلك . ولكنى مصمم على أمرين .

ماريا : بحيث إذا انقطع أحدهما ثبت الآخر . فإذا انقطعا كلاهما سقطت سراويلك .

المضحك : حسن لعمرى حسن جداً . إذن فامض فى طريقك . وإذا أقلع سير توبى عن الشراب فستكونين أمهر وألبق قطعة من جسم حواء توجد فى الليريا .

ماريا : صمتاً أيها الأحمق لاتزد فى هذا الحديث . هذه سيدتى مقبلة . فأحسن الاعتذار عن نفسك . ذلك أجدى عليك .

(تخرج)

المضحك : أيتها الفطنة ألهمينى إن شئت نكتة حسنة . فإن الحكماء الذين يرونك من نصيبهم يتكشف أمرهم عادة عن الجنون . أما أنا المؤمن بأن ليس لى حظ منك فقد يرانى الناس حكيماً . ألم يقل كوينابالوس[١] إن مجنوناً عاقلاً خير من عاقل مجنون .

(تدخل ليدى أوليفيا ومعها مالفوليو)

المضحك : بارك الله عليك ياسيدتى .

أوليفيا : أخرجوا المضحك .

---

(١) كوينا بالوس . اسم مخترع للتضليل

المضحك : ألم تسمعوا أيها الغلمان . أخرجوا السيدة .

أوليفيا : اخرج فإنك مضحك فارغ العقل غبى ، لا أريد أن أراك إنك قد أخذت تفقد الشرف .

المضحك : خطآن يا مولاتى يشفيهما الشراب وحسن النصيحة . فإذا شرب المضحك الفارغ امتلأ ولم يعد فارغاً . وانصحى لمن فقد الشرف ألا يفقده فإن استجاب فإنه سيصبح غير فاقد للشرف وإن لم يستجب فليوكل جلده إلى الإسكاف يرقعه . إن كل شىء مرتق يرتق بالرذيلة . كما أن الرذيلة إذا رتقت رتقت بالفضيلة . وإن استقام القياس للساذج فذلك هو الخير وإلا فأين يكون الدواء . وكما أنه لايعظ حقاً إلا المحن والبلاء فكذلك الجمال يبلى كالزهور . لقد أمرت السيدة بإخراج المجنون . ومن أجل ذلك آمركم بإخراج السيدة .

أوليفيا : سيدى . إنما أنت هو الذى أمرت أنا بإخراجه .

المضحك : خطأ كأعظم ما يكون الخطأ يامولاتى . فإن الزى لاينبىء عن حقيقة من يرتديه . أو إن شئت فإن عقلى ليس مختلف الألوان مضحكاً كلباسى ، مولاتى دعينى أثبت لك أنك أنت المجنونة .

أوليفيا : أتستطيع ذلك ؟

المضحك : بكل مهارة ياسيدتى .

أوليفيا : أقم دليلاً إذن .

المضحك : يجب من أجل ذلك ياسيدتى أن أحاورك . أجيبينى أى فأرة الفضيلة الكريمة .

أوليفيا : حسن ياسيدى . أما وليس لدى تسلية أخرى فلأسمع لحجتك .

المضحك : سيدتى الكريمة فيم حزنك ؟

أوليفيا : أيها المضحك الساذج لموت أخى .

المضحك : أظن أن روحه فى الجحيم يامولاتى .

أوليفيا : أنا أعلم أن روحه نفسه فى الجنة أيها المضحك .

المضحك : فأنت إذن أشد جنوناً ياسيدتى إذ تحزنين لأن روح أخيك فى الجنة . أيها السادة أخرجوا المجنونة .

أوليفيا : ما تقول فى هذا المضحك المأفون يا مالفوليو ؟ أليس خيراً مما كان ؟

مالفوليو : بلى . وسيستمر فى التحسن حتى تأخذه سكرات الموت . فإن وهن الشيخوخة الذى ينهار له العقلاء هو نفسه الذى يصلح من أمر المجانين .

المضحك : فليعجل إليك الله بوهن يصلح من جنونك . إن سير توبى يستطيع أن يقسم على أنى لست ثعلباً ماكراً ، ولكنه لايراهن ببنسين على أنك عاقل .

أوليفيا : بماذا تجيب على ذلك يا مالفوليو ؟

مالفوليو : يدهشنى أن ترتاح سيادتك إلى مثل هذا الأحمق المجدب القريحة .

لقد رأيته منذ أيام وقد قهره مجنون عادى ، ليس أعقل من حجر. انظرى إليه الآن إنه لايحير جواباً فهو مغلق الفم إن لم تضحكى ولم تهيئى له الفرصة للقول . إنى أؤكد أن العقلاء الذين يسحرهم مثل هذا المضحك ليسوا أقل منا حمقاً.

أوليفيا : مالفوليو. إنك مريض بالغرور . فلا تتذوق شيئاً لأنك فاقد الشهية . إن كرم الطبع وسماحة النفس ينظران إلى هذه الأشياء على أنها الحصى الذى يرمى به الطير ، على حين تنظر أنت إليها وكأنها قذائف المدافع . فليس هناك مايهين فى حديث مضحك محترف وإن كان لايفعل شيئاً إلا أن يسخر بالناس ، كما أنه ليس هناك مايهين فى لوم الرجل العاقل حتى ولو لم يكف عن اللوم

المضحك : فليتخذك إله المكر والاحتيال[1] خادماً له جزاء لك على دفاعك عن المضحكين

(تعود ماريا)

ماريا : سيدتى . بالباب شاب نبيل شديد الحرص على أن يتحدث إليك .

أوليفيا : طبعاً من قبل الدوق أورسينو

ماريا : لا أدرى ياسيدتى . إنه شاب جنيل تتبعه حاشية فخمة .

أوليفيا : وأى رجالى يمسكه ؟

---

(١) فى الأصل مركوريس : الاسم اللاتينى للإله اليونانى القديم « هرماس » وكان اليونان يرون أنه يمتاز بالمكر والاحتيال والمهارة .

ماريا : سير توبى قريبك ياسيدتى .

أوليفيا : أبعديه أرجوك . إنه لاينطق إلا حمقا ، لعنه الله .

(تخرج ماريا)

أوليفيا : اذهب أنت يا مالفوليو . فإن كان مقبلاً من قبل الدوق فإنى مريضة أو غائبة عن الدار قل ماشئت لترده .

(يخرج مالفوليو)

أترى ياسيدى إلى أى حد شاخت فكاهتك حتى ضاق بها الناس .

المضحك : لقد تحدثت عنا ياسيدتى كما لو كان ابنك الأكبر مضحكاً وإن يكن الإله الأعظم[1] قد حضا جمجمته مخاً . ولكن هذا أحد أقربائك مقبلاً وأرى أم رأسه خاوية من العقل .

(يدخل سير توبى)

أوليفيا : أقسم بشرفى أنه لنصف سكران . من بالباب يا عم ؟

سير توبى : نبيل .

أوليفيا : نبيل ، أى نبيل ؟ .

سير توبى : نبيل — هو — هنا — بعداً لهذا الرنجة المخللة إذن ماذا أيها السكير .

المضحك : أيها الكريم سير توبى .

أوليفيا : عماه . عماه . كيف استولى عليك السكر مبكراً هكذا ؟

---

(١) فى الأصل جوبيتر : الاسم اللاتينى للإله اليونانى الأكبر « زيوس » وهو عندهم أب الآلهة وكبيرها .

سيرتوبى : الدعابة بعداً لدعابتك . بالباب رجل .

أوليفيا : أجل قد فهمت . ولكن من هو؟

سيرتوبى : ليكن الشيطان إن شاء فهذا لايعنينى . قلت لك صدقينى . على أن هذا عندى سواء .

(يخرج)

أوليفيا : بأى شيء يشبه السكران أيها المضحك .

المضحك : إنه يشبه غريقاً ومضحكاً ومجنوناً . شربة أكثر مما ينبغى تجعله مضحكاً وشربة أخرى تجعله مجنوناً والثالثة تغرقه .

أوليفيا : اذهب بلغ النيابة شرب الثالثة فهو غريق . اذهب واجعل النائب يحجزه عنده . وامنحه عنايتك .

المضحك : إنه لم يعد بعد طور الجنون ياسيدتى . وسيذهب المضحك فيعنى بالمجنون .

(يعود مالفوليو)

مالفوليو : سيدتى هذا الشاب يقسم ليتحدث إليك . قلت له إنك مريضة فزعم أنه يعلم ذلك وأنه جاء ليتحدث إليك فيه . وقلت له إنك نائمة وكأنما هو موقن بذلك أيضاً من قبل فهو مقبل ليتحدث إليك فيه . ماذا أقول له ياسيدتى . يخيل إلى أنه عصى على كل رفض .

أوليفيا : قل له إنه لن يحدثنى.

مالفوليو : ذلك ما قيل له . فأجاب بأنه سيظل قائماً ببابك وكأنه النصب بباب رئيس الشرطة[1] وأنه سيجعل نفسه قائمة من قوائم الدكة التى بالباب أو يتحدث إليك .

أوليفيا : أى نوع من الرجال هو؟

مالفوليو : لعمرى إنه رجل من الناس .

أوليفيا : أى شكل من أشكال الناس ؟

مالفوليو : شكل بغيض جداً . قد أزمع أن يحدثك رضيت أم لم ترضى .

أوليفيا : ماشكله وماسنه ؟

مالفوليو : أصغر من أن يكون رجلاً وأكبر من أن يكون صبياً . كالبقلاء قبل أن تصير حبة . أوكالتفاحة قبل أوان نضجها ، هو كالماء الراكد بين الصبى والرجولة . مظهره جميل جداً يتحدث بصوت لاذع وكأنه حديث عهد بالفطام .

أوليفيا : أدخله إذن وادع وصيفتى .

مالفوليو : أيتها الوصيفة ، إن السيدة تدعوك .

(يخرج – تعود ماريا)

أوليفيا : أعطنى نقابى . أقبلى ألقيه على وجهى . ولنسمع مرة أخرى لسفارة من أورسينو .

(تدخل فيولا والحاشية)

فيولا : أيكما تكون السيدة ربة الدار .

---

(١) كان يوضع عمود بباب رئيس الشرطة ليعرف به .

أوليفيا : تحدث إلى سأجيب عنها . ماذا تريد ؟

فيولا : أيها الحسن المشع المشرق النادر الذى لا نظيرله ، أنبئيى إن كنت ربة الدار . فإنى لم أرها قط فأنا أكره أن أضيع كلامى . فهو على إتقان كتابته قد كلفنى جهداً شديداً فى حفظه ، أى هاتين الفاتنتين لاتعرضانى لازدرائكما فأنا دقيق الحس حتى لأيسر الإساءة .

أوليفيا : من أين أقبلت ياسيدى ؟

فيولا : ليس لى أن أقول أكثر مما تعلمت وهذا السؤال ليس من شأنى . أيتها السيدة الكريمة الرائعة أكدى لى ببساطة ، بكلمة منك أنك أنت ربة البيت لأمضى فى حديثى .

أوليفيا : أتكون ممثل كوميديا ؟

فيولا : كلا ياحبة القلب ومع ذلك فأنا أقسم بأنياب المكر أنى شىء آخر غير ما أمثل . أأنت ربة البيت ؟

أوليفيا : إن لم أكن غاصبة للقبى فأنا هى .

فيولا : وإن تكونى إياها فأنت غاصبة من غير شك . فإن ماحباك به الله لتعطيه قد اغتصبت لنفسك حق منعه عن الناس . ولكن هذا يتجاوز مهمتى . سأمضى فى حديثى مثنياً عليك وبعد ذلك أظهرك على خلاصة رسالتى .

أوليفيا : انته إلى ما يهم منها ، فإنى أعفيك من الثناء .

فيولا : واأسفاه . لقد تكلفت جهداً كثيراً لأحفظه وله جمال الشعر .

أوليفيا : لن يكون إذن إلا متكلفاً. أرجو منك أن تحتفظ به لنفسك ، لقد سمعت أنك تجاوزت طورك على بابى وأذنت بدخولك لا لأسمعك بل لأنى كنت طلعة إلى أن أراك . فإن تكن مجنوناً[1] فعد من حيث أتيت وإن يكن لك حظ من عقل فأوجز فلست مستعدة لأشارك فى حوار غير ذى بال .

ماريا : أتريد أن تنشر شراعك ياسيدى ؟ فمن هنا يكون طريقك .

فيولا : كلا أيها البحار الصغير. لابد لى من أن أرسو أكثر قليلا مما رسوت ، هدئى ماردك الذى يحرسك قليلا أيتها الحلوة .

أوليفيا : أعرب لى عمّا تريد .

فيولا : إنى رسول .

أوليفيا : يجب أن تكون قد حملت رسالة بغيضة . ينبئنى بذلك تلطفك المشفق ، أد رسالتك .

فيولا : إنها مقصورة على أذنك وحدها ، فأنا لا أحمل إعلان الحرب ولا أطلب أداء ضريبة . إنما أمسك بيدى غصن الزيتون وحديثى ملىء بالسلم كما يمتلئ بها العقل السليم .

أوليفيا : ومع ذلك لقد بدأت عنيفاً . من أنت وماذا تريد ؟

فيولا : لقد استنبطت الغلظة التى اضطررت إليها من الطريقة التى استقبلت بها . أما من أكون وماذا أريد فشىء يجب أن يكون سرًّا

(١) فى الأصل إن لم تكن مجنوناً ولكن النص مخلط ويثير نقاشاً لا داعى له فى الترجمة .

كالعذرة . وهو مقدس حين يلقى إلى أذنيك . وممتهن حين يلقى إلى غيرهما .

أوليفيا : دعونا منفردين لنسمع هذه الأشياء المقدسة .

(تخرج ماريا والحاشية)

أوليفيا : والآن ياسيدى ما حقيقة رسالتك بنصها .

فيولا : أيتها السيدة الحلوة جداً ! ! !

أوليفيا : رأى مطمئن يمكن أن يطول حوله الجدل . من أين استقيت هذا النص ؟

فيولا : من أعماق قلب أورسينو .

أوليفيا : من أعماقه . من أى فصل من هذه الأعماق حتى أجيبك على هذا المنهج .

فيولا : لقد استقيته من الفصل الأول من أعماقه .

أوليفيا : لقد قرأته وليس هو إلا إلحاداً . أليس لديك شيء آخر تقوله .

فيولا : سيدتى العزيزة دعينى أنظر إلى وجهك .

أوليفيا : أكلفك سيدك أن تفاوض وجهى ، إنك لتخالف الآن نصك ولكنا سنرفع الستر ونريك الصورة . انظر ياسيدى فهذه هى الصورة التى كانت تكلمك الآن . أليست صنعاً متقناً .

(ترفع نقابها)

فيولا : كأحسن ما يكون الإتقان إن كان الله قد صنعه كله .

أوليفيا : إنه حسن طبيعى يثبت للرياح ولتقلبات الجو .

فيولا : هذا جمال متسق حقاً . إنها الطبيعة .
التى لاءمت بيدها الصناع الحلوة بين هذه الحمرة وهذا البياض .
سيدتى أنت أقسى الأحياء من النساء ،
إن أردت أن تحملى هذا الجمال إلى القبر
دون أن تتركى للعالم منه نسخة .

أوليفيا : سيدى . لن يقسو قلبى إلى هذا الحد . سأوزع نسخاً من فهرست جمالى وسنفصل أجزاؤه ، وسيكون كل جزء منه مثبتاً فى وصيتى شفتان ذواتا حمرة قانية . وكذلك عينان سنجابيتان مع أجفان تلائمها . وكذلك عنق وذقن ، وعلى هذا النحو أأرسلت إلى هنا لتقوّم جمالى ؟

فيولا : إنى لأعرف من أنت . أنت متكبرة مسرفة فى الكبرياء .
ولكنك حسناء وإن كنت الشيطان .
إن مولاى وسيدى يحبك
يحبك حباً لابد أن يكافأ عليه ولو توجت
ملكة للجمال المنقطع النظير .

أوليفيا : وكيف يحبنى ؟

فيولا : حب العبادة تصحبه دموع خصبة
وشكاة ترعد بالهوى وزفرات من نار .

أوليفيا : إن سيدك يعرف ما أزمعت عليه . إنى لا أستطيع أن أحبه .

وأنا أعلم مع ذلك أنه ذو خلق كريم

وأنه شريف وغنى . شاب نقى لاعيب فيه..

وأن الناس جميعاً يثنون عليه وأنه جواد مثقف شجاع

ظريف متسق الخلق والخلق .

وعلى رغم ذلك لا أستطيع أن أحبه

وكان يمكن أن يعرف هذا الرد منذ زمن طويل

فيولا : لو أنى أحببتك حباً مضطرماً كحب سيدى

فيه مثل ما فى حبه من الألم محتملاً حياة هى والموت سواء لما

وجدت تعليلا لرفضك .

ولما فهمت هذا الرفض

أوليفيا : وإذن فماذا كنت تستطيع أن تصنع ؟

فيولا : إذن لبنيت لنفسى كوخاً من الصفصاف عند مدخل دارك

ولكلفت نفسى هذه السجينة فى هذه الدار .

بأن تؤلف الأغانى الوفية حول هذا الحب المهين .

ولنغنيها بأرفع صوت حتى فى أعمق أعماق الليل

ولدويت باسمك إلى أصداء التلال

ولجعلت ثرثرة الهواء تصيح دائماً باسم أوليفيا

ولحرمتك الراحة

على الأرض أو فى الفضاء
حتى ترأف بى وتشفق على

أوليفيا : إنك لتستطيع الكثير ، ما نسبك ؟ .

فيولا : إنه لأكبر من حظى . ومع ذلك فليس حظى سيئاً
فأنا نبيل .

أوليفيا : عد إلى سيدك
وقل له إنى لا أستطيع أن أهواه ، فليكف عن إرسال رسله إلى
إلا أن تعود أنت إلى .
لتنبئنى بأثر هذا الرد فى نفسه ، وداعاً .
ولأشكر لك ما احتملت من جهد تقبل هذا منى .

فيولا : لست رسولا أجيراً ياسيدتى فاحتفظى بمالك
فإن سيدى هو المحتاج إلى المكافأة لا أنا .
ألا فليصنع الحب فى جوف الرجل الذى تحبينه قلباً من الصوان
وأن يلقى هيامك من الازدراء
ما يلقى هيام سيدى ، وداعاً أيتها القسوة البارعة الجمال .
(تخرج فيولا)

أوليفيا : ومانسبك ؟
إنه أكبر من حظى ، ومع ذلك فليس حظى سيئاً
فأنا نبيلة . لقد كنت حرّة أن أقسم على أنك نبيل .

فإن أسلوبك ووجهك وقوامك وحركاتك وعقلك .
لتعطيك الخمس شارات . لا تسرع يا قلب إلى هذا الحد ، رويداً
رويداً ، أيمكن أن يكون السيد هو الخادم؟
ولكن ماذا ؟ أيمكن أن يصاب المرء بالوباء فى هذه السرعة لكأنى
أجد كمال هذا الشاب .
ينفذ إلى عينى فى لطف
لايرى ولا يشعر به . فليكن ذاك .
أى مالفرليو !
(يعود مالفوليو)

مالفوليو : طاعة ياسيدتى وفى خدمتك
أوليفيا : أسرع فى إثر هذا الرسول الوقح
خادم الدوق فقد ترك هذا الخاتم وراءه
على رغمى . قل له إنى أرفض خاتمه
فلا يتقرب بذلك إلى سيده
ولا يبقى على مولاه ببعض الأمل . فلست له
وإذا أراد هذا الشاب أن يأتى هنا غداً
فسأبين له موقفى . أسرع مالفوليو .
مالفوليو : طاعة ياسيدتى
(يخرج)

أوليفيا : لست أدرى ماذا أصنع .

وأخشى أن تكون عيناى قد أسرفتا ، لما أحسنتا من جماله ، فى
أيها القدر أظهر قوتك . فإنا نحن لا نستطيع أن نقضى فى أمورنا ،
إن ما قدر يجب أن يكون فلا بأس .

(تخرج) .

* * *

الفصل الثانى

المنظر الأول

على شاطئ البحر

(يدخل أنطونيو وسيبستيان)

أنطونيو : ألا تريد أن تمكث قليلاً أو أن أصحبك .

سيبستيان : لعمر صبرك لا أستطيع ، فإن نجمى يشرق على فى ظلمة ، وإن نكد طالعى ربما أصاب جدك بسوء . لذلك أتوسل إليك أن تأذن لى فى أن أذهب لأحتمل شقائى وحيداً . فبئس المكافأة لحبك أن أشركك فى بعض هذا الشقاء .

أنطونيو : أنبئنى على أقل تقدير إلى أين أزمعت أن تذهب .

سيبستيان : كلاياسيدى لعمرى . فإن ما أزمعت من السفر لا غاية له . ولكنى أجد فيك شيئاً من الرقة يغريك بأن تستل منى ما أريد أن أخفيه من أجل ذلك يفرض على الخلق الكريم أن أنبئك من أنا . فاعلم إذن يا أنطونيو أن اسمى سيبستيان . وإن انتحلت اسم رودريجو

وكان أبي هو سيبستيان الميساليني[1] ، هذا الذى سمعت عنه من غير شك ، مات عنى وعن أخت لى ولدنا فى نفس الساعة ، توأمين وليتنا متنا معاً ، ولكنك ياسيدى أبيت علينا ذلك فقد غرقت أختى قبل أن تنقذنى من لجج البحر بساعة واحدة .

أنطونيو : واحسرتاه ياله يوماً شقياً .

سيبستيان : كانت تلك الآنسة ياسيدى فيما يقول الناس تشبهنى أشد الشبه . ولكنها على ذلك كانت تعد جميلة . مع أنى لا أستطيع أن أطمئن إلى هذا الإعجاب . فأنا أستطيع أن أقول لك عنها فى جرأة ، إنها كانت ذات عقل يعترف الحاسد نفسه بجماله إنها الآن غريق فى الماء الملح ، وأنا كذلك أغرق ذكراها فى دمع ملح أغزر منه .

أنطونيو : اغفر لى ياسيدى إنى لم أحسن معاملتك كما ينبغى .

سيبستيان : بل أنا أيها الكريم أنطونيو معتذر إليك لكثرة ما أشق عليك .

أنطونيو : إن لم ترد أن تقتلنى جزاء لحبى فاتخذنى لك خادماً .

سيبستيان : وأنت إن لم ترد تضييع ما صنعت فتقتل من أنجيته من الموت فأعرض عن هذا وداعاً وفى الحال . إن قلبى ليملؤه الحنان ولم أزل شديد التأثر بضعف أمى حتى إن أيسر الأسباب لينطق عينى بأكثر مما ينبغى . سأمضى إلى قصر أورسينو وداعاً .

(يخرج سيبستيان)

---

(١) ميسالين : مدينة خيالية ابتكرها شيكسبير.

أنطونيو : صحبتك الآلهة جميعاً .

إن لى فى قصر أورسينو أعداء كثيرين
ولولا ذلك لكان لقائى لك فيه قريباً .
ولكن ليكن ما يكون إن حبى لك لشديد
حتى إنه ليجعل خطر التعرض للأعداء رياضة مسلية . فلأذهبن
إلى هذا القصر .

(يخرج)

المنظر الثانى

شارع

(تدخل فيولا يتبعها مالفوليو)

مالفوليو : ألم تكن آنفاً عند الكونتيسة أوليفيا ؟

فيولا : بلى. كنت هناك آنفاً ياسيدى ومضيت من عندها متمهلاً حتّى بلغت الآن هذا المكان .

مالفوليو : إنها ترد إليك هذا الخاتم ياسيدى . وكنت جديراً أن تعفينى من هذا العناء لو أخذته بنفسك وقد أمرتنى أن أضيف إلى ماقلت لك أنك تستطيع أن تؤكد لسيدك اليأس من أن تكون له آخر الدهر وشىء آخر أيضاً . هو ألا تجرؤ بحال من الأحوال على أن تعنى بأمره إلى أن تنبئها بحال سيدك حين يتلقّى ردها وتقبل هذا .

فيولا : لقد قبلت منى هذا الخاتم فلا أرب لى فيه .

مالفوليو : إليك ياسيدى لقد ألقيته اليها فى قحة وهى تريد أن يرد إليك على هذا النحو (يلقى الخاتم على الأرض) فإذا كان له من القيمة ما يغرى بالتقاطه فليلتقط . فهاهو ذاتحت عينيك وإلا فليأخذه من يجده . (يخرج)

فيولا : لم أترك لها خاتماً ما ، ماذا تعنى هذه السيدة ؟ .

معاذ الله أن يكون مظهرى قد خلبها . لقد أطالت النظر إلىّ .
أطالته حتى خيل إلى
أن عينيها أضاءتا لسانها . فقد تكلمت ذاهلة وكان كلامها متقطعاً
ذاهلاً .
إنها لتحبنى بلا ريب
وحذق عاطفتها جعلها تدعونى الرسول السمج .
لقد رفضت خاتم سيدى
ولكنه لم يرسل اليها خاتما ما .
إنما أنا هو من تحب . فإذا كان الأمر كذلك – وهو كذلك –
فيابؤس هذه السيدة .
لقد كان خيراً لها أن تحب حلماً .
أيها التنكر إنى لأراك شيئاً بغيضاً
يتيح للشيطان الماكر أن يفوز علينا
ما أيسر أن يطبع رجل مزيف رائع المظهر
صورته على قلوب النساء السريعة التأثر كالشمع
واأسفاه . إنما ضعفنا هو مصدر ذلك لا نحن .
إننا لنخضع لحكم المادة التى منها قد خلقنا
إلام ينتهى هذا الأمر؟ إن سيدى ليحبها فى حنان .
وأنا المسخ البائس أحبه هو حباً فى مثل هذا الحنان .

وهى . وقد سيطر عليها الخداع مجنونة بحبى
فما عسى أن ينشأ عن ذلك ؟ وحيث إنى رجل
فليس لى إلا اليأس من حب سيدى .
وحيث إنى امرأة فياللأسى
أى زفرات جامحة سترسلها البائسة أوليفيا
أيها الدهر إليك أنت حل هذه المشكلة لا إلىّ
إنها عقدة أعسر من أن أستطيع أنا لها حلا .
(تخرج)

المنظر الثالث

دار أوليفيا

(يدخل سيرتوبى وسير آندرو)

سير توبى : ادنو سير آندرو . من لا يأوى إلى مضجعه بعد منتصف الليل فقد استيقظ مبكراً . والمثل يقول : « الاستيقاظ فى البكرة »[1] وأنت تعلم آخره .

سير آندرو : لا لعمرى ، لا أدرى . ولكنى أعلم أن من استيقظ متأخراً فقد نام متأخراً .

سير توبى : نتيجة خاطئة أبغضها كما أبغض قدحاً فارغاً ، أن تكون يقظاً بعد منتصف الليل ثم تأوى إلى مضجعك معناه أنك تنام مبكراً ، وإذن فالذهاب إلى المضجع بعد منتصف الليل معناه النوم مبكراً أليست حياتنا مؤلفة من العناصر الأربعة .

سير آندرو : لعمرى هذا ما يقال ويظهر لى أنها تأتلف على الأصح من الأكل والشرب .

سير توبى : ربما أنت صاحب علم فلنأكل ولنشرب إذن أى ماريا باطية

---

(١) « مثل من أمثلة النحو اللاتينى فى الكتب الشائعة أيام الشاعر ومعناه : الاستيقاظ فى البكرة نافع للصحة » .

مباركة من النبيذ .

(يدخل المضحك)

سير آندرو : لعمرى هذا المضحك مقبلا .

المضحك : إذن ياحبيبى القلب ألم تريا اللافتة «وأنت ثالثنا»[١]

سير توبى : خير مقدم أيها الحمار . والآن هات أغنية دارجة .

سير آندرو : لعمرى إن للمضحك صوتاً قوياً . إنى لأنزل عن أربعين شلناً لأملك ساقاً وصوتاً كساق المضحك وصوته حقاً لقد كنت رائق الجنون الليلة الماضية حين كنت تتحدث عن بيجروجروميتوس[٢] وعن الفابيان[٢] حين يعبرون خط الاعتدال الكوبى . كان ذلك فى الحق شيئاً جميلاً . وقد أرسلت إليك ستة بنسات من أجل صاحبتك . هل تلقيتها .

المضحك : لقد تلقى جيبى منحتك أحسن لقاء . فإن أنف مالفوليو ليس سوطاً وإن شم رائحة الريبة ، ولأن يد سيدتى بيضاء ولأن الميروميدون[٣] ليست مشرباً للجعة .

---

(١) كان يرسم على واجهة الحانات إذ ذاك مضحكان أو حماران ويكتب تحتها «وأنت ثالثنا» على سبيل الترحيب برواد الحانة .

(٢ ، ٢) أسماء لعب بها ولا تدل على شىء .

(٣) الميرويدون Myromidons هم القوم الذين قادهم آخيل فى حرب طروادة فإذا استعمل الاسم غير علمه فإنه يدل على موظف أوضابط قضائى أو يدل على مركز مزاولة العمل بالنسبة للضابط القضائى . أو دور العدل والقضاء .

سير آندرو : حسناً جداً . فقد جئت أخيراً بخير مايضحك أما الآن فهات أغنية .

سير توبى : هاك ستة بنسات وغن لنا أغنية .

سير آندرو : وخذ أيضاً هذا النقد فإذا أعطى نبيل نقداً ...

المضحك : أتريدان أغنية حب أو أغنية وعظ وجد ؟

سير توبى . أغنية حب . أغنية حب .

سير آندرو : أجل . أجل . فإن حياة الجد لاتعنينى .

المضحك : (يغنى) أى حبيبتى أين تهيمين .

قفى واسمعى ، هذا حبك المخلص مقبلا

يستطيع أن يغنيك سراً وجهراً

حسبك عدواً ياحبيبتى الحلوة

إنما ينتهى الرحيل بلقاء الأحباء

وذلك مايعرفه كل أبناء العقلاء .

سير آندرو : حسن جداً لعمرى .

سير توبى : حسن . حسن .

المضحك : (يغنى) ما الحب : إنه ليس ماسيأتى غداً

إن نعيم الساعة يغرى بالسرور الآن

وكل مستقبل غيب لاثقة به .

والتأجيل طمعاً فى المزيد لايورث إلا الخيبة

فتعالى قبليني قبلات حلوة عديدة[١]
فإن الشباب شيء لايدوم .

سيرآندرو : صوت يسيل كما يسيل العسل . وشريف نسى
سير توبى : حرارة فى التعبير مؤثرة .
سير آندرو : حلو جداً . ومؤثر جداً لعمرى .
سير توبى : إذا أحست الأنوف حرارة نفسه استمرأت عدواه .
ومارأيك فى أن نرقص السحاب ؟ وفى أن نوقف بومة الليل
بصوت يستطيع أن يختلص من العابد[٢] نفوسه الثلاث ؟
أنفعل ؟

سير آندرو : فلنفعل إن كنت تحبنى إنما أنا أشبه شيء بالكلب إذا ذكر الغناء .
سير توبى : لعمر العذراء ياسيدى . وإن بعض الكلاب ليحسن الغناء .
سير آندرو : ليس فى ذلك شك . هلم فلنغن «أيها الوغد» .
المضحك : «أيها الوغد أمسك عليك لسانك» .
(للسير آندرو) أيها النبيل سأضطر أثناء الغناء إلى أن أدعوك .

---

(١) فى الأصل عشرين لمجرد التزييد .

(٢) فى الأصل Weavers فئة من رجال الدين كانت مضطهدة فى البلاد الشمالية من الدوق آلفاً Alva فهاجرت وكانت مشهورة بغناء التراتيل الدينية فى تجوالها غناء ممتازاً ، أما النفوس الثلاث فهى إشارة إلى فكرة أرسطو المنتشرة إذ ذاك من أن النفس البشرية تضم النفس الحيوانية والنفس النباتية والنفس الفكرية .

وغدا[1]

سير آندرو : لن تكون هذه أول مرة أغرى فيها الناس بأن يدعونى وغدا . خذ فى غنائك أيها المضحك . إن الأغنية تبدأ على هذا النحو . « أمسك عليك لسانك » .

المضحك : لن أبدأ الغناء أبدا إن أمسكت على لسانى .

سير آندرو : جميل جداً لعمرى . هلم خذ فى الغناء .

(يغنون) – (تدخل ماريا)

ماريا : ماموراء السنانير هذا الذى تصنعونه ؟ إن لم تكن سيدتى قد دعت قيمها مالفوليو لتأمره بأن يلقيكم خارج الدار فلا تصدقوا لى قولا .

سير توبى : إن السيدة لترثارة . أما نحن فساسة وأما مالفوليو فلعبة ، أما نحن « فثلاثة مرحون » ألست قريبها ، ألست من دمها ، سخف ياسيدى (يغنى) « كان رجل يعيش فى بابل سيدتى ، سيدتى » .

المضحك : سحقاً لى إن النبيل ليحسن تمثيل المضحك .

سير آندرو : أجل ليس به بأس فى هذا التمثيل حين يتهيأ له . وأنا كذلك إنه أرشق منى ولكنى أدنى منه إلى الطبيعة .

---

(١) طريقة الغناء جماعة منها ان ينفرد كل منهم بدوره ليوجه الغناء إلى الآخر فيأخذ منه اللحن ليسلمه إلى آخر وهكذا « طريقة شعبية » ومن هنا سيوجه المضحك القول إلى سير آندرو ويقول له « أيها الوغد » كلام الأغنية .

سير توبى : (يغنى) «ياالليوم الثانى عشر من ديسمبر»

ماريا : ناشدتكم الله إلا سكتم !

(يدخل مالفوليو)

مالفوليو : أى سادتى أجننتم أم ماذا ؟ أفقدتم العقل والأدب واللياقة لتصخبوا فى مثل هذه الساعة من الليل على هذا النحو كما يصنع مبيضو النحاس ! أتظنون دار سيدتى حانة لتصخبوا فيها بغنائكم كالحذائين دون أن ترفق أصواتكم بالغير أدباً أوحياء ! ألا توقرون المكان أو أهله ، أو لاتلائمون بين عملكم والساعة التى نحن فيها !

سير توبى : أما الملاءمة فإنا نصطنعها فى غنائنا . اغرب بوجهك عنا إلى حيث تشنق .

مالفوليو : سير توبى سأصطنع الصراحة معك . إن سيدتى أمرتنى أن أبلغك أنها تضيفك لأنك قريبها ولكنها ليست مستعدة لأن تستضيف اضطرابك واختلاطك بحال من الأحوال ، فإن استطعت أن تقلع عن سوء سيرتك فأقم على الرحب والسعة .

وإلا فإن راقك أن تستأذنها فى الرحيل فإنها تودعك مسرورة .

سير توبى : (يغنى) «وداعاً أيها القلب العزيز مادمت مضطراً إلى الرحيل»[1] .

---

(١) هذا البيت وكل مايغنى بعده من أبيات على ألسنتهم جميعاً أبيات من قصيدة واحدة قديمة معروفة .

ماريا : كلا أيها الكريم سير توبى .

المضحك : (يغنى) «إن عينيه لتنبئان بأن آخرته حانت» .

مالفوليو : أهذا ممكن ؟

سير توبى : (يغنى) «ولكنى لن أموت أبداً» .

المضحك : سيرتوبى أما الآن فأنت كاذب .

مالفوليو : وهذا يشرفك كثيراً .

سير توبى : (يغنى) «أآمره بالانصراف ؟»

المضحك : (يغنى) «وماذا إن فعلت ؟»

سير توبى : (يغنى) «أأقول له انصرف دون أن أرحمه ؟»

المضحك : (يغنى) «آه . لا . لا . لا . لا . لن تستطيع ذلك» .

سير توبى : (لمالفوليو) – منحرفاً عن النغم ياسيدى إنك تكذب . وهل أنت إلا رئيس الخدم ، أتظن أن اتصافك بالفضيلة يمنع وجود الكعك والجعة .

المضحك : أجل لعمر القديسة آن وسيدفئ الزنجبيل أفواهنا .

سير توبى : إنك لعلى الحق . هلم ياسيدى نظف سلسلتك بلباب الخبز[1] أى مارى ، زقاً من النبيذ .

مالفوليو : أيتها السيدة مارى إن كنت تؤثرين رضى سيدتى عنك فلا تعينيهم

---

(١) كان مدبر البيت أو رئيس الخدم يحمل سلسلة تميزه عن سائر صغار الخدم .

على هذا الاستهتار . فلعمر قبضة يدى هذه لتعلمن السيدة كل شىء .

(يخرج)

ماريا : اذهب فانفض أذنيك .

سير آندرو : لودعوته إلى المبارزة ثم أخلفت موعده ليصبح بذلك سخرية ، لكانت لعبة يروق لى أن أقوم بها كما يروقنى الشراب حين أعطش .

سير توبى : فافعل ذلك أيها النبيل . وأنا أكتب له بطاقة الدعوة إلى المبارزة أو أعرب له شفاهاً عن غضبك .

ماريا : أيها الظريف سير توبى . اصبر هذه الليلة فمنذ لقى تابع الدوق سيدتى أخذها شىء من الاضطراب . أما سيدنا مالفوليو فدعه لى فإذا لم أخدعه فى لمح البصر ولم أجعله سخرية للناس جميعاً فثقوا بأنى لا أحسن أن آوى إلى سريرى .

وأنا أعلم أنى أستطيع أن أجعله هُزَأة .

سير توبى : أنبئينا ماذا تعلمين من أمره .

ماريا : لعمرى ياسيدى إنى لأعلم أنه أحياناً صادق الإيمان .

سير آندرو : لو وثقت بذلك لضربته ضرب الكلب .

سير توبى : لماذا لأنه صادق الإيمان . ماحجتك الرائعة أيها النبيل العزيز ؟

سير آندرو : ليست لدى علة رائعة فى ذلك ، ولكن لدى علة لابأس بها

ماريا : لعمر الشيطان ما أعلم أنه يثبت على صدق الإيمان أو على شىء

آخر . إنما هو قُلّب حسب الظروف . هو حمار متكلف يثرثر عن ظهر قلب فى السياسة ويصب أحاديثه فى المناسبات الفخمة كما تصب القرب . شديد الإعجاب بنفسه شديد الرضى عما يقول . حتى إنه ليظن أن أحداً لايستطيع أن يراه إلا أحبه . وبهذه الرذيلة سيبلغ منه انتقامى ما يشاء .

سير توبى : ماذا تريدين أن تصنعى ؟

ماريا : سألقى فى طريقه بعض رسائل الحب الغامضة رسائل يعرف فيها لون لحيته وشكل ساقه وهيئة مشيته وتعبير عينيه ويرى فيها جبهته ولونه فلا يشك فى أنه يرى نفسه كما هى على حقيقتها وأنا أستطيع أن أقلد خط سيدتى بنت أخيك . حتى إنه إذا نسينا موضوعاً ما كتبته إحدانا لم نستطع أن نميز بين خطينا .

سير توبى : رائع . إنى لأحس مكراً مدبراً .

سير آندرو : وأشمه أنا أيضاً .

سير توبى : سيعتقد أن هذه الرسائل التى ستلقيها فى طريقه قد صدرت عن ابنة أخى وأنها له محبة .

ماريا : إنى لأسرج فرساً من هذا اللون[١]

سير آندرو : وسيجعله فرسك هذا حماراً .

ماريا : حماراً من غير شك .

---

(١) فى الأصل إنى لأسرج فرساً من هذا اللون والمعنى أدبر أمراً من هذا النوع .

سير آندرو : سيكون هذا عظيماً .

ماريا : ستكون لعبة ملكية ممتازة ، ثقوا بذلك . إنى واثقة أن دوائى سيشفيه ، سأرصدكما وسيكون المضحك ثالثكما فى المكان الذى سيجد فيه الكتاب . فلاحظوا جيداً كيف يكون موقع ذلك من نفسه . أما الليلة فإلى مضاجعنا ولنحلم بهذا الحدث الخطير وداعاً .

(تخرج)

سير توبى : طابت ليلتك أيتها الفارسة بنثيسيليا[1] .

سير آندرو : لعمرى إنها لامرأة عظيمة .

سير توبى : إنها المهر كريم النسب وإنها لتعبدنى ولكن ماذا فى هذا ؟

سير آندرو : وأنا أيضا قد عبدنى بعض الناس مرة .

سير توبى : هلم فلننم أيها النبيل العزيز . يجب أن ترسل فى طلب المزيد من المال .

سير آندرو : إن لم أكسب ابنة أخيك فإنى فى مأزق .

سير توبى : أرسل فى طلب المال أيها النبيل العزيز . وإن لم تصر ابنة أخى إليك آخر الأمر فقل إنى أحمق .

سير آندرو : إن لم أفعل فلا تثق بى آخر الدهر . وظن بى ماشئت

---

(١) بنثيسليا : ملكة الأوانس الفوارس « بالأمازون » .

سير توبى : هلم . سأسخن لنفسى بعض النبيذ فقد فات أوان النوم هلم أيها النبيل . هلم أيها النبيل .

(يخرجان)

المنظر الرابع

قصر الدوق

(يدخل الدوق وفيولا وكوريو وآخرون)

الدوق : شيئاً من الموسيقى . والآن نعم غدكم أيها الأصدقاء .
والآن أيها العزيز سيزاريو أحب أن أسمع
هذه الآنية القديمة التى بعد بها العهد والتى سمعناها الليلة الماضية .
يخيل إلى أنها كانت تهدئ جداً ما أجد من شعور ،
أكثر من الألحان الفارغة والألفاظ المتكلفة ،
التى تغنى فى هذه الأيام ، خفيفة تمضى فى غير رزانة .
هلم مقطوعة واحدة فحسب .

كوريو : عفواً يامولاى . إن الذى يستطيع أن يغنى هذه الأغنية ليس هنا .

الدوق : من هو ؟

كوريو : هو المضحك فيست يامولاى .
المضحك الذى كان يرفه جداً على والد السيدة أوليفيا .
إنه يهيم فى الدار .

الدوق : فليلتمس وليعزف إلى اللحن حتى يجىء
(يخرج كوريو) — (موسيقى)

ادن منى يافتى ! إن قدر لك يوماً أن تحب
فاذكرنى حين تجد العذاب الحلو عذاب الحب
فإنى ، شأن المحبين الصادقين ،
أجد القلق والتقلب فى كل أهوائى وأخلاقى
إلا حين يتصل الأمر بصورة هذا المحبوب .
كيف تجد هذا اللحن ؟

فيولا : إن عرش الحب لايستطيع إلا أن يبدد صداه .

الدوق : إنك لتتحدث حديث العارف .
لعمرى لقد وقعت عينك على صورة أحببتها
مع أنك لاتزال حدثاً .
أليس هذا حقاً يابنى ؟

فيولا : يوشك ذلك أن يكونه يامولاى .

الدوق : أى نوع من الحسان هى ؟

فيولا : إنها تشبهك فى المظهر .

الدوق : إذن فهى لاتليق بك . ماعسى أن تكون سنها .

فيولا : نحو سنك يامولاى .

الدوق : كبيرة جداً وحق السماء . يجب دائماً أن تؤثر المرأة ،
رجلا أسن منها . ذلك أدنى أن تلائمه
وأن تجد مكانها فى قلبه .

فماذا يغنى عنا يابنى أن نتملق أنفسنا
فإن أهواءنا أشد تقلباً وأقل ثباتاً .
وأكثر تحرقاً وتذبذباً وأسرع تنقلا بين الإقبال والإعراض من المرأة .

فيولا : هذا حق يامولاى .

الدوق : إذن فلتكن حبيبتك أصغر منك سناً .
وإلا أعوزك الوفاء لها .
فإن النساء كالورد .
لايكاد زهره يتفتح حتى يدركه الذبول .

فيولا : أجل هن كذلك مع الأسف الشديد
سرعان ما يدركهن الموت حين يبلغن نضرة الجمال .
(يعود كوريو ومعه المضحك)

الدوق : (للمضحك) أقبل أيها الصديق . غننا تلك الأغنية التى سمعناها مساء أمس .
استمع لها ياسيزاريو . إنها قديمة بسيطة .
تغنيها الغازلات والناسجات . ومن يصحبهن من الفتيات الخليات
اللآتى يدرن الخيط على البكرات تحت أشعة الشمس .
لحن ساذج حلو
يداعب براءة الحب

كما كان يحدث فى قديم الزمان .

المضحك : أمستعد أنت ياسيدى؟

الدوق : أجل غن أرجوك .

(موسيقى – أغنية المضحك)

المضحك : أقبل ، أقبل أيها الموت .

ولأطرح فى نعش من السرور الحزين .

انطلق بعيداً ، انطلق بعيداً أيها النفس .

فقد قتلتنى فتاة حسناء قاسية

أعدد كفنى الأبيض المغطى بالزهر

أعدد

فليس أصدق منى من يقوم

بتمثيل دور الموت .

لاينثر زهر ، لاينثر زهر

على نعشى الأسود

ولا يحيّى صديق ، لا يحيّى صديق .

جثتى البائسة

هناك حيث تلقى عظامى

وحتى لاترسل الزفرات ألوفاً

ضعونى حيث لا يستطيع حبيب وفى كئيب

أن يهتدى إلى قبرى

ليسفح عليه دموعه

الدوق : إليك هذا لما بذلت من جهد .

المضحك : ليس هذا جهداً ياسيدى. يلذ لى دائماً أن أغنى ياسيدى

الدوق : سآجر إذن لذتك .

المضحك : حقاً ياسيدى يجب أن تؤجر اللذة يوماً ما .

الدوق : ائذن لى الآن أن آذن بالانصراف .

المضحك : فليحمك إله الحزن .

فإن عقلك جوهرة متعددة الألوان حقاً .

وددت أن الذين لهم مثل هذا الوفاء يركبون البحر

لأمر ما ولغاية ما .

فكذلك يحسن السفر

لغير شىء ودائماً

وداعاً .

(يخرج)

الدوق : ليخرج الآخرون .

(يخرج كوريو والحاشية)

مرة أخرى ياسيزاريو .

اذهب فالق هذه الملكة ، ملكة القسوة .

قل لها إن حبى الذى هو أكرم من الدنيا
لايحفل بالأملاك الواسعة التى أزدريها
ومع أن حظها من الثراء عظيم
فقل لها إنى أستخف به كما أستخف بالحظ نفسه .
إنما الذى يخلبنى هو هذه المعجزة وهذه الجوهرة الفريدة
هذا الجمال الذى اختصتها الطبيعة به .

فيولا : ولكن إذا لم تستطع أن تحبك ياسيدى ؟

الدوق : لا أستطيع أن أقبل هذا الجواب .

فيولا : ومع ذلك فيجب أن تقبله .
تصور – وعسى أن يكون هذا واقعاً –
أن امرأة يعذبها حبها لك كما يعذبك حبك لأوليفيا
وأنت لا تستطيع أن تحبها
وأنت تنبئها بذلك ألا يجب عليها حينئذ أن تقبل جوابك ؟

الدوق : لايوجد قلب امرأة يستطيع أن يحتمل
مثلما يحملنى هذا الحب العنيف من الشقاء .
فليس لامرأة قلب كبير يسع مثل ما يسع قلبى
إن النساء ينقصهم التصميم والثبات .
إن حبهن وا أسفاه يمكن أن يسمى اشتهاء .
فليس هو مما يحرك القلب بل هو مما يحرك اللهاة .

فهو يحتمل الشبع والاكتفاء والثورة ،
ولكن حبي جائع كالبحر
ويستطيع أن يهضم مثلما يهضم البحر .
فلا توازن بين حب تستطيع امرأة أن تضمره لى
وبين حبى لأوليفيا .

فيولا : أجل ومع ذلك فأنا أعلم .

الدوق : تعلم ماذا ؟

فيولا : أعلم حق العلم طبيعة الحب الذى تستطيع المرأة أن تضمره
للرجل . وفى الحق أن قلوب النساء صادقة كقلوبنا
لقد كان لأبى ابنة تحب رجلا
كما يمكن أن أحب سيادتك لو كنت امرأة

الدوق : ماقصة هذه الفتاة ؟

فيولا : لم يكتب من قصتها حرف يامولاى فهى لم تعلن قط حبها .
ولكنها تركت سرها يقتات من خدها الرخص
كأنه الدودة استقرت فى برعمة الوردة .
فأخذت تضنى بهذا الشعور وأقامت على حزنها الممتقع الشاحب
جالسة تبسم لبؤسها .
كأنها تمثال للصبر أقيم بإزاء قبر . ألم يكن هذا حباً ؟
نحن الرجال نكثر من القول ونغلو فى الأيمان

ولكن تأكيدنا أكبر مما نستطيع أن نحقق إرادتنا
فنحن أقوى وعوداً وأضعف حباً .

الدوق : ولكن هل ماتت أختك يابنى لهذا الحب ؟

فيولا : أنا كل بنات أبى .
وكل أبنائه أيضا . ومع ذلك فلا أدرى .
مولاى ، أأذهب للقاء هذه السيدة ؟

الدوق : أجل هذا هو المهم .
اذهب إليها مسرعاً . قدم إليها هذه الحلية .
قل لها إن جى لن يبرح مكانه ولن يقبل رفضاً .
(يخرجان)

* * *

المنظر الخامس

حديقة أوليفيا

(يدخل سير توبى وسير آندرو وفابيان)

سير توبى : تعال هنا ياسيد فابيان

فابيان : طبعاً هأنذا . لئن أضعت ذرة من هذه الفكاهة فليحرقنى الحزن حتى أموت .

سير توبى : ألا يسرك أن ترى البخيل الوضيع الخبيث وقد جلله خزى عظيم

فابيان : سيملؤنى ذلك بهجة ياسيدى فهو الذى حرمنى كما تعلم عطف مولاتى يوم موقعة الدببه[1] .

سير توبى : سنصيد الدب مرة أخرى لنخرجه عن طوره وسنخدعه أى خدعة أليس كذلك سير آندرو ؟

سير آندرو : إن لم نفعله فنحن أجدر بالرثاء .

سير توبى : هذه القصيرة الماكرة مقبلة .

(تدخل ماريا)

والآن أى كنزى الهندى ؟

ماريا : اذهبوا فاختبئوا ثلاثتكم بين هذه الشجيرات فهذا مالفوليو منحدرا إلى هذا الممر . لقد كان يروض نفسه هناك تحت الشمس

---

(١) كانت حرب الدببه وربطها وضربها بالسوط من أنواع الملاهى المعروفة أيام الملكة اليزابيث .

على أن يحيى ظله . أجيدوا ملاحظته إيثاراً للتسلية فأنا واثقة بأن هذا الكتاب سيحوله إلى معتوه متأمل . اختبئوا جيداً لتتم اللعبة . (يختبئون) أما أنت فاستلق هنا (تلقى خطاباً) فقد أقبلت السمكة التى يجب أن تؤخذ بالملاطفة .

(تخرج – يدخل مالفوليو)

مالفوليو : إنما هى المصادفة كل شىء يجرى مصادفة . أنبأتنى ماريا ذات يوم أنها تحبنى وسمعتها نفسها تقول شيئاً مقارباً ، قالت إنها لو أتيح لها الحب يوماً فسيكون حبيبها رجلا مثلى . وهى فوق ذلك تعاملنى خيراً مما تعامل أحداً ممن يخدمونها فى هذه الدار . ماعساى أن أستنبط من هذا ؟

سير توبى : ما رأيت كاليوم وضيعاً يعدو طوره .

فابيان : صمتاً ، إن التأمل ليجعله أشبه بديك رومى رائع . ما أعظم اختياله فى ريشه المنفوش .

سير آندرو : (لنفسه) لعمرى ما أشد تحرقى إلى صفع هذا الوضيع .

سير توبى : الصمت مرة أخرى .

مالفوليو : أن أكون الكونت مالفوليو !

سير توبى : ياللوضيع .

سير آندرو : أطلق عليه النار . أطلق عليه النار .

سير توبى : صمتاً صمتاً .

مالفوليو : ما أكثر ماتحقق ذلك . فإن السيدة بنت الحاكم[١] تزوجت الخادم المشرف على خزائن الثياب .

سير آندرو : بؤساً له ياجيزابل[٢] !

فابيان : صمتاً . لقد وقع فى الشرك . انظرا كيف ينفخه الخيال .

مالفوليو : وبعد أن أتزوجها بثلاثة أشهر وأنا جالس على عرشى .

سير توبى : لو أن لى نبالا لأفقأ بها عينه .

مالفوليو : داعياً ضباط حرسى من حولى وقد لبست ثوباً من قطيفة محلاة بعد أن تركت السرير وفيه أوليفيا نائمة .

سير توبى : يااللنار . واللظى .

فابيان : صمتاً . صمتاً .

مالفوليو : إذن لاتخذت سمتاً ملائماً لمكانتى . وبعد أن أدير بينهم نظرة ذات معنى لأفهمهم أنى أعرف قدرى وأن عليهم أن يعرفوا أقدارهم . بعد ذلك آمر بأن يؤتى بين يدى بقريبى توبى .

سير توبى : باالأدوات العذاب .

فابيان : صمتاً . صمتاً . صمتاً . اسمعا . اسمعا .

مالفوليو : هنالك يمضى سبعة من رجالى بخطوات مطيعة لالتماسه . وهنالك

---

(١) فى الأصل سيدة ستراتشى Strachy ولا يعرف على وجه التحديد ماذا يعنى . ولكن يظن أن اللفظ تحريف Stratico وهو لقب حاكم مسينا .

(٢) جيزابل : امرأة ملك من ملوك إسرائيل فى القرن الثامن قبل المسيح .

أقطب جبينى . وربما ملأت ساعتى أو لعبت ببعض الجواهر النفيسة . ويدنو توبى ويقف هنا ليرفع إلىّ احترامه .

سير توبى : أيمكن أن يترك حيًّا مثل هذا الرجل .

فابيان : لنسكت . وإن انتزع منا الصمت انتزاعاً برافعات الأثقاف .

مالفوليو : فأمد إليه يدى على هذا النحو مطفئاً ابتسامتى العادية بنظرة صارمة قوامها العدل .

سير توبى : وتظن أن توبى لايمنحك عندئذ ضربة على شفتيك !

مالفوليو : فأقول له : ياابن العم ، توبى ، إن الحظ وقد ألقانى على ابنة أخيك يتيح لى الحق أن أحدثك على هذا النحو .

سير توبى : ماذا ! ماذا !

مالفوليو : يجب أن تقلع عن سكرك

سير توبى : اغرب عنى أيها الوقح

فابيان : مهلاً شيئاً من الصبر أو نفسد خطتنا .

مالفوليو : وأيضاً فأنت تبدد ماتملك من كنوز الوقت . مع هذا النبيل المغفل .

سير آندرو : هذا المغفل هو أنا لاتشكا فى ذلك .

مالفوليو : رجل يسمى سير آندرو .

سير آندرو : كنت واثقاً أنه يعنينى . فكثير من الناس يصفنى بالغفلة .

مالفوليو : (وقد رأى الكتاب) ماذا يكلفنا هذا . (يلتقط الكتاب) .

فابيان : الآن دنا الطائر من الشرك .

سير توبى : صمتاً . وعسى شيطان الدعابة أن يلهمه القراءة بصوت عال .

مالفوليو : لعمرى إنه لخط سيدتى هذه ، هى كافها وواوها وتاؤها وهكذا ترسم باءها الكاملة . هذا خطها فى غير حاجة إلى أى شك .

سير آندرو : كافها وواوها وتاؤها مامعنى هذا الكلام .

مالفوليو : (يقرأ) «إلى الحبيب المجهول — هذا الكتاب مع أمانىّ» : هذا أسلوبها . عن إذنك أيها الختم . مهلا . هذه صورة لوكريشيا[1] التى تختم بها بخاتمها . أجل هى سيدتى . إلى من يمكن أن يتجه هذا الكتاب .

فابيان : لقد وقع قلبه وقضى الأمر .

مالفوليو : (يقرأ) «إن السماء تعلم أنى أحب .

ولكن أحب من ؟

أى شفتى لاتتحركان .

لاينبغى لأحد أن يعلم»

لاينبغى لأحد أن يعلم ؟

لو كنته أنت يا مالفوليو .

سير توبى : لعمرى يجب أن يشنق الوضيع .

---

(١) لوكريشيا : سيدة رومانية اعتدى على شرفها ابن ملك رومانى قديم فقتلت نفسها إيثاراً للموت على الفضيحة . ويضرب بها المثل فى العفة .

مالفوليو : (قارئا) « قد أستطيع أن آمر من أحب .
ولكن الصمت مثل خنجر لوكريشيا .
ينفذ من قلبى دون أن يدميه .
م . واو . أ . ياء . يسيطر على حياتى »
فابيان : أى ألغاز سخيفة هذه .
سير توبى : لعمرى إنها لفتاة بارعة .
مالفوليو : « م . واو . ألف . ياء . يسيطر على حياتى »
فابيان : أى ألغاز سخيفة هذه
ولكن قبل كل شىء لننظر . لننظر .
فابيان : أى طبق مسموم أعدت له .
سير توبى : وانظر بأى جناح يسقط الطائر على هذا الطبق .
مالفوليو : « أستطيع أن آمر من أحب » حقًّا إنها لتستطيع أن تأمرنى : أنا فى خدمتها وهى سيدتى . وهذا بديهى لأيسر قدر من ذكاء . لاعسر فى ذلك . وآخر الكتاب . بماذا تنبئ هذه الأحرف؟ لو استطعت أن أجد فيها شيئاً يشبه اسمى . مهلا . ميم . واو . ألف . ياء .
سير توبى : أجل هو ذاك . حاول أن تفهم . الآن كلّت فطنتك .
فابيان : سينبح كلب الصيد البليد إذا شم ريح الثعلب وإن كان الثعلب يرى بالعين واضحاً .

مالفوليو : م . مالفوليو . حقًّا إن هذا لأول اسمى .

فابيان : ألم أقل إنه سيفهم . إن الكلب لبارع فى الخطأ .

مالفوليو : ميم . ولكن لاصلة بين هذا ومايليه . هذا غير مقنع . يجب أن تكون الف بعد الميم . ولكنها وضعت واوا .

فابيان : وأرجو أن ينتهى هذا كله بواه .

سير توبى : أجل . وإلا فسأضربه حتى يصيح . واه .

مالفوليو : ثم هذه ياء تأتى وراء ذلك .

فابيان : أجل . وإن نشأت لك عين[1] من وراء فسترى الهازئين بك من خلف وهم أكثر من الحظ الباسم لك من أمام .

مالفوليو : ميم . واو . ألف . ياء . ليس هذا اللغز كالذى سبقه ومع ذلك فبتعمق هذا قليلا يمكن أن ينطبق على . فكل هذه الأحرف موجودة فى اسمى . مهلا . هذا نثر يأتى بعد (يقرأ) إن وقع هذا بين يديك فأدر الأمر فى فكرك جيداً . فأنا أرقى منك حظًّا . ولكن لاتخشى العظمة . إن من الناس من يولد عظيماً ومنهم من يكتسب العظمة ، وبعضهم يفرض عليه العظمة فرضاً . إن حظك ليبسط إليك يده . فليسرع إليه دمك وعقلك . ولأجل أن تتعود ما أنت مقبل عليه تجرد من مظهرك المتواضع واتخذ مكانه مظهراً جديداً . وتعلم كيف تخاصم الأقرباء . وكيف تكون غليظاً

(١) فى الأصل I وهى فى نطقها تختلط بنطق Eye بمعنى عين .

مع الخدم . واملأ فمك بحديث السياسة . وأظهر الشذوذ بذلك تنصح لك من ترسل الزفرات من أجلك . تذكر من أثنت على جواربك الصفر[١] وتمنت أن تراك دائماً تتخذ لها أربطة مخالفة لها فى اللون . تذكر كما قلت . امض فقد كتب لك النجاح إن أردته وإلا فسأمضى فى النظر إليك على أنك قيم بين الخدم غير جدير أن تمس أصابعك أصابع الحظ . وداعاً من التى تود أن تخدمك مكان خدمتك لها . (السعيدة الشقية) إن هذا أوضح من ضوء النهار حين يفيض على السهل . إنها البداهة نفسها . سأتخذ مظهر المستكبر وسأقرأ كتب السياسة . وسأعلو على سير توبى . وسأضع عنى كل صلة غير راقية وسأكون بالضبط الرجل الذى يراد أن أكون . لن أخدع نفسى منذ اليوم . ولن أترك خيالى يخدعنى . فكل شىء يقنعنى بأن سيدتى تحبنى . هى التى هنأتنى منذ حين بجواربى الصفر وأثنت على ساقى فى أربطتها المخالفة الألوان ، وأظهرت لى بذلك حبها وأمرتنى على نحو ما أن أتخذ من البزة ما يروقها. شكراً لنجمى . إنى لسعيد. سأظهر شاذاً مستعلياً متخذاً جوارب صفراً وأربطة مخالفة لها فى الألوان ، وذلك فى أسرع وقت ممكن . أيتها السماء وأنت يانجمى شكراً لكما . وهذه حاشية

---

(١) كانت الجوارب المزركشة مجال تنافس شديد بين النبلاء زمان البرابيث وكان اللون ونوع الزينة يدلان على الذوق والمنزلة .

أيضا (يقرأ) .

«ليس من الممكن ألا تعرف من أنا . إن استجبت لحبى فأظهر ذلك فى ابتسامك . إن ابتسامك ليزينك . إذن فابتسم دائماً بمحضرى . فإنى أتوسل إليك فى ذلك أيها الحبيب الحلو ، شكراً للسماء . سأبتسم . سأفعل كل ما تريدنى عليه .

(يخرج)

فابيان : لن انزل عن نصيبى فى هذه اللعبة ولو رتب لى الصفوى[1] ألوف الجنيهات وظيفة .

سير توبى : إن الفتاة لجديرة أن أتزوجها جزاء للعبتها البارعة .

سير آندرو : أن أتزوجها أنا .

سير توبى : ولا أطلب إليها مهراً إلا لعبة مثلها .

سير آندرو : وأنا أيضاً .

فابيان : هاهى ذى مقبلة ، صائدتنا النبيلة للحمقى .

(تعود ماريا)

سير توبى : هل لك فى أن تضعى رجلك على عنقى ؟

سير آندرو : وعلى عنقى أيضاً .

سير توبى : أتريدين أن أراهن بحريتى وأن أصبح عبدك المغلول

---

(١) الصفوى : إشارة إلى ملك الفرس من الأسرة الصفوية . وكانت هدايا شاه إيران لبعض العائدين من زيارته من النبلاء حديث الناس فى بزخها .

سير آندرو : لعمرى . إنى لمستعد لذلك أيضاً .

سير توبى : لقد أغرقته فى حلم لن تنصرف عنه صورته إلا وقد تركته مجنوناً .

ماريا : ولكن أنبئونى نبأ الجد . أجاز هذا عليه ؟

سير توبى : كما يسير ماء الحياة[1] على قابلة .

ماريا : إذا أردتم الآن أن تروا ثمرة هذه اللعبة فاحسنوا مراقبته حين يدنو لأول مرة من سيدتى . فسيقبل عليها فى جوارب صفر وهو اللون الذى تبغضه ، وفى أربطة مخالفة وهو البدع الذى تضيق به وسيبسم لها فيخالف بذلك عما يلائمها ، وعما هى عليه من الحزن ، ويضطرها إلى أن تزدريه أشد الازدراء . فإن أردتم أن تروا هذا فاتبعونى .

سير توبى : سنتبعك إلى أبواب الجحيم[2] يامن فى الفكاهة أنت أبرع الشياطين .

سير آندرو : وأنا أيضاً .

(يخرجون)

* * *

---

(١) كناية عن الكونياك .

(٢) فى الأصل أبواب « تارتار » Tartar وهو مكان مذكور فى الإلياذة على أنه ضارب فى جوف الأرض بمقدار ماتعلوا السماء على الأرض . وقد أوصدت دونه أبواب من حديد ، فهو بذلك أعمق أعماق الجحيم .

الفصل الثالث

المنظر الأول

حديقة أوليفيا

(تدخل فيولا والمضحك ومعه طبلة)

فيولا : حفظك الله أيها الصديق وحفظ موسيقاك ، أتعيش من طبلتك .

المضحك : لاسيدى . بل أعيش من الكنيسة .

فيولا : أتكون من رجال الكنيسة .

المضحك : لاشيء من ذلك ياسيدى . إذا قلت إنى أعيش من الكنيسة فإنما ذلك لأن البيت الذى أعيش فيه يستند إلى الكنيسة .

فيولا : تستطيع أن تقول إذن إن الملك ينام إلى جانب شحاذ ، إن سكن شحاذ قريباً منه . أو إن الكنيسة قريبة من طبلتك إذا كانت طبلتك إلى جانبها .

المضحك : لقد قلت الحق ياسيدى . أى عصر هذا الذى نعيش فيه ! والذى تشبه فيه عند العقلاء أى جملة قفازاً مطاطاً من جلد الماعز يمكن أن تقلب ظهراً لبطن .

فيولا : أجل لاشك فى ذلك . فإن الذين يلعبون بالألفاظ فى رشاقة يسرعون إلى إفسادها .

المضحك : وددت إذن لو أن أختى ليس لها اسم ياسيدى .

فيولا : لماذا أيها الصديق ؟

المضحك : لأن اسمها لفظ ياسيدى ، وأن اللعب بهذا اللفظ يوشك أن يفسد أختى . ولكن فى الحق أن الألفاظ قد أصبحت وضيعة منذ أفسدتها العقود .

فيولا : وماحجتك أيها الرجل ؟

المضحك : فى الحق ياسيدى أنى لا أستطيع أن أعطيك حجة دون أن أصطنع اللفظ . وقد فسدت الألفاظ إلى حد أنى أكره أن أصطنعها فى إقامة الحجة .

فيولا : أرى أنك رفيق مرح وأنك لاتهتم بشىء .

المضحك : كلاياسيدى . بل أنا أهتم لبعض الأمر ولكنى فى إخلاص لا أهتم لك . فإن يكن معنى هذا أنى لا أهتم لشىء فإنى أتمنى أن تصبح لاشىء أى أن تستخفى .

فيولا : ألست مضحك السيدة أوليفيا ؟

المضحك : كلا ياسيدى . فليست السيدة أوليفيا ممن يحبون العبث والضحك . ولكن يكون لها مضحك ياسيدى قبل أن تصبح زوجاً فإن المضحكين يشبهون الأزواج كما أن السردين يشبه

الزنجة . ولكن الأزواج أشد ضخامة . قطعاً لست أنا مضحكها ولكنى أنا من يفسد لها الألفاظ ويحرفها لتضحك . .

فيولا : لقد رأيتك منذ حين عند الدوق أورسينو .

المضحك : إن الجنون ياسيدى يدور حول الكرة كما تدور الشمس . فهو يشرق فى كل مكان ويحزننى ياسيدى ألا يكون المضحك غالباً عند سيدك كما هو عند سيدتى . ويخيل إلى أنى رأيت عقلك عنده .

فيولا : أن تصوب سهم ذكائك إلى أنصرف عنك . إليك بعض النفقة .

المضحك : فيمنحك الله ، يوم يوزع الشعر ، لحية .

فيولا : لعمرى إنى لأتلهف على لحية (لنفسها) وإن لم أحب أن تنبت على ذقنى أسيدتك فى الدار ؟

المضحك : ألا يمكن أن يلد زوج من هذا النقد ياسيدى ؟

فيولا : بلى . إن جمع بعضه إلى بعض واستثمر .

المضحك : أحبب إلى بأن أمثل دور الأمير بنداروس صاحب فريجيا ياسيدى لأعطى لترويلوس هذا كريسيدا[1] .

فيولا : لقد فهمت عنك ياسيدى أنك لتحسن الشحاذة .

المضحك : ليس عظيماً ياسيدى فيما أرجو أن يشحذ من شحاذة . فقد كانت

---

(١) بنداروس : ملك فريجيا وكان يشجع الحب بين قريبته كريسيدا وعاشقها ترويلوس انظر قصة شيكسبير فى هذا الموضوع .

كريسيدا شحاذة . إن سيدتى فى دارها ياسيدى . سأنبئهم من أين تقبل . فأما من تكون وماذا تريد فشىء يتجاوز اختصاصى وكنت أستطيع أن أقول إنه يتجاوز عنصرى . ولكن هذه الحكمة قد ابتذلت .

(يخرج)

فيولا : إن لهذا الرفيق من العقل مايتيح له تمثيل دور المجنون .
فإتقان ذلك يحتاج إلى شىء من العقل .
يجب أن يلاحظ أمزجة الذين يعبث بهم .
وخصائص الأشخاص ، وما يلائمهم من الوقت .
وهو كالصقر لايرى صغار الطير .
إلا سقط عليها كالمجنون .
ذلك عمل عسير لاينهض به إلا عاقل .
فالجنون الذى تكلفه فى حكمه شىء ملائم .
ولكن العقلاء حين يتكلفون الجنون يفسدون عقولهم إلى آخر الدهر .

(يدخل سير توبى وسير آندرو)

سير توبى : حفظك الله أيها النبيل .

فيولا : وحفظك أنت أيضاً ياسيدى .

سير آندرو : Dieu vous garde, Monsieur.

فيولا : Et vous aussi; votre Arviteur [١]

سير آندرو : أرجو ياسيدى أن تكونه وأنا خادمك .

سير توبى : أتريد أن تتجه صوب [٢] الدار . فإن ابنة أخى راغبة فى أن تدخلها إن كنت ترغب فى لقائها .

فيولا : إنما هى ابنة أخيك التى أريد أن أراها ياسيدى فهى غايتى

سير توبى : جرب ساقيك ياسيدى . أعملها ، أدرهما .

فيولا : إن ساقى لتفهمان عنى يا سيدى خيراً مما أفهم عنك حين تأمرنى أن أجربهما .

سير توبى : أريد أن أقول هلم ياسيدى . أدخل .

فيولا : سأجيبك بأن أمضى وأن أدخل ولكننا سبقنا ؟

(تدخل أوليفيا وماريا) .

فيولا : أيتها السيدة الكاملة الكريمة جداً لتنشر السماء عليك عرفها .

سير آندرو : إن هذا الفتى لمادح لبق نادر : «تنشر عرفها» حسن جداً .

فيولا : إن ما أريد أن أقوله لك ياسيدتى لاينبغى أن تسمعه إلا أذنك للواعية المتفضلة .

سير آندرو : «عرفها» «واعية» «متفضلة» لأصطنعن هذه الكلمات الثلاث حين تسنح الفرصة .

---

(١) باللغة الفرنسية فى النص

(٢) يصطنع سير توبى لغة متحذلقة يريد شيكسبير أن يسخر منها .

أوليفيا : يغلق باب الحديقة ولأترك لما سأسمع .

(يخرج سير توبى وسير آندرو وماريا)

أوليفيا : هات يديك ياسيدى .

فيولا : تقبلى إجلالى ياسيدتى وخدمتى المتواضعة .

أوليفيا : ما اسمك ؟

فيولا : إن سيزاريو هو اسم خادمك أيتها الأميرة الحسناء .

أوليفيا : خادمى يا سيدى .لقد هجر الأرض كل سرور .

منذ اتخذ التواضع الكاذب تحية .

إنما أنت خادم الدوق أورسينو أيها الفتى .

فيولا : وهو خادمك .. وخادمه إذن خادم لك ياسيدتى .

إن خادم خادمك خادمك .

أوليفيا : أما هو فلست أفكر فيه .

أما خواطره فإنى أوثر أن تكون خالية .

على أن تكون وقفاً على .

فيولا : سيدتى . إنما جئت لأثير خواطرك الكريمة نحوه .

أوليفيا : عفواً . لاتتكلف ذلك .

فقد طلبت إليك ألا تجدد التحدث إلىّ عنه .

ومع ذلك فإن أردت أن تطلب إلىّ شيئاً آخر .

فإنى أوثر الاستماع لك .

على الإصغاء لموسيقى الأفلاك .

فيولا : سيدتى العزيزة :

أوليفيا : تفضل ودعنى أتحدث .
لقد أرسلت إليك فى إثر السعادة التى نشرتها هنا .
خاتماً لأستهويك وأخشى أن أكون حين فعلت ذلك .
قد خدعت نفسى وخدعت خادمى وخدعتك أيضاً .
لذلك لابد أن أقبل حكمك القاسى على .

ماذا رأيت فى هذه الحيلة المخجلة .
التى حاولت أن أكرهك بها على أن تقبل شيئاً تثق بأنه ليس لك . ألم تضع شرفى موضع الازدراء ؟
ألم ترسل فى إثره تلك الخواطر الجامعة التى تضطرب فى قلب قاس . لقد أسرفت على نفسى حين استقبلتك للمرة الأولى .
ليس صدراً هذا الذى يحجب قلبى .
وإنما هو نقاب رقيق . . وإذاً فدعنى أسمع لك .

فيولا : إنى أرثى لك ،

أوليفيا : هذه خطوة نحو الحب .

فيولا : لا . ولا قيد أصبع .
فمن المعلوم أن الناس كثيراً ما يرثون لأعدائهم .

أوليفيا : وإذن فيخيل إليّ أن قد آن أن أتفاءل[١] .
ياللدنيا ما أشد ميل الفقراء إلى الكبرياء .
إذا لم يكن بد من أن يكون الإنسان فريسة .
فخير له أن يفترسه الأسد لا أن يفترسه الذئب .
(تدق ساعة)
إن الساعة لتلومني على ما أضيع من الوقت .
لاتخف أيها الفتى العزيز فإني لن آخذك .
ومع ذلك حين يأتي الوقت لحصاد مثل هذا الذكاء ومثل هذا الشباب .
فستحصد امرأتك زوجاً مختاراً .
هذه طريقك مستقيمة نحو الغرب .

فيولا : حسناً لنمض نحو الغرب . لتصحبك النعمة والسرور ياسيدتي .
ألا تحملينني شيئاً إلى مولاي ياسيدتي .

أوليفيا : انتظر .
تفضل وأنبئني برأيك فيّ .

فيولا : رأيي أنك ترين في نفسك ماليس فيها[٢]

---

(١) لأنها تؤثر عداوته على عدم اكتراثه أو بروده .
(٢) أي تظنين أنك تحبيني والحقيقة أنك لا يمكن أن تحبيني لأني لست رجلاً .

أوليفيا : إن فكرت مثلك فإنى أرى فيك نفس الرأى[١]

فيولا : وإذن تصيبين . فلست أنا إياى .

أوليفيا : ليتك كنت كما أحب أن تكون .

فيولا : أيكون ذلك خيراً ياسيدتى مما أنا .

وددت لو أستجيب لك . فإنى الآن لست إلا مضحكاً .

أوليفيا : أى ازدراء عظيم رائع .

يظهر فى غضب هاتين الشفتين

إن القاتل الأثيم لايتكشف أسرع مما يتكشف الحب

الذى يريد أن يستخفى . إن ليل الحب ظهر .

أى سيزاريو أقسم بورد الربيع .

وبالعذرة وبالشرف وبالحق وبكل شيء

أنى لأحبك حتى إنى برغم ازدرائك كله لا أستطيع أن أخفى

كلفى بك مهما يبذل عقلى وذكائى من الجهد .

لايغرك ذلك بالاستعلاء . فلست أنت علة هذا الحب .

ولكن اجتهد فى أن تقنع نفسك .

بأن السبب فى إعلان حبى لك هو أن الحب الذى يأتى عفواً أحلى

موقعاً فى القلب من الحب الذى تبتغى إليه الوسائل .

فيولا : أقسم ببراءتى وبشبابى أنى لا أملك .

---

(١) أى أنك أعلى من أن تكون خادماً .

إلا حبًّا واحداً وقلباً واحداً وكبداً واحدة .
وإنى لا أمنح شيئاً من ذلك لامرأة .
وإن أحداً لن يسيطر آخر الدهر على شىء من ذلك غيرى .
وإذن فوداعاً ياسيدتى العزيزة .
لن أرثى أمامك لدموع مولاى .

أوليفيا : ومع ذلك فعد فعسى أن تستطيع .
إغراء هذا القلب الجامد الآن ، بأن يرق لحبه
(يخرج)

المنظر الثانى

دار أوليفيا

(يدخل سير توبى وسير آندرو وفابيان)

سير آندرو : لالعمرى لن أقيم هنا لحظة أكثر مما أقمت .

سير توبى : لماذا أيها السيد العزيز ، أين ولماذا ؟ .

فابيان : يجب أن تبين سبب ذلك ياسير آندرو .

سير آندرو : لعمرى لقد رأيت ابنة أخيك تمنح من عطفها لخادم الدوق أكثر مما منحتنى قط . رأيت ذلك فى الحديقة .

سير توبى : وهل رأتك هى فى ذلك الوقت ؟ أجبنى أيها الفتى العتيد .

سير آندرو : فى وضوح كما أراك الآن .

فابيان : كان ذلك دليلا قوياً تقيمه على حبها لك .

سير آندرو : إليك عنى . أتريد أن تجعلنى حماراً .

فابيان : سأثبت لك ذلك ياسيدى بشهادة العقل والبرهان .

سير توبى : وكلاهما كان عدلا ثقة قبل أن يصطنع نوح مهنة البحار .

فابيان : إنها لم تظهر عطفها على الخادم أمامك إلا لتثيرك ، لتوقظ غيرتك النائمة ، ولتضرم النار فى قلبك وتلهب كبدك . كان يجب عليك حينئذ أن تدنو منها . وأن تغلق فم الخادم ببعض النكات المبتكرة

الصائبة المتقنة ، هذا ماكانت تنتظر منك وهذا ما أخطأك فتركت الوقت يمحو الطلاء الذهبى المزدوج لهذه الفرصة . وأنت الآن تسبح فى منطقة البحر الشمالى من بحار تقدير سيدتى لك حيث ستظل معلقاً كقطعة البرد فى لحية رجل هولندة ، إلا أن تصلح ذلك ببعض الشجاعة أو السياسة .

سير آندرو : إن كان لى أن أختار فإنى أوثر الشجاعة لأنى أبغض السياسة وأفضل أن أكون براونيًّا[1] على أن أكون سياسياً .

سير توبى : وإذن فلتبن حظك على أساس من الشجاعة . ادع لى خادم الدوق إلى المبارزة وأصبه فى أحد عشر موضعاً من جسمه . فستسجل ابنة أخى لك ذلك . وثق أن ليس فى العالم وسيط يستطيع أن يحبب رجلا إلى امرأة خير من حديث الشجاعة .

فابيان : لا وسيلة غير هذه يا سير آندرو .

سير آندرو : أيريد أحدكما أن ينبئه بأنى أتحداه للمبارزة ؟

سير توبى : هلم فاكتب تحديك بيد محاربة . كن حاسماً وموجزاً . ليس من المحتم أن تكون ذكيًّا . كن بليغاً كثير الابتكار فحسب . آذه بقدر ماتسمح حرية الحبر على الورق . حدثه بكاف المخاطب الواحد مرتين أو ثلاثاً فليس بذلك بأس وكل مايستطيع أن يستقر على

---

(١) مذهب لبعض المسيحيين المتشددين كان زعيمه يسمى براون Robert Brown ولم يكن صحاب هذا المذهب يقبلون المزاح .

صحيفتك من أكاذيب وإن كانت أعرض من سرير[1] وير فى إنجلترا ، فأقرها . هلم امض وليكن فى حبرك مايكفى من المرارة . وإن كنت فى الواقع تكتب بريشة إوزة . ولكن لابأس . امض .

سير آندرو : أين ألقاكما .

سير توبى : سنلتمسك فى حجرتك. امض .

فابيان : هذه ألعوبة غالية عليك ياسير توبى .

سير توبى : بل أنا الذى أكلفه ثمناً غالياً يابنى . ألفين من الجنيهات أو نحو ذلك .

فابيان : سنقرأ له رسالة نادرة ولكنك لن تؤديها فيما أرى .

سير توبى : سأفعل أولا تصدقنى آخرالدهر، وسأصنع كل ما أستطيع لأغرى الخادم بالرد عليه . فليس هناك ثيرة أو حبال أو عربة تستطيع أن تجمع بينهما . فأما آندرو فشق بطنه فإن وجدت فى كبده — وهو مركز الشجاعة — من الدم ما تلزج فيه أرجل ذبابة فأنا كفيل بأكل جسمه كله .

فابيان : أما خصمه الخادم فإن وجهه لا ينبئ بشىء من ضراوة .

(تدخل ماريا)

سير توبى : هذه صغرى تسع من فراخ العصافير.

---

(١) سرير مشهور يتسع لاثنى عشر نائماً وكان يوجد فى فندق فى مدينة « وير Ware » بإنجلترا . وكان يثير حب استطلاع السائحين لأن عرضه فيما يقال أحد عشر قدماً .

ماريا : إن شئتما أن تلهوا ونضحكا حتى يخز الضحك جنبيكما فاتبعانى لقد صار هذا الأحمق مالفوليو وثنياً كافراً حقًّا . إذ ليس فى الأرض كلها مسيحى حريص على نجاته يستطيع أن يصدق مثل ما صدق مالفوليو من السخف الغليظ الذى لايقبل . فقد اتخذ جوارب صفراء .

سير توبى : وأربطة مخالفة ؟

ماريا : كأشنع ماتكون كأنه متعالم يعلم فى الكنيسة . تبعته خطوة خطوة كما لو كنت أريد قتله . فهو يتبع ما أمر به فى الكتاب الذى ألقيته كلمة كلمة ، ويبتسم حتى تفوق خطوط وجهه من الابتسام خريطة الهند الجديدة التى زيد فيها[1] إنكما لم تريا شيئاً يشبهه ، إنى لأجاهد نفسى كيلا أقذفه بشىء فى وجهه وما أشك فى أن سيدتى ستلطمه ، وإن فعلت فسيأخذ فى الابتسام وسيرى ذلك عطفاً عليه .

سير توبى : هلم قودينا إلى حيث يكون .

(يخرجون)

* * *

(١) خارطة نشرت فى سنة ١٥٩٩ وتوسع صاحبها فى رسم الهند . وهذه الإشارة تعين على تأريخ المسرحية .

المنظر الثالث

شارع

(يدخل سيبستيان وأنطونيو)

سيبستيان : لم أكن أريد أن أثقل عليك .
ولكن مادامت هذه المشقة تلذك
فلن ألومك .

أنطونيو : لم أستطع أن أبقى بعدك .
كانت رغبتى أن اتبعك أحد من النصف المرهف .
لم يكن هذا مجرد شوق إلى لقائك .
- وإن كان ذلك جديراً أن يغرينى بسفر طويل -
إنما كان الإشفاق من أن يعرض فى طريقك بعض ما يؤذيك
ولاسيما أنت تجهل هذه الأرض الموحشة .
بالقياس إلى غريب لامرشد له .
فهو إذن حبى لك .
مضافاً إليه إشفاقى عليك .
الذى دفعنى إلى اللحاق بك .

سيبستيان : أيها الكريم أنطونيو لن يكون جوابى لك إلا شكراً .[1] شكراً .

---

(١) يعنى الشكر ليس عملة متداولة فى عالم المكافآت والتعامل .

شكراً دائماً . فكثيراً ماتسوء مكافأة الأعمال الخيرة بهذا النقد غير الرائج .
ولكن إن كان لمكافأتى من الثبات .
مثل مالضميرى فسيكون ربحك عظيماً .
ماذا تصنع ؟ أنزور آثار هذه المدينة ؟

أنطونيو : لنرجئ ذلك إلى غد ياسيدى . فالخير أن نلتمس لك منزلا .

سيبستيان : لست متعباً ومازال الليل بعيداً .
فإن شئت ذهبنا فملأنا أعيننا
بالآثار القيمة التى اشتهرت بها هذه المدينة .

أنطونيو : هل لك أن تعفينى من ذلك .
فإنى لا أستطيع أن أمضى فى هذه الشوارع دون أن أتعرض للخطر . فقد كنت فى موقعة بحرية حرباً على سفن الدوق .
وأبليت فى تلك الموقعة بلاء
يعرضنى إن أخذت ، لخطر لا أمل فى عواقبه .

سيبستيان : يخيل إلىّ أنك قتلت كثيراً من رجاله .

أنطونيو : لم تكن إساءتى إليه دامية إلى هذا الحد .
ولكن ظروف الموقعة وأسبابها
كانت جديرة أن تعين على سفك الدماء
وكنت أستطيع كما طلب إلى .

أن أرد عليه ثمن غنيمته كما فعل أكثر مواطن إيثاراً لسلامة تجارتهم
وكنت الوحيد الذى أبى ذلك .
من أجل هذا سأؤدى ثمناً غالياً إن وقعت هنا بين أيديهم .

سيبستيان : فلاتطوف إذن تحت أعين الناس .

أنطونيو : أجل ذلك يلائمنى . إليك سيدى هذا مالى .
وخير منزل ملائم هو فى الأرباض الجنوبية للمدينة فى فندق
الفيل .
سآمر بإعداد طعامنا
بينما تضيع أنت وقتك
وتغذى عقلك بزيارة المدينة
فى هذا الفندق تجدنى .

سيبستيان : ولم تعطنى مالك .

أنطونيو : ربما وقعت عينيك على شىء .
من سقط المتاع فأردت أن تشتريه
وما أرى أن ذخيرتك قد أعدت لمثل هذا السخف .

سيبستيان : سأكون حامل مالك وسأتركك ساعة .

أنطونيو : إلى فندق الفيل .

سيبستيان : لم أنس بعد .

(يخرجان)

المنظر الرابع

حديقة أوليفيا

(تدخل أوليفيا وماريا)

أوليفيا لقد دعوته وقال إنه سيأتى
أى احتفال يجب أن أقيم له . أى هدية يجب أن أمنحه إياها
فإن الشباب يشترى أكثر مما يشحذ أو يستعار .
إنى أرفع صوتى أكثر مما ينبغى .
أين مالفوليو . إنه جاد ومؤدب
إنه الخادم الذى يلائم منزلتى .
أين مالفوليو ؟

ماريا : إنه مقبل ياسيدتى . ولكن فى حال غريبة جداً .
إنه من غير شك مأخوذ ياسيدتى

أوليفيا : ماذا إذن أيهذى ؟

ماريا : لا يا سيدتى . هو لايزيد على أن يبتسم . إن سيادتك لتحسنين إن اتخذت حرساً حين يقبل . فإن الرجل من غير شك قد اختلط عقله .

أوليفيا : اذهبى فالتمسيه . (تخرج ماريا) فأنا مجنونة مثله . إن كان الجنون

الحزين والجنون الفرح سواء .

(تعود ماريا ومعها مالفوليو)

وإذن يا مالفوليو !

مالفوليو : أيتها السيدة الحلوة . ها . ها .

أوليفيا : أتبتسم ! لقد دعوتك لأمر جاد .

مالفوليو : جاد وحزين ياسيدتى . ومن حقى أن أحزن . إن الأربطة المخالفة تعوق حركة الدم . ولكن لابأس إن كان هذا يروق إحدى السيدات . فذلك كما تقول الأغنية بحق – إن إعجاب واحدة هو إعجاب النساء جميعاً .

أوليفيا : ماذا . كيف أنت أيها الرجل . ماذا أصابك ؟

مالفوليو : لم تسود نفسى وإن أصفرت ساقاى . لقد تلقى الكتاب وسينفذ مافيه من أمر . وأعتقد أننا نعرف هذه الكتابة الحلوة الرومانية[1] ؛

أوليفيا : أتريد أن تأوى إلى سريرك يامالفوليو ؟

مالفوليو : إلى سريرى . وكيف لا أيتها الحبيبة . سألحقك فيه .

أوليفيا : صنع الله لك . لم تبسم على هذا النحو ، وتكثر من لثم يدك ؟

ماريا : كيف أنت يامالفوليو ؟

مالفوليو : أأجيبك أنت . ولم لا . إن البلبل يجيب البوم .

ماريا : لم تظهر أمام سيدتى بهذه القحة المضحكة .

(١) فن من تحسين الخط عند الرومان

مالفوليو : «ولاتخش العظمة» لكم كان ذلك جميلا وهو مكتوب .

أوليفيا : إلام تريد بذلك يامالفوليو .

مالفوليو : «إن من الناس من يولدون عظماء» .

أوليفيا : ماذا !

مالفوليو : «ومنهم من يكتسب العظمة»

أوليفيا : ماذا تقول ؟

مالفوليو : «وبعضهم تفرض عليه العظمة فرضاً»

أوليفيا : شفاك الله .

مالفوليو : «تذكر من أثنت على جواربك الصفر» .

أوليفيا : جواربك الصفر !

مالفوليو : «وتمنت أن تراك دائماً وقد اتخذت لها أربطة مخالفة» .

أوليفيا : أربطة مخالفة !

مالفوليو : «امض . فلقد كتب لك النجاح إن أردت»

أوليفيا : لقد مضيت أنا وانتهيت .

مالفوليو : «وإلا فسأنظر إليك دائماً على أنك قيم بين الخدم»

أوليفيا : ماذا . إن هذا حقًّا لجنون الصيف !

(يدخل خادم) .

الخادم : سيدتى . لقد عاد الخادم الفتى خادم الدوق أورسينو . وقد بذلت كثيراً من الجهد لأعيده . وهو ينتظر إذن سيادتك .

أوليفيا : سأذهب للقائه .

(يخرج الخادم)

أى ماريا العزيزة فليعن بأمر هذا الرفيق . أين عمى توبى ليعنى به. بعض أقاربى عناية خاصة . فإنى لا أريد أن يناله شر. وإن فقد نصف ثروتى .

(تخرج أوليفيا وماريا)

مالفوليو : ها . ها . أأخذتم تفهمون عنى . إنما هو سير توبى الذى كلف بالعناية بى . ما أشد موافقة هذا لماجاء فى الكتاب . إنها ترسله عمداً لألقاه فى غلظة . فهى تغرينى بذلك فى الكتاب . إنها تقول «تجرد من مظهرك المتواضع وتعلم كيف تخاصم الأقرباء وكن غليظاً مع الخدم واملأ فمك بحديث السياسة . أظهر الشذوذ» .

وهى بذلك تبين لى ما يجب أن أسلك من طريق : وجه متجهم ومظهر يحفه الجلال ، وحديث بطىء ، مظهر سيد نبيل وهلم جراً لقد أخذتها ، ولكن هذا عمل السماء . فلعلى أن أكون لها شكوراً . ولقد قالت حين خرجت الآن «فليعن بهذا الرفيق» . الرفيق لامالفوليو لا كما ينبغى أن توحى منزلتى لامالفوليو ولكن الرفيق . حسناً كل شىء متسق حتى لأسبيل إلى أيسر الاختلاف . لا اختلاف مطلقاً . لا أيسر عقبة . لا أقل شىء يثير الشك أو القلق . ماذا أقول أيضاً ليس هناك شىء يستطيع أن يحول بينى

وبين آمالى العراض ، إنما هذا من عمل السماء لامن عملى أنا فلنشكر للسماء صنعها .

(تعود ماريا ومعها سير توبى وفابيان)

سير توبى : أين هو بحق القداسة . مهما تلتف به شياطين الجحيم ومهما تتكاثف على أن تملكه جميعها .فسأتحدث إليه .

فابيان : هاهو ذاك . هاهوذا . كيف أنت ياسيدى . كيف أنت يارجل .

مالفوليو : إلى الوراء إنى أزدريكم . دعونى أنعم بوحدتى . إلى الوراء

ماريا : اسمعا كيف يتحدث الشيطان نفسه من جوفه بصوت عميق [1] ألم أقله لكما . سير توبى إن سيدتى ترجو منك أن تعنى به .

مالفوليو : ها . ها . أو ترجو حقًّا .

سير توبى : هلم . مهلا . مهلا . يجب أن نرفق به . دعانى له . كيف أنت يامالفوليو كيف تجدك ؟ انظر أيها الرجل . قاوم الشيطان وقدر أنه عدو الإنسان .

مالفوليو : أتعرف ماتقول ؟

ماريا : أترى متى ذكرت الشيطان بسوء . أهمه ذلك . لنضرع إلى الله فى ألا يكون مسحوراً .

فابيان : يجب أن نعرض بوله على القابلة

ماريا : لعمرى . لأفعلن ذلك غداً من غير شك . فإن سيدتى لاتريد أن

---

(١) يتصنع مالفوليو صوتا رهيباً يليق بما يظن أن له من مقام .

تفقده مهما يكن من شيء .

مالفوليو : ماذا تقولين يافتاة ؟

ماريا : بالله العظيم .

سير توبي : أرجو أن تظلي هادئة . ماهكذا يجب أن يؤخذ . ألا ترين أنك تثيرينه . دعاني أخلو إليه .

فابيان : لاحيلة فيه إلا الرفق . رفقاً . رفقاً . إن الشيطان غليظ . ولكنه لايجب أن يؤخذ بالغلظة .

سير توبي : وإذن فكيف أنت حبيبي[١] الجميل . كيف أنت ياعزيزي

مالفوليو : سيدي .

سير توبي : اصحبني ياحبيبي الصغير . انظر يارجل إن رجل الجد لايضحك منه الشيطان . اشنق هذا الفحام[٢] القذر الذي تملك نفسك .

ماريا : مُره بالصلاة أيها الكريم سير توبي . مُره بالصلاة .

مالفوليو : صلاتي أيتها البلهاء .

ماريا : ألم أقل لكما إنه لايريد أن يسمع حديث الدين .

مالفوليو : اذهبوا إلى الموت جميعاً . إنما أنتم غرور لاخير فيه . لست من شاكلتكم ستعلمون أكثر من ذلك بعد قليل .

(يخرج)

---

(١) في الأصل ديكي ودجاجتي . وهي مصطلحات لتدل على الإعزاز والتدليل .

(٢) كان الفحام لسواد وجهه يشبه بالشيطان .

سير توبى : أهذا ممكن ؟

فابيان : لو مثل هذا الآن على مسرح لقضيت بأنه قصة خيالية لا يمكن أن تقع .

سير توبى : لقد مست اللعبة عقله . فأصابته إصابة لاتمحى .

ماريا : يجب أن نتبعه فوراً ، حتى لاتنكشف اللعبة فتفسد .

فابيان : وإذن فسندفعه آخر الأمر إلى الجنون .

ماريا : لن تكسب الدار من ذلك إلا هدوءا .

سير توبى : تعالوا سنحبسه فى غرفة مظلمة بعد أن نوثقه .إن ابنة أخى متيقنة الآن أنه مجنون . فنستطيع أن نمضى فى اللعبة مستمتعين بها ومنتقمين منه . حتى يغرينا اللعب نفسه بالرثاء له . هناك تظهر اللعبة أمام المحكمة ونتوجك أبرع مستكشفة للمجانين . ولكن انظرا . انظرا .

(يدخل سير آندرو)

فابيان : وهذه لعبه أخرى من لعب أول مايو[1] .

سير آندرو : هذا هو التحدى فاقرأوه[2] . فأنا زعيم لكم بأن فيه فلفلا وخلا .

فابيان : أهو حقاً لاذع إلى هذا الحد ؟

سير آندرو : ذلك مؤكد . ثقوا بذلك . واقرأوا فحسب .

---

(١) إشارة إلى أفراح كانت تقام قديماً فى هذا اليوم .

(٢) لقد استطاع شيكسبير أن يسخر من المبارزة فحاربها بسخريته بأقسى مما استطاعت أن تحاربها القوانين أو تحد منها .

سير توبى : هات (يقرأ) « أيها الفتى كن من تكون فلست إلا أحمقاً قذراً » .

فابيان : حسن . هذه هى الشجاعة .

سير توبى : (يقرأ) « لاتدهش ولا تعجب فى نفسك من أن أصفك بهذا الوصف فلن أعلن لك ذلك » .

فابيان : ملاحظة جيدة تحميك من القانون .

سير توبى : (يقرأ) « إنك تلم بقصر السيدة أوليفيا . وهى تلقاك تحت عينى لقاء حسناً . ولكن الكذب يملأ خلقك . ولست أتحداك من أجل هذا » .

فابيان : موجز جداً يفيض بما – لا –[1] يعقل .

سير توبى : (يقرأ) « سأنتظرك فى الطريق حين تعود من هنالك . إن أتاح لك الحظ أن تقتلنى ! ! ! »

فابيان : حسن .

سير توبى : (يقرأ) « فستقتلنى كما يفعل وضيع قاطع طريق » .

فابيان : حسناً . وهنا كذلك تضع نفسك بمأمن من القانون .

سير توبى : (يقرأ) « وداعاً وليرحم الله إحدى نفسينا . فمن الممكن أن يرحم نفسى ولكنى أحسن من ذلك أملا . وإذن فاحتط لنفسك . صديقك حسبما تظن ، وعدوك اللدود . أندرو اجتشيك »

---

(١) تقال « لا » بصوت لا يسمعه سير آندرو .

إن لم تثره هذه الرسالة فإن ساقيه نفسيهما أعجز من أن تحركاه .
سأبلغه إياها .

ماريا : ستتاح لك فرصة رائعة . فهو الآن يتحدث إلى سيدتى ولن يتأخر خروجه .

سير توبى : اذهب سير آندرو فارقبه لى من زاوية الحديقة كما يفعل الشرطى فإذا رأيته من بعيد فسل سيفك ، وفى أثناء ذلك ارم بقسم غليظ فإن القسم الغليظ حين يلقى فى لهجة متحدية وصوت حاد متقد أدل على شجاعة الإنسان من أفعاله نفسها .
امض .

سير آندرو : أما القسم فأنا لك به زعيم .
(يخرج)

سير توبى : لن أبلغ رسالته الآن . فإن سيرة الفتى النبيل تدل على أنه مثقف حسن التربية . ومهمته التى يقوم بها بين سيده وابنة أخى تدل على ذلك أيضاً . وإذن فهذه الرسالة التى تصور جهلا أى جهل لن تخيف هذا الفتى لأنه سيعرف أنها صدرت عن أبله ، ولكنى ياسيدى سأبلغه التحدى بنفسى . وسأتيح لأجتشيك شهرة مدهشة بالشجاعة . وسألقى فى روع هذا الفتى صورة بشعة لهياجه ومهارته وغضبه واندفاعه . فإن شبابه يغريه بتصديق كل شىء .. ذلك أجدر أن يخيفهما كليهما حتى يقتلا نفسيهما بمجرد النظر ،

صنيع بعض الحيات[1] .

(تعود أوليفيا ومعها فيولا)

فابيان : هاهو ذا يقبل مع ابنة أخيك . لندع لها المكان حتى إذا انصرف عنها عرضنا له .

سير توبى : سأدبر فى أثناء ذلك رسالة بشعة أتحداه بها .

(يخرج سير توبى وفابيان وماريا)

أوليفيا : لقد أسرفت فى التحدث إلى قلب من صخر .
وعرضت شرفى للخطر فى غير احتياط .
إن فى نفسى شيئاً يلومنى على خطئى .
ولكنه خطأ مصمم ملح .
حتى إنه ليسخر من اللوم .

فيولا : ليس حزن سيدى .
بأقل تصميماً من حبك الملح .

أوليفيا : إليك هذه الحلية تذكاراً منى . إنها صورتى لاترفضها .
فليس لها لسان يؤذيك
وإنى أتوسل إليك فى أن تعود غداً .
فلن أرفض لك طلباً مهما يكن
إلا أن يخل بشرفى .

---

(١) حيوان خرافى تزعم الأساطير أن له جسد حية ورأس ديك وأن نظرته قاتلة .

فيولا : سأعفيك من ذلك .

أوليفيا : إذن فعد غداً . وداعاً .

إن شيطاناً مثلك جدير أن يستهوى نفسى إلى الجحيم .

(تخرج)

(يعود سير توبى ومعه فابيان)

سير توبى : حفظك الله أيها النبيل .

فيولا : وحفظك أيضاً ياسيدى .

سير توبى : إن استطعت أن تدفع عن نفسك فافعل . فلست أدرى أى نوع من الإساءة قدمت إليه . ولكن عدوك وقد ملأه الغيظ وأصبح ظمئاً إلى الدم كالصائد ينتظرك فى أقصى الحديقة . أشهر سيفك واستعد مسرعاً . فإن خصمك سريع ماهر مميت .

فيولا : أخطأت ياسيدى . فأنا واثق بألا خصومة بينى وبين أحد . لأن ذاكرتى نقية بريئة من كل صورة للخصام مع أى إنسان .

سير توبى : ستتبين أن الأمر على غير ماوصفت . ثق بذلك . وإذن فإن يكن بك أيسر الحرص على الحياة فخذ حذرك فإن لخصمك كل مايستطيع الشباب والقوة والمهارة والغضب أن يمنح إنساناً .

فيولا : تفضل ياسيدى فأنبئنى من هو .

سير توبى : هو نبيل قد نصب على بساط وأعطى سيفاً لم تشمه[1] التجربة .

---

(١) يريد لم يتلق شارة الفروسية فى ميدان القتال ، وإنما نصب فارساً فى مناسبة سلمية تقديراً أو=

ولكنه شيطان فى الخصومات الخاصة . قد استطاع أن يفرق بين ثلاث أنفس وأجسامها . وقد بلغ الآن غضبه من الحدة بحيث لايرضيه إلا القبر وسكرات الموت . فخذ ذلك عنى أودعه فإن شعاره اخسر أو اربح .

فيولا : سأعود إلى الدار لأطلب إلى ربتها بعض الحرس ولست من الحرب فى شيء وقد سمعت أن من الرجال من يلتمسون الخصومة ليثبتوا لأنفسهم أنهم شجعان . وعسى أن يكون صاحبك من هؤلاء . .

سير توبى : كلا ياسيدى . إنما أثارت غضبه إهانة محققة . وإذن فامض وأنصفه من نفسك ولن تعود إلى الدار إلا أن تلقى منى مثل ما ستلقى منه دون مزيد . وإذن فإلى أمام وجرد سيفك . فليس لك بد من القتال . أو تفقد الحق فى حمل السيف .

فيولا : هذا شيء ليست غرابته أقل من قحته . تفضل على أقل تقدير بسؤال هذا النبيل عن الإهانة التى قدمتها إليه . فعسى أن أكون قد أسأت إليه عن إهمال لا عن عمد .

سير توبى : سأفعل . ولكن أقم يا سـيد فابيان مع هذا النبيل حتى أعود . (يخرج)

= حظرة . فارس الحرب يركع فوق أرض المعركة وفارس السلم يركع على البساط فى البلاط عند تنصيبه فارساً .

فيولا : تفضل ياسيدى فأنبئنى هل تعرف أصل هذه القصة .

فابيان : أعرف أن النبيل واجد عليك أشد الموجدة ، حتى إنه لايريد إلا الاحتكام إلى الموت ولكنى أجهل تفصيل القصة .

فيولا : أتوسل إليك فى أن تنبئنى أى نوع من الرجال هو .

فابيان : إن نظرت إلى مظهره لم تجد شيئاً ينبئ بالشجاعة التى سيثبتها لك . فهو ياسيدى أمرّ وأضرى وأخطر من يمكن أن تكون قد لقيت من العدو فى أى مكان من الليريا . أتريد أن تلقاه ؟ سأجتهد ما استطعت فى الإصلاح بينكما .

فيولا : سأشكر لك ذلك كل الشكر . فأنا أوثر صحبة القسيسين على صحبة الفرسان . ولايعنينى أن يبلو الناس شجاعتى .

(يخرجان) — (يعود السير توبى ومعه السير آندرو)

سير توبى : قلت لك ياصديقى إنه شيطان مريد لم أر مخاصماً مثله . لقد نازلته بالسيف والغمد[1] . وبكل شىء فأرسل إلى ضربة ليس تصميمها أقل من خطرها . وهو حين يرد عليك هجمتك يصيبك فى ثبات ويقين كما تمس قدماك الأرض . ويقال إنه كان أستاذ الصفوى فى فن المبارزة .

سير آندرو : قاتله الله لا أريد أن يكون بينه وبينى شر .

سير توبى : أجل ولكنه لايريد أن يهدأ . وإن فابيان ليبذل أقصى الجهد فى

---

(١) سير توبى يخلط عمداً وهو مدرك مقدار ذعر سير آندرو .

إمساكه .

سير آندرو : قاتله الله لو عرفت أن له هذا الحظ من المهارة والشجاعة لآثرت أن يذهب إلى الجحيم على أن أتحداه .
فليعرض عن هذا الأمر أعطه فرسي السنجابي «كابلت»[1] .

سير توبي : سأعرض عليه ذلك . أقم هنا وتكلف مظهراً يليق بك . فسينتهي هذا كله دون أن تزهق نفس . (لنفسه) لعمري لأركبن فرسك كما ركبتك .

(يعود فابيان وفيولا) .

سير توبي : (لفابيان) إنه يعطيني فرسه لأهدئ الخصومة . فقد أقنعته أن التابع شيطان .

فابيان : وهو لايخيف التابع أقل مما يخافه فهو مكدود شاحب كما لو كان دب مفترس يسرع في أثره .

سير توبي : (لفيولا) لادواء ياسيدي فهو مصمم على مبارزتك ليبر بقسمه . وهو لعمري قد أعاد التفكير في أسباب الخصومة ورأى أنها أهون من أن تكون موضوعاً للحديث . فاشهر سيفك حتى لايحنث في يمينه . فهو يقسم على أنه لن ينالك بأذى .

فيولا : (لنفسها) عسى الله أن يعينني . أكاد أعترف لهم بأن بيني وبين أن أكون رجلا أمداً بعيداً .

---

(١) انظر الفصل الثاني المنظر الخامس .

فابيان : انهزم له إن رأيته محنقا .

سير توبى : هلم سير آندرو فليس هناك من دواء . فإن النبيل إنقاذاً لشرفه
حريص على أن تكون بينه وبينك جولة وإن قوانين المبارزة
لاتسمح له باتقاء ذلك . ولكنه وعدنى وعد الجندى النبيل ألا
يمسك بأذى . هلم . خذ حذرك .

سير آندرو : عسى الله أن يلهمه البر بقسمه .

فيولا : أؤكد لكم أن هذا كله يجرى على كره منى .

(تسل سيفها) -- (يدخل انطونيو)

أنطونيو : أغمدا سيفيكما . إن يكن هذا النبيل الفتى
قد أساء إليك فإنى أحمل عنه تبعته .
وإن تكن أنت المسىء فإنى أتحداك نيابة عنه .

(يخرج سيفه)

سير توبى : أنت ياسيدى . ولكن من أنت .

أنطونيو : أنا ياسيدى رجل يستطيع من أجل حبه
أن يفعل أكثر مما سمعته يقول

سير توبى : حسناً . أما وقد أردت أن تدخل فى هذا الأمر . فأنا صاحبك .

(يسلان سيفيهما) - (يدخل بعض الضباط)

فابيان : قف أيها الكريم سير توبى فهؤلاء الضباط ..

سير توبى : سأخلص لك بعد حين .

(يختفى جانباً)

فيولا : أرجو ياسيدى أن تغمد سيفك .

سير آندرو : لأفعلن ياسيدى . أما ما وعدتك به[1] فأنا به زعيم . سيحملك فى رفق وسيكون سهل القياد .

الضابط ١ : إنه هو فأد واجبك .

الضابط ٢ : أى أنطونيو إنى أقبض عليك .
بأمر الدوق أورسينو .

أنطونيو : أنت مخطئ ياسيدى .

الضابط ٣ : لاياسيدى . ولا مثقال ذرة إنى أعرف وجهك .
وإن لم تكن على رأسك قلنسوة البحر .
خذوه فهو يعلم أنى أعرفه .

أنطونيو : ليس من الطاعة بد (لفيولا) يكون هذا فى أثناء بحثى عنك ولكن
لابد مما ليس منه بد . يجب أن أجيب .
ماعسى أن تصنع الآن وقد قضت على الضرورة
بأن أسترد منك مالى
إن عجزى عن معونتك لأشق علىّ .
مما أنا فيه . إن الدهش ليبدو عليك .
ولكن تشجع .

(١) يقصد الحصان ولكن فيولا لا تدرى شيئاً عنه .

الضابط ٢ : هلم ياسيدى . لنمض .

أنطونيو : يجب أن أرجو منك أن ترد على بعض هذا المال .

فيولا : أى مال ياسيدى .

من أجل كرمك الخير الذى أظهرته لى هنا .

ومن أجل تأثرى بهذا المكروه الذى يلم بك .

أستطيع أن أقرضك شيئاً من مالى النذر اليسير .

إن ذخيرتى ضئيلة .

فسأقاسمك إياها .

إليك هذا نصف ماتحتويه خزانتى .

أنطونيو : أمنكرى أنت الآن ؟ أيمكن ألا يؤثر فى نفسك

بلائى فى سبيلك ؟ لاتثر شقائى .

فقد يخرجنى ذلك عن طورى .

فألومك على إحسانى إليك .

فيولا : لا أعرف من إحسانك شيئاً

لا أعرف وجهك ولا صوتك .

إنى أبغض الجحود أكثر مما أبغض الغرور الكاذب أو السكر

المعربد أو أى فساد تجريه الرذيلة فى دمنا الضعيف .

أنطونيو : ياللسماء .

الضابط ٢ : هلم ياسيدى . أرجو أن نمضى .

أنطونيو : دعنى أقل شيئاً ، لقد استنقذت هذا الفتى
الذى تراه من بين فكى الموت
وأعنته بقدسية الحب .
من أجل صورته التى أشعرتنى بأننى كريم
أخلصت له حبى .

الضابط ١ : مالنا ولهذا ، إن الوقت يمضى . فلننصرف .

أنطونيو : ولكن هذا الإله قد استحال إلى صنم حقير .
لقد كسوت محياك الوسيم بالعار ياسيبستيان .
فليس قبح الإنسان فى مظهره وإنما هو فى نفسه .
ولايمكن أن يوصف أحد بأنه مشوه .
إلا أن يكون خبيث النفس .
إنما الفضيلة هى الجمال .
وإنما جمال الرذيلة خزانة فارغة[1] يزينها الشيطان .

الضابط ١ : لقد جن الرجل . هلم خذوه ، هلم ياسيدى .

أنطونيو : خذونى .
(يخرج مع الضباط)

فيولا : يخيّل إلىّ أن ألفاظه . تصدر عن اقتناع حار

---

(١) كانت الخزائن الفارغة من فاخر الأخشاب أو العاج مزينة تستعمل أثاثاً جميلاً وهى معدة لاستعمال الضيوف .

يدل على صدقه . ماذا يجب أن أعتقد !
أثبت أنك حق أى خيالى . أثبت أنك حق .
وأثبت أنه ظننى إياك أيها الأخ العزيز .

سير توبى : إلىّ أيها النبيل ، إلىّ يا فبيان
سنغمغم بزوج أو زوجين .
من الأمثال الحكيمة .

فيولا : لقد ذكر اسم سيبستيان . إنى لأعرف فى نفسى صورة أخى حيًّا
كلما نظرت فى المرآة
كذلك كان أخى وكذلك كان أيضاً يمشى
وكانت لثيابه هذه الألوان وهذه الزينة .
فإنى إنما أقلده . إن يكن هذا حقًّا .
فإن العواصف خيرة وإن الأمواج المالحة لتعرف حلاوة الحب .
(تخرج)

سير توبى : هذا فتى جحود .
وغد وأجبن من أرنب وإن جحوده
ليظهر فى إعراضه عن صديقه فى وقت الحاجة إليه وأن يجحد هذا
الصديق . أما جبنه فليسأل عنه فابيان .

فابيان : جبان مخلص عاكف على الجبن

سير آندرو : بعداً له لأعدون فى أثره ولأضربته .

سير توبي : افعل اضربه ضرباً مبرحاً . ولكن إياك أن تسل السيف .

سير آندرو : إن لم أفعل ذلك ! ! !

(يخرج)

فابيان : هلم . تعال ننظر مايكون .

سير توبي : أستطيع أن أراهن بماشئت من مال على أن شيئاً لن يكون .

(يخرجان)

* * *

الفصل الرابع

المنظر الأول

أمام دار أوليفيا

(يدخل سيبستيان والمضحك)

المضحك : أتريد أن تلقى فى روعى أنى لم أرسل للبحث عنك .

سيبستيان : انصرف . انصرف . فإنما أنت رجل أحمق .

المضحك : لعمرى ما أبرعك . لا لست أعرفك . لا لم ترسلنى ، سيدتى تدعوك إلى مناجاتها . لا ليس اسمك الأستاذ سيزاريو . وليس هذا أيضاً أنفى . لا شىء مما هو كائن بكائن .

سيبستيان : أرجو منك أن تذهب لتنشر جنونك فى غير هذا المكان . فأنت لاتعرفنى .

المضحك : لأنشر جنونى . لعله سمع هذه الكلمة من بعض الكبراء وهو الآن يقولها لمضحك . لأنشر جنونى . أخشى ألا يكون هذا السخف الذى يسمونه العالم الأحمق . أرجو أن تلقى عنك غرابتك وأن تنبئنى ماذا أنشر على سيدتى أأنشر عليها أنك مقبل .

سيبستيان : أرجو أيها اليونانى[١] الأبله أن تدعنى . خذ هذا النقد فإن تقم أكثر من ذلك . دفعت إليك شيئاً آخر شراً منه .

المضحك : لعمرى إن يدك لمبسوطة . إن هؤلاء العقلاء الذين يعطون ماالهم للمضحكين ليكتبون لأنفسهم بعد الصوت بعد أمد طويل[٢]

(يدخل سير آندرو وسير توبى وفابيان)

سير آندرو : والآن ياسيدى ، هل أراك مرة أخرى . خذ هذا (يلطمه)

سيبستيان : ماذا . خذ أنت (يلطم سير آندرو) ثم خذ . ثم خذ . أصار الناس كلهم إلى الجنون .

سير توبى : حسبك ياسيدى أو أطير سيفك إلى ماوراء الدار .

المضحك : يجب أن أسرع فأقص هذا كله على سيدتى . فما أريد أن أكون فى ثياب أحدكم ولو منحت بنسين .

(يخرج)

سير توبى : هلم ياسيدى قف .

سير آندرو : لادعه يفعل . سأمضى معه إلى حيث أؤدى إليه حسابه . سأقاضيه على اعتدائه إن بقى فى الليريا شىء من عدل . وإن كنت أنا الذى بدأت بضربه ولكن هذا شىء لاخطر له .

سيبستيان : ارفع يدك عنى .

---

(١) يونانى : كانوا يضربون بالرجل اليونانى مثلاً للمرح الذى لايهتم لشىء .

(٢) فى الأصل أربعة عشر عاماً بقصد التكثير .

سير توبى : مهلا ياسيدى لن أطلقك . هلم أيها الجندى الفتى أغمد سيفك .
فقد أسرفت على نفسك دع هذا .

سيبستيان : سأخلص نفسى منك (يتخلص من قبضته) . ماذا تريد إذن ؟ إن
اجترأت على أن تثيرنى أكثر من ذلك فسل سيفك .

سير توبى : ماذا ! ماذا ! يجب أن أسفك رطلا أو رطلين من دمك الوقح .
(يسل سيفه)
(تدخل أوليفيا)

أوليفيا : قف ياتوبى بحياتك . قف. بذلك آمرك .

سير توبى : سيدتى .

أوليفيا : أستجرى الأمور على ذلك دائماً ؟ . أيها البائس الغليظ الذى
خلق ليعيش فى الجبال والكهوف المستوحشة .
حيث لا رقة ولا أدب . غيب وجهك عنى .
لاعليك أيها العزيز سيزاريو .
اغرب أيها الوحش .
(يخرج سير توبى وسير آندرو وفابيان)

أرجو منك أيها الصديق العزيز أن تحكم عقلك لا غضبك
فى هذه الإساءة الغليظة الجائرة إلى أمنك
واتبعنى إلى دارى
حيث تسمع قصص الحماقات الكثيرة التى دبرها

هذا الأثيم وربما أثار هذا ابتسامك .
ليس لك إلا أن تتبعنى .
لاترفض رفقاً بى
لقد أصاب قلبى بعدوانه عليك .

سيبستيان : أى وقع حسن لهذا . كيف يمضى التيار ؟
إما أن أكون مجنوناً أو أن يكون هذا حلماً
ليترك الحلم حتى يغرق فى النسيان .
إن يكن الحلم هكذا فليتصل نومى .

أوليفيا : كلا . أرجو أن تتبعنى . أريد أن تطيعنى .

سيبستيان : أجل ياسيدتى . أريد ذلك

أوليفيا : قل هذا وليكن ماتقول !

(يخرجان)

* * *

المنظر الثانى

دار أوليفيا

(تدخل ماريا والمضحك)

ماريا : ولكن أرجو منك أن تتخذ هذا الثوب وهذه اللحية . خيل إليه أنك القس سير توباز . أسرع وفى أثناء ذلك سأدعو سير توبى .

(تخرج)

المضحك : حسنا سأتخذهما وسأستخفى فيهما . وإنى لأتمنى أن أكون أول من تنكر فى مثل هذا الثوب . لست من الطول بحيث ألائم هذا الدور . ولست من النحافة بحيث يظن بى أنى أحد العلماء . ولكن سواء على أن أكون رجلا موسعاً عليه أو أن أكون صاحب جد وعلم . هؤلاء شركائى .

أقبلوا .

(يدخل سير توبى وماريا)

سير توبى : بارك جوبيتر عليك ياسيدى القسيس .

المضحك : بونس ديس[1] ياسير توبى ، إن ذاك الكائن كائن كما كان يقول فى ذكاء ناسك براج الشيخ الذى لم يرد قط قلما ولا حبراً لابنة أخ

---

(١) « Bonos Dies » : باللغة اللاتينية فى النص : ومعناه طابت لك الأيام .

الملك جوربودوك[1] . وإذن فأنا السيد القسيس مادمت السيد القسيس فما «ذاك» إن لم يكن «ذاك» .
وما «كائن» إن لم يكن «كائن» .

سير توبى : هلم إليه ياسير توباز !

المضحك : إذن ياهذا ! فليكن سلام فى هذا السجن !

سير توبى : إن الماكر ليحسن التمثيل . إنه لماكر ماهر .

مالفوليو : (من الداخل) من يدعو من هناك .

المضحك : هو سير توباز القسيس قد أقبل ليزور مالفوليو المعتوه .

مالفوليو : سير توباز سير توباز . أيها الكريم سير توباز ، اذهب إلى سيدتى .

المضحك : إلى وراء أيها الشيطان الجامح . لماذا تعذب هذا الرجل . ألا تتحدث عن شىء إلا عن النساء .

سير توبى : أحسنت أيها الأستاذ القسيس .

مالفوليو : ياسير توباز ، لم يهن رجل قط على هذا النحو . أيها الكريم سير توباز لا تعتقد أنى مجنون . إنما هم الذين ألقونى فى هذه الظلمات البشعة .

المضحك : إليك أيها الشيطان الرجيم . إنى أتحدث إليك فى أرق لفظ فإنى من هؤلاء الناس المهذبين الذين يعاملون الشيطان نفسه معاملة

---

(١) جور بودوك : ملك عرفه التاريخ ومثلت حياته فى قصة سنة ١٥٦١ . أما ناسك براج فشخص خيالى .

كريمة . أتزعم أن هذا البيت مظلم ؟

مالفوليو : كالجحيم ياسير توباز .

المضحك : إنه له نوافذ شفافة ، لكأنها المتاريس يرى من ورائها . وإن نوافذه العالية التى تطل على الشمال الجنوبى لتلمع كما يلمع الأبنوس وأنت مع ذلك تشكو من الإظلام .

مالفيو : لست مجنوناً ياسير توباز ولكنى أقول لك إن هذا البيت مظلم .

المضحك : أنت مخطئ أيها الأحمق ليس هناك ظلمة إلا ظلمة الجهل التى تغرق فيها كما غرق المصريون ساعة خرج موسى فيما أطبق عليهم من الضباب [1] .

مالفوليو : أقول لك إن هذا البيت مظلم كالجهل وإن كان الجهل مظلماً كالجحيم . وأقول لك إن رجلا لم يسأ معاملته قط على هذا النحو . لست أشد جنوناً منك . وامتحن ذلك بأن تلقى على ماششت من أسئلة جادة محددة .

المضحك : سارأى فيثاغورس فى الطير المستوحشة ؟

مالفوليو : هو أن من الممكن أن تتقمص نفس جدتنا طائراً .

المضحك : وماذا نقول فى رأيه .

مالفوليو : إنى أكبر النفس ، ولا أقر رأيه بحال .

---

(١) فى التوراة أن موسى فى خروجه أمر بأن يرفع يده إلى السماء فلما فعل غشى مصر كلها ضباب كثيف انظر سفرالخروج ١٠ – ٢١ – ٢٢ .

المضحك : وداعاً . أقم إذن فى الظلمة . فلن أراك عاقلا حتى تؤمن برأى فيثاغورس . واحذر أن تقتل طائراً من طير الغابة فتجرد نفس جدتك من جسمها . وداعاً .

مالفوليو : سير توباز . سير توباز .

سير توبى : أيها المحبب إلى سير توباز .

المضحك : إنى لأسبح فى كل ماء وأستطيع أن أمثل أى دور شئت .

ماريا : قد كنت تستطيع أن تمثل هذا الدور دون هذا الثوب وهذه اللحية فهو لا يراك .

سير توبى : اذهب الآن فحدثه بصوتك الطبيعى ، ثم عد فأنبئنى كيف وجدته . فإنى أريد أن نخرج فى لطف من هذه اللعبة . فإن يكن من اليسير أن نرده إلى الحرية فأنا حريص على ذلك . فقد أسرفت فى إغضاب ابنة أخى حتى أصبح من العسير أن أمضى فى الدعابة إلى أبعد مما بلغت . تعال بعد ذلك إلى غرفتى .

(يخرج سير توبى وماريا)

المضحك : (يتغنى) أيها العصفور روبين . أيها الظريف روبين . أنبئنى ماذا تصنع غادتك ؟

مالفوليو : أيها المضحك .

المضحك : تالله ، إن غادتى لقاسية .

مالفوليو : أيها المضحك .

المضحك : واحسرتاه فيم قسوتها .

مالفوليو : أيها المضحك إنى أدعوك .

المضحك : ذلك لأنها تحب رجلا آخر . ماذا ! من يدعونى ؟

مالفوليو : أيها المضحك الكريم إن كنت تحبنى فأعطنى قنديلا وقلماً وحبراً ورقاً . لعمرى شرف الأشراف لأظلن شاكراً لك دائماً .

المضحك : أيها الأستاذ مالفوليو .

مالفوليو : أجل أيها المضحك الكريم .

المضحك : واحسرتاه ياسيدى . كيف أضعت عقلك .

مالفوليو : أيها المضحك لم يخدع قط رجل كما خدعت . إن لى لعقلا صحيحاً كعقلك أيها المضحك .

المضحك : كعقلى ! وإذن فأنت مجنون حقاً ، إن لم يكن حظك من العقل إلا حظ المضحك .

مالفوليو : لقد سخروا منى وقبضوا على وأسكنونى فى الظلمات وأرسلوا إلىّ قسيساً ، يالهم من خمير ! صنعوا كل ما استطاعوا لأضل عقلى .

المضحك : تنبه إلى ماتقول إن القسيس هنا (مقلداً القسيس) أى مالفوليو . أى مالفوليو . رد الله عقلك اجتهد فى أن تنام ودع ثرثرتك .

مالفوليو : سير توباز .

المضحك : (مقلداً القسيس) لاتجاذبه الحديث أيها الصديق العزيز (متحدثاً بصوته الطبيعى) أنا ياسدى كلاياسيدى .

أعانك الله أيها الكريم سير توباز . طبعاً ياسيدى طبعاً .

مالفوليو : أيها المضحك . أيها المضحك . إنى أدعوك .

المضحك : وأأسفاه ياسيدى صبراً . ماذا تقول ياسيدى . إنى ألام حين أحدثك .

مالفوليو : أيها المضحك الكريم أعطنى نوراً وورقاً . قلت لك إنى صحيح العقل كأى رجل فى الليريا .

المضحك : ليتك كنت كما تقول ياسيدى .

مالفوليو : أقسم بقبضة يدى تلك أنى صحيح العقل . أيها المضحك الكريم حبراً وورقاً ونوراً . واحمل ما سأكتب إلى سيدتى . فلم يكافئ قط حامل رسالة كما ستكافأ .

المضحك : سأعينك . ولكن أنبئنى بالحق ألست مجنوناً حقًّا .
أم أنت تتكلف الجنون .

مالفوليو : صدقنى لست مجنوناً فإنى أقول لك الحق .

المضحك : كلا لن أصدق مجنوناً حتى أرى مخه . سألتمس لك ورقاً ونوراً وحبراً .

مالفوليو : سأكافئك على ذلك خير مكافأة . امض أرجوك .

المضحك : (مغنياً) لقد مضيت ياسيدى .
وبعد لحظة ياسيدى
سأعود إليك عما قليل .

فى لمح البصر
كالرذيلة فى المسرحيات القديمة [1]
لأخدمك كهذا الذى
يشهر سيفاً من خشب
ويصيح فى غضب
بالشيطان ها . ها .
قائلا كأنه مجنون شاب .
قلم أظفارك يا ابنى .
وداعاً أيها الشيطان الطيب .
(يخرج)

* * *

(١) المسرحيات القديمة هى التى كانت تدعى « الخلقية » Ethical وكان من أهم شخصياتها « الرذيلة » فى صورة رجل له رأس حمار : وهو أصل دور المضحك فى المسرحيات الأحدث عهداً .

المنظر الثالث

حديقة أوليفيا

(يدخل سيبستيان)

سيبستيان : هذا هو الهواء وهذه هى الشمس المجيدة .
وهذه اللؤلؤة التى أهدتها إلى ألمسها وأراها .
ومع أن الدهش يغمرنى .
فليس ما أنا فيه جنوناً . أين أنطونيو الآن ؟
لم أستطع أن أجده فى فندق الفيل .
وهو مع ذلك قد ذهب إليه . وقد تأكدت هناك
أنه طوف بالمدينة كلها ليلقانى .
لقد كان نصحه لى الآن جديراً أن ينفعنى أعظم النفع .
فمع أن عقلى يخاصم ما تحس به حواسى خصاماً عنيفاً .
ليتبين أيمكن أن يكون هذا خطأ لا جنوناً .
فإن هذا الحدث – وهذا الحظ السعيد المفاجئ .
يتجاوزان كل تقدير وكل تفسير .
حتى لأوشك ألا أثق بعينى .
وأن أخاصم عقلى الذى يريد أن يقنعنى

بأى شىء آخر إلا أنى مجنون
أو أن السيدة مجنونة . ولكنها لو كانت كذلك
لما استطاعت أن تدير بيتها وتحكم خدمها
وتجرى أعمالها لأخذاً وعطاء
وتمضى كل شىء فى هدوء ودعة وثبات .
كما أراها تفعل أن فى هذا كله لخدعة
ولكن هاهى ذى السيدة مقبلة .
(أوليفيا تدخل ومعها قسيس)

أوليفيا : لا تلم تسرعى . إن تكن صادق النية ،
فاصحبنى واصحب هذا الرجل الطاهر
إلى المصلى . هنالك أمامه .
وتحت هذا السقف المقدس .
أقسم لى على وفائك الدائم
لتستطيع نفسى الغيور المرتابة
أن تعيش فى سلام . وسيظل هذا مكتوماً
حتى يروقك إعلانه .
عندئذ نحتفل به فى الأبهة .
التى تليق بمقامى ، ماذا تقول ؟

---

(١) تريده أن يقوم بمراسم الخطبة كما هو متبع إلى الآن فى الكنيسة .

سيبستيان : سأتبع هذا القديس وأصحبك
وبعد أن أقسم لك على وفائى سأظل لك وفيًا إلى آخر الدهر.

أوليفيا : إذن قدنا يا أبتى ولتشرق السماء ما استطاعت الإشراق [١] لتظهر رضاها عن هذا العمل الذى أقدم عليه.

(يخرجون)

* * *

(١) مايزال الاعتقاد الشعبى قائماً أن العروس التى تشرق الشمس يوم زفافها ستكون سعيدة ، وإن الميت الذى ينزل المطر فى جنازته سيكون مثواه الجنة.

الفصل الخامس

المنظر الوحيد

أمام دار أوليفيا

(يدخل المضحك وفابيان)

فابيان : إن كنت تحبني فأرني رسالته .

المضحك : أيها الأستاذ الكريم فابيان أجبني إلى طلب آخر .

فابيان : ماشئت ؟

المضحك : لا تطلب إلى أن أريك هذه الرسالة .

فابيان : لكأني أهديت إليك كلباً ثم طلبت إليك أن ترده إلى جزاء لهديتي .

(يدخل الدوق وفيولا وكوريو ونبلاء)

الدوق : أأنتما من رجال السيدة أوليفيا ؟

المضحك : أجل ياسيدي نحن بعض ماتتحلى به من حاشية

الدوق : لقد عرفتك . كيف تجدك أيها الرفيق الطيب .

المضحك : الحق أقول لك ياسيدي إني أجدني على خير حال مع عدوي وعلى

شر حال مع صديقى .

الدوق : إنما العكس هو العدل . فأنت تجدك على خير حال مع الصديق .

المضحك : كلا ياسيدى . بل على شر حال .

الدوق : كيف يكون ذلك ؟

المضحك : لعمرى ياسيدى إن أصدقائى يمدحوننى ويتخذوننى حماراً على حين يصارحنى العدو بأنى حمار . وكذلك ازداد بفضل العدو معرفة لنفسى ، على حين يخدعنى عنها الصديق وإذن فإن يكن أمر النتائج كأمر القبل تحتاج إلى اثنين لتتم فإن نفيك الأمر أربع مرات يساوى إثباتك إياه مرتين . وعلى ذلك أستطيع أن أقول إنى على شر حال مع الصديق وعلى خير حال مع العدو .

الدوق : هذا بارع جدًّا .

المضحك : لا يا سيدى لعمرى وإن أعجبك أن تكون بعض صديقى .

الدوق : لن تجدك على شر معى . إليك هذا الذهب .

المضحك : لولا أن يظن أن فى الأمر مكراً مزدوجاً لوددت لو ضاعفت عطاءك .

الدوق : إنك لتقدم لى مشورة سيئة .

المضحك : أما هذه المرة ياسيدى فضع سماحتك[1] فى جيبك ودع سجيتك هى التى تتصرف .

---

(١) فى الأصل Grace يقصد بها المعنيين سماحتك أى سيادتك وقدرتك على مقاومة الشر.

الدوق : جسناً سأخطئ بمضاعفة المكر. إليك ذهباً آخر.

(يعطيه مالا)

المضحك : واحد. اثنان. ثلاثة. هذا هو اللعب الحق. ويقول المثل القديم. إن الثالثة ثابتة. والنغمة ذات الحركات الثلاث ملائمة للرقص يا سيدى. وأنت تعلم يا سيدى أن أجراس كنيسة القديس بنت [١] تعد واحداً واثنين وثلاثة..

الدوق : لن تستطيع بلعبتك أن تستخرج منى ذهباً آخر. ولكن إن أردت أن تنبئ سيدتك بمكانى واستطعت أن تأتى بها لأتحدث إليها فقد تستطيع أن توقظ فيّ كرماً جديداً.

المضحك : لعمرى ياسيدى تستطيع أن تقول مساء الخير لكرمك حتى أعود. سأذهب يا سيدى. ولكنى لا أحب أن تظن أن رذيلة الطمع هى التى تغرينى بكرمك. ولكن كما تقول ياسيدى دع كرمك ينم قليلا فسأوقظه بعد حين.

(يخرج)

فيولا : هذا هو الرجل الذى أنقذنى مقبلا، يا سيدى.

(يدخل أنطونيو وضباط)

الدوق : إنى لأذكر هذا الوجه.
ومع ذلك فحين رأيته لآخر مرة.

---

(١) اسم كنيسة 'St. Bennet'.

كان سواد الدخان يغشيه كفولكانوس[١] .
كان قبطاناً لسفينة غير ذات بال
قليلة العمق ضئيلة الحجم .
وبهذه السفينة البائسة شد على
أقوى السفن وأعظمها شدة دامية
لم يستطع الحسد نفسه ولسان الهزيمة
إلا الثناء عليها . ما خطبه ؟

الضابط ١ : أى أورسينو . هذا هو أنطونيو
الذى أخذ « الفينكس »[٢] وما كانت تحمل من كنديا[٣]
وهذا هو الذى شد على « نمرتنا »[٤]
حين فقد ابن أخيك الفتى تيتوس ساقه ،
أخذناه هنا فى الشارع وقد تورط
دون مبالاة بمركزه ولا خجل فى خصومة خاصة .

فيولا : عطف على يا سيدى ودافع عنى
ولكنه اتبع ذلك بحديث غريب .

---

(١) فولكانوس : هو الاسم اللاتينى لإله النار والمعادن عند اليونان والرومان .
(٢) فينكس اسم سفينة .
(٣) كنديا : ثغر من ثغور اقريطش .
(٤) « النمر » : اسم سفينة .

لست أدرى أكان ذلك منه جنوناً .

الدوق : أيها القرصان الشهير أى قاطع الماء المالح .
أى جرأة مجنونة ألقت بك إلى الذين
جعلتهم لك عدوًّا على نحو دام هائل الخطر .

أنطونيو : أى أورسينو . أيها السيد النبيل .
آذن لى فى أن أرفض الاسم الذى سميتنى به .
فلم يكن أنطونيو قط قرصاناً ولا قاطع طريق
وإن كنت أعترف بأنى عدو لأورسينو لأسباب قوية .
إنما هو سحر ألقى بى فى هذه الأرض .
وأنا الذى أنقذ هذا الفتى الجاحد القائم إلى جانبك .
وانتزعته من فم البحر المزبد المتوحش الغاضب .
لقد كان مشرفاً على الغرق منقطع الأمل من النجاة .
وأنا الذى رد عليه حياته وأضفت إليها .
حبى فى غير تقتير ولاتقدير .
منحته هذا كله . ومن أجل إنقاذه عرضت نفسى للخطر . من
أجل حبه خاطرت بنفسى فى هذه المدينة التى تبغضنى .
سللت سيفى لأذود عنه
حين كان محاصراً .
وحين قبض على أبى مكره الخائن

ألا يقاسمني حظي وعلمه أن ينظر إليّ
كما لو لم أكن له صديقاً
وأصبحت في لمح البصر وكأني شيء نسي منذ عشرين عاماً
بل لقد أبى أن يرد علي مالي
الذى استودعته إياه منذ نصف ساعة لينفق منه .

فيولا : كيف يمكن أن يكون هذا ؟

الدوق : متى وصل إلى هذه المدينة .

أنطونيو : اليوم يامولاى
ونحن لم نفترق لحظة من ليل أو نهار منذ ثلاثة أشهر .
(تدخل أوليفيا ومعها حاشيتها)

الدوق : هذه الكونتيسة مقبلة وهذه السماء تمشى على الأرض
أما أنت ياصديقي فكلماتك تصور الجنون .
إن هذا الوصيف لم يفارقني منذ ثلاثة أشهر[1]
ولكننا سنتم هذا الحديث بعد حين . فليؤخذ .

أوليفيا : ماذا يريد سيدى وهل أستطيع أن أنفعه .
فى شىء ، غير الذى لايمكن أن يناله .
أى سيزاريو إنك لاتفى بالوعد الذى وعدتنى .

---

(١) الظاهر أن شيكسبير نسى أنه فى الفصل الأول المنظر الرابع البيت ٣ ينص على أن الدوق عرف فيولا من ثلاثة أيام ليس غير والحركة فى المسرحية بعد ذلك تسير بسرعة .

فيولا : سيدتى .

الدوق : أيتها الجميلة أوليفيا .

أوليفيا : ماذا تقول يا سيزاريو . أى مولاى الكريم .

فيولا : سيتكلم مولاى فيجب أن ألزم الصمت

أوليفيا : إن كان الأمر يتصل يا مولاى بالنغم القديم فإنه بغيض منكر فى أذنى .

كالصخب بعد الموسيقى .

الدوق : مازلت على قسوتك .

أوليفيا : بل مازلت ثابتة يامولاى .

الدوق : ثابتة على قسوتك ؟ يا لك من امرأة مسرفة فى القسوة .

وقد نثرت نفسى على أنصابك الجاحدة المشئومة

من الزفرات أوفى وأخلص ما وضع قط

على الأنصاب من قربان . ماذا أصنع ؟

أوليفيا : اصنع يامولاى ماشئت وما يلائمك .

الدوق : ولم لا أصنع لو أطاعتنى شجاعتى

كما صنع اللص المصرى[1] حين قتل حبيبته قبل أن يموت إنها

لغيرة وحشية نبيلة المذاق أحياناً .

---

(١) إشارة إلى قصة يونانية تصور رجلاً من مدينة ممفيس أحب فتاة وأراد أن يتزوجها فآوى بها إلى كهف ولكن بعض قطاع الطرق هجموا عليه فهم بقتل حبيبته فأخطأها .

ولكن استمعى لى
مادمت لاتريدين أن تحفلى بحبى
ومادمت أعلم بعض العلم السبب
الذى يذودنى عن مكانى الحق من قلبك
فعيشى وكونى دائماً طاغية قد اتخذ قلباً من صخر
ولكن هذا الفتى الجميل الذى أعلم أنك تحبينه
والذى أقسم بالسماء على أنى أحبه فى حنان
سأنزعه من هذه العين القاسية
التى استقر فيها متوجاً على برغم مولاه .
اتبعنى يا غلام . لقد نضج الشر فى نفسى
لأضحين بالحمل الذى أحبه
لأغيظ قلب غراب فى جسم حمامة .
(يتجه ليخرج)

فيولا : وأنا سعيد فرح ومستعد أن أموت
ألف مرة لترضى وتسعد وتستريح .
(يتبعه)

أوليفيا : أين يذهب سيزاريو .

فيولا : إلى حيث اتبع من أحب
وأوثر على هاتين العينين وعلى حياتى

وأكثر من أى كثرة ، بل أكثر من غير شك مما يمكن أن أحب
زوجى .
وإن أك كاذباً فأنت أيها الذى يشهدنى من السماء تستطيع أن
تحرمنى الحياة لأنى أهنت حبى .

أوليفيا : بؤساً لى . إنه يبغضنى . ما أشد ما خاننى .
فيولا : من الذى خدعك ! من ذا الذى أساء إليك .
أوليفيا : أنسيت أنت ؟ ! أمضى وقت طويل ؟ ! .
أدعو القسيس .

الدوق : هلم لننصرف .
أوليفيا : إلى أين يا مولاى ، أى سيزاريو . أى زوجى أقم .
الدوق : زوجها .
أوليفيا : أجل زوجى أيستطيع أن ينكر ذلك ؟
الدوق : زوجها أيها الأثيم .
فيولا : كلا يا مولاى . لست إياه .
أوليفيا : واحسرتاه إنما هو خوفك الوضيع
الذى يغريك بإنكار نفسك
لا تخف يا سيزاريو . تقبل حظك
وكن من أنت وإذن تصبح عظيماً

كهذا الذى تخافه .

(يدخل القسيس)

أوليفيا : خير مقدم يا أبتى . يا أبتى بحقك على
أعلن هنا ماتعلم أنه كان
منذ قليل بين هذا الفتى وبينى
وإن نكن قد أزمعنا أن نخفى
ما لا تقضى الظروف بإعلانه الآن .

القسيس : عقد زواج قوامه حب خالد .
أكده اجتماع يديكما
وحققته قبلة مقدسة على الشفاه .
وقواه تبادل خاتميكما .
وقد أثبت الاحتفال بهذا العقد
الذى أجريته وشهدت عليه .
وأنبأتنى ساعتى بأنى
لم أسع إلى قبرى
منذ ذلك الوقت إلا ساعتين .

الدوق : يالك من ثعلب صغير ماعسى أن تكون
حين ينشر الزمان البياض فى شعرك .
أم ترى سيحيق بك

مكرك السيىء قبل أن تنمو .
وداعاً ودونكما ولكن امض
إلى حيث لايمكن أن نلتقى آخر الدهر .

فيولا : مولاى . أقسم .

أوليفيا : لاتقسم شيئاً من الأيمان
وإن تكن جباناً .
(يدخل سير آندرو)

سير آندرو : بالله ألا ماالتمستم طبيباً . أرسلوا طبيباً إلى سير توبى فى سرعة .

أوليفيا : ماذا ؟ !

سير آندرو : لقد شج رأسى شجة شنيعة . ومنح سير توبى ضربة دامية أعينونا بالله وددت أن أكون فى دارى وأن أخسر أربعين جنيهاً .

أوليفيا : من جنى هذا ياسير آندرو .

سير آندرو : تابع الدوق المسمى سيزاريو . كنا نراه جباناً فإذا هو الشيطان الأحمر نفسه .

الدوق : تابعى سيزاريو !

سير آندرو : ويلاه هاهو ذا . لقد شججتنى فى غير شىء ولم أصنع إلا ما أغرانى به سير توبى .

فيولا : لم تسوق الحديث إلى . فإنى لم أصبك قط .
لقد سللت سيفك على دون سبب

ولكنى عاملتك فى رفق ولم أؤذك .

سير آندرو : إن تكن الضربة القاسية جرحاً فقد جرحتنى ، وعسى ألا تكون الضربة الدامية شيئاً بالقياس إليك .

(يدخل سير توبى والمضحك)

سير آندرو : هذا هو سير توبى مقبلا يعرج وستسمعون منه أكثر مما سمعتم منى . ولو لم يكن سكران لداعبك على نحو آخر .

الدوق : ماذا أيها النبيل ! ما بك ؟

سير توبى : بى ! أنه جرحنى لا أكثر . لقد قلت كل شىء أيها السكير أبحثت عن الجراح « ديك » أيها السكير ؟

المضحك : إنه ثمل ياسير توبى . منذ ساعة كانت عيناه لاتطرفان ثابتة ثبوت عين الثمل .

سير توبى : إنه إذن المجرم ، كالراقصة الوقور حينما تجاوز حقها ، إنى لأبغض المجرم الثمل .

أوليفيا : خذوه ، من الذى أصابهما .

سير آندرو : سأعينك ياسير توبى . فستضمد جراحنا معاً .

سير توبى : تعيننى أنت يارأس الحمار . أيها المغفل الحقير ذو الوجه المعروق أيها الأحمق .

أوليفيا : ليوضع فى سريره وليضمد جرحه .

(يخرج المضحك وفابيان وسير توبى وسير آندرو)

(يدخل سيبستيان)

سيبستيان : إنى آسف ياسيدتى لأنى أصبت قريبك .
ولكنه لو كان أخى من دمى
لما صنعت غير ذلك اتباعاً للحكمة ودفاعاً عن النفس .
إنك لتلقين إلىّ نظرة غريبة
ويخيل إلى أنى أسأت إليك .
امنحينى عفوك ياحبيبتى
ولو رعاية لما تبادلنا من الحب منذ لحظة .

الدوق : وجه واحد وصوت واحد وثوب واحد ورجلان .
خداع نظر على الطبيعة : كائن ولا كائن .

سيبستيان : أى أنطونيو ، أيها العزيز أنطونيو !
ما أكثر ما عذبتنى الأيام
منذ فقدتك .

أنطونيو : أأنت سيبستيان ؟

سيبستيان : أيمكن أن يضايقك شىء فى أن أكون إياه يا أنطونيو .

أنطونيو : كيف شطرت نفسك شطرين . .
إن شطرى التفاحة لايتشابهان
كما يتشابه هذان المخلوقان ! أيهما سيبستيان .

أوليفيا : شىء رائع .

سيبستيان : أيمكن أن أكون أنا القائم هنا . لم يكن لى قط أخ

وليست لى الميزة الخارقة بأن أكون هنا وهناك فى نفس الوقت .
لقد كانت لى أخت
التهمها البحر بأمواجه العمياء .
(إلى فيولا) أضرع إليك أن تنبئنى أى قرابة بينك وبينى .
ما وطنك وما اسمك وما أسرتك ؟

فيولا : أنا من مسالين وكان أبى يسمى سيبستيان .
كما أن سيبستيان كان أخاً لى
كان فى مثل زيك حين هبط إلى قبره الرطب .
فإن تكن الأرواح تستطيع أن تتقمص على هذا النحو الشكل
والثياب فقد أقبلت تروعنا .

سيبستيان : أجل . أنا روح فى الحق .
وقد تقمصت جسما تلقيته فى بطن أمى .
ولو كنت امرأة كما يدل كل شىء على ذلك .
إذن لتركت دموعى تنهمر على خديك
ولقلت مرحباً ثلاث مرات[1] أى فيولا
التى ظننتها غريقاً .

فيولا : كان لأبى خال على جبهته .

---

(١) مرة لتاريخ الميلاد ومرة للوالدين ومرة للوطن .

سيبستيان : ولأبى أيضاً .

فيولا : ومات حين عدت فيولا
ثلاثة عشر عاماً منذ ولدت .

سيبستيان : إن هذه الذكرى لحية فى نفسى .
لقد أتم حياته الفانية .
فى اليوم الذى أتمت فيه أختى الثالثة عشرة .

فيولا : إن لم يحل بيننا وبين السعادة
إلا ثوب الرجال الذى تكلفته .
فلا تقبلنى حتى ينبئ تفصيل الزمان والمكان والحظ
بأنى فيولا ولأجل أن نتبين ذلك
يجب أن أصحبك إلى قبطان فى هذه المدينة
أودعته ماكان لى من ثياب الفتاة
إذ بمعونته الرقيقة نجوت
واستطعت أن أخدم هذا الدوق النبيل .
وجرى أمرى كله منذ ذلك الوقت
بين هذه السيدة وهذا السيد .

سيبستيان : (لأوليفيا) وهذا مصدر خطئك يا سيدتى
ولكن غريزتك الطبيعية كامرأة قادتك بهذا الخطأ إلى مايجب أن
تقودك إليه .

كنت تريدين أن تتزوجى عذراء
ولعمرى ما أخطأت طريقك .
فأنت خطب لفتى تقى .

الدوق : لاتدهشى . إن دمه لنبيل .
أن تجرى الأمور على هذا النحو وإن لم تكذب الظواهر
فسيكون لى نصيبى من هذا الغرق السعيد[١]
(لفيولا) أيها الفتى لقد أنبأتنى ألف مرة
أنك لن تحب امرأة أبداً كما تحبنى .

فيولا : ومازلت مستعدة لأن أقسم على كل ما قلته لك .
وسأحتفظ بهذه الأيمان فى نفسى صادقة
كما تحتفظ قبة السماء بالشمس
التى تفرق بين الليل والنهار .

الدوق : أعطنى يدك وأرينى نفسك فى زى المرأة .

فيولا : إن القبطان الذى أنزلنى على هذا الساحل
محتفظ بما كنت ألبس من ثياب الفتاة .
وهو الآن فى السجن لقضية أقامها عليه مالفوليو[٢]

---

(١) إما أنه يشير إلى حادث الغرق المفرق بين الأخ والأخت مما أدى إلى هذا الموقف وإما هو يشير إلى غرق آماله فى الفوز بأوليفيا : والغرق كثيراً ما يكون يشير خير فى حوادث مسرحيات شيكسبير .

(٢) ليذكرنا بتجبر مالفوليو حتى لا نسرف فى الرثاء له .

نبيل من حاشية السيدة .

أوليفيا : سيعمل على إطلاقه . فيؤت لى بمالفوليو .
مع ذلك وا أسفاه إنى لأذكر
أن قد قيل لى إن هذا النبيل البائس قد صار إلى الجنون .
(يعود المضحك) وبيده رسالة ومعه فابيان) .
أنسانيه ما أصابنى أنا نفسى من الجنون
فشغلنى جنونى عما سواه
كيف هو ياغلام ؟

المضحك : لعمرى ياسيدتى إنه ليمسك الشيطان من طرف العصا ويوقف الناس عندما يجب لها من حدود كما يستطيع رجل مثله أن يفعل . وهذه رسالة قد كتبها إليك وكان يجب أن أؤديها إليك صباح اليوم . ولكن رسائل المجنون ليست إنجيلا ، فيمكن إذن أن تؤدّى فى كل وقت .

أوليفيا : فضها واقرأها .

المضحك : تهيئ للدهش . فهو مجنون يعرب عن مجنون .
(يقرأ) تالله ياسيدتى .

أوليفيا : ماذا ! أجننت ؟

المضحك : كلا يا سيدتى . إنما أقرأ جنوناً وإن شاءت سيادتك أن تقرأ هذه الرسالة كما ينبغى لها أن تقرأ فأذنى لى فى أن أؤديها على وجهها .

أوليفيا : أرجو أن تقرأ قراءة العاقل .

المضحك : كذلك أفعل يا سيدتى . فالقراءة العاقلة بالنسبة لمالفوليو ينبغى أن تكون كما أقرأ . وإذن فاسمعى ياسيدتى وأحسنى الإصغاء لتزنى الأمور .

أوليفيا : (لفابيان) أقرئنا أنت ياغلام .

فابيان : (يقرأ) تالله يا سيدتى إنك لتظلميننى وسيعلم الناس ذلك وأن تكونى قد ألقيتنى فى غيابة السجن ووكلت بى عملك ليعذبنى . ولكنى لا أملك عقلى كما تملكين يا سيدتى عقلك . إن عندى لكتابك الذى خطته يدك والذى تدعيننى فيه إلى أن أتكلف ما تكلفت . وبهذا الكتاب أستطيع أن أنصف نفسى أو أن أخجلك . ظنى بى ما تشائين . إنى أنسى واجبى بعض الشىء وأتحدث متأثراً بغيظى .

(مالفوليو الذى عومل معاملة المجنون)

أوليفيا : أهو الذى كتب هذا ؟

المضحك : نعم يا سيدتى .

الدوق : هذا شىء لايشتم منه الجنون .

أوليفيا : اذهب فأطلقه يافابيان وآت به هنا .

(يخرج فابيان)

أوليفيا : (للدوق) مولاى . بعد هذا كله

إن تفضلت فاتخذنى لك أختاً[1] لازوجاً
فأْذن فى أن يتوج هذا الحلف بيننا
فى يوم واحد وفى هذه الدار وعلى نفقتى .

الدوق : سيدتى . ما أشد رضاى بأن أقبل ماتعرضين .
(لفيولا) إن سيدك يعفيك ، ومن أجل ماقدمت إليه من خدمات
بعيدة كل البعد عما ينبغى لجنسك
وبعيدة كل البعد عما هيأتك له نشأتك وتربيتك
ومادمت قد دعوتنى وقتاً طويلا سيدك .
فإليك يدى وستكونين منذ الآن .
مولاة مولاك .

أوليفيا : وستكونين أختى .
(يعود فابيان ومعه مالفوليو)

الدوق : أهذا هو المجنون ؟

أوليفيا : نعم يامولاى هو نفسه .
كيف تجدك يا مالفوليو ؟

مالفوليو : سيدتى . لقد ظلمتنى
ظلماً صارخاً .

أوليفيا : أنا يا مالفوليو ؟ ! كلا .

---

(١) بزواجها من نبيبستيان وزواجه من فيولا أخت سيستيان .

مالفوليو : بل قد فعلت ياسيدتى . تفضلى واقرئى فى عناية هذا الكتاب فلن
تستطيعى أن تنكرى الآن أنه من صنع يدك
واكتبى إن شئت على نحو آخر رمزاً أو تعبيراً
أو أكدى أن هذا ليس خاتمك وأن النص ليس صادراً عنك لن
تستطيعى أن تنكرى من ذلك شيئاً . اعترفى بذلك إذن .
وأنبئينى فى شرف فيم منحتنى كل هذه الآيات على إيثارك لى .
فيم طلبت إلىّ أن أقبل عليك باسماً وقد اتخذت أربطة مخالفة
وجوارب صفراً وأن أقطب جبينى
فى وجه سير توبى وفى وجه الخدم .
حتى إذا فعلت ذلك فى أمل وحسب أمرك
قبلت أن أسجن
وأن أحبس فى بيت مظلم وأن يزورنى القسيس
وأن أصبح ضحكة لم يبتكر مثلها الخيال قط .
أنبئينى لماذا كل هذا .

أوليفيا : وا أسفاه مالفوليو . ليس هذا خطى .
وإن اعترفت بأنه يشبهه جدًّا .
ولكنه فى غير شك خط ماريا .
وأنا أذكر الآن أنها كانت
أول من أنبئنى بجنونك . وهنالك أقبلت باسماً

فى الزى الذى رسمه لك الكتاب .
فأرجو ألا تغضب .
فقد لعب بك فى قسوة
وإذا عرفنا مصدر هذا اللعب ولاعبيه
فستكون فى وقت واحد خصماً وحكماً
فى قضيتك .

فابيان : سيدتى الكريمة . أصغى إلىّ
ولنتجنب أن يفسد الخصام والضجيج
هذه الساعة الطيبة التى نحن فيها
والتى تغرقنى فى الدهش . من أجل ذلك أعترف مخلصاً كل
الإخلاص أنى أنا نفسى وتوبى
قد نصبنا هذا الشرك لمالفوليو
عقاباً له على الوقاحة المثيرة
التى لقينا بها وأن ماريا هى
التى كتبت الكتاب بإلحاح من سير توبى
ومكافأة لها على ذلك قد اتخذها له زوجاً .
وكل ما كان بعد ذلك من كيد
يغرى بالضحك لا بالانتقام
بشرط أن يوزن بميزان عدل

الضرر الذى أصاب الطرفين

أوليفيا : واأسفاه أيها المجنون البائس . لقد عبثوا بك .

المضحك : وإذن إن من الناس من يولدون فى العظمة ، ومنهم من يكسبها ، وبعضهم تفرض عليه العظمة فرضاً وقد شاركت فى لعب هذه الملهاة ياسيدى مثل رجل يسمى سير توباز ياسيدى . فلندع ذلك . «كلا تالله ما أنا بالمجنون» ولكن أتذكر ؟ «سيدتى كيف تستطيعين أن تضحكى من حديث هذا الأبله ؟ لو كففت عن الابتسام لأغلق فاه» وبذلك يدور عليه الزمن بالانتقام .

مالفوليو : أجل . سأنتقم من عصبتكم كلها .

(يخرج)

أوليفيا : لقد سخروا منه سخرية قاسية .

الدوق : أسرعوا فى إثره واجتهدوا فى تهدئته .

إنه لم يحدثنا إلى الآن عن القبطان .

فإذا اتضح لنا هذا الأمر وأقبلت الساعة الذهبية

جمعنا قلوبنا فى حفل عظيم .

وفى انتظار ذلك أيتها الأخت الحبيبة

لنبق هنا . أقبل ياسيزاريو .

فستحمل هذا الاسم ما اتخذت زى الرجال .

فإذا ظهرت فى زى آخر فستكون .

مولاة أورسينو وملكة حبه .

(يخرجون جميعاً إلا المضحك)

المضحك : (يغنى) [1] حين كنت غلاماً صغيراً ضئيلا

لم تكن الحماقة شيئاً ذا بال

هيه . هو بالريح . وبالمطر .

فإن المطر يمطر كل يوم .

* * *

ولكن حين صرت إلى الرجولة

هيه . هو . بالريح . وبالمطر

فالرجال يغلقون أبوابهم فى وجوه اللصوص وقطاع الطريق

فإن المطر يمطر كل يوم

* * *

ولكن واأسفاه منذ اتخذت لى زوجاً

هيه . هو . بالريح . وبالمطر

لم أستطع أن ألهو ولا أن أعبث

فإن المطر يمطر كل يوم .

* * *

---

(١) أغنية قديمة : يتكرر مقطع منها فى مسرحية الملك لير . وهو يتغنى فيها أطوار الحياة صبى وشباباً ورجولة وكهولة والمقصود بها « افرح ولاتحمل هماً » .

وحين آويت إلى سرير الشيخوخة
هيه . هو . بالريح . وبالمطر
أصابنى دوار فصدمت فى السرير رأسى
فإن المطر يمطر كل يوم

* * *

لقد مضى وقت طويل منذ بدأ العالم
هيه . هو . بالريح . وبالمطر
ولكن لابأس بذلك فقد انتهت قصتنا
وسنجتهد فى إرضائكم كل يوم .
(يخرج)

النهاية

عَلى هواك

تأليف : وليام شكسبير

ترجمة : الدكتور مختار الوكيل

مراجعة : الأستاذ حسن محمود
الأستاذ إبراهيم زكى خورشيد

تقديم : الدكتور فايز إسكندر

مقـــدمة

تاريخ المسرحية :

تكاد لاتنجو مسرحية من مسرحيات شيكسبير من الخلاف والجدل حول تاريخ ظهورها مخطوطة أو ممثلة أو منشورة . وتتبلور الحجج التى يسوقها أطراف النقاش حول مصدرين رئيسيين ، أولهما القرائن التى يتوصل إليها الدارسون للنص من خلال بحثهم فى الأدوات الفنية التى يستخدمها شيكسبير من أخيلة وصور شعرية وبلاغية وبيانية ومن إيقاعات وأوزان ، إلخ . أو تلك التى يتلمسونها من إشارات جاءت فى المسرحية إلى أحداث معاصرة لها تواريخ محددة أو شبه محددة ؛ ويتمثل المصدر الثانى فى الأدلة المستقاة من خارج النص كورود إشارات للمسرحية فى أدب المعاصرين أو سجلات الناشرين ، أو فى كتابات مؤرخى الأدب ، مقرونة بتاريخ محدد أو مقرب .

وإذا أردنا تفصيلاً لأى من هذين المصدرين فإننا نعرض على سبيل المثال الأسلوب الأول فى البحث ، ونعنى أسلوب المدرسة التحليلية الجمالية . وفى رأى القائلين بهذا الأسلوب أن هناك خطاً بيانياً يترسم مراحل متعاقبة زمنياً فى حياة شيكسبير الدرامية ، ويبدأ بغلبة الصنعة اللفظية على الجانب الدرامى ؛ وهم

يعنون بالأولى الانتشاء بالإيقاع ، والطرب للرنين ، وشيوع القوافى ، وشطحات الخيال ؛ ثم يمتد الخط البيانى نحو نقطة التعادل بين الدراما والشعر فتزداد الصرامة الفنية على حساب « نرجسية » الشعر ؛ وينتهى الخط بتطويع الشعر لمقتضيات الدراما مع اطراد رسوخ أقدام شيكسبير وسيطرته على الأدوات التعبيرية من صوت وحركة وتكوينات ، فتزداد « شفافية » الشعر واستظهاره لأدق الخلجات النفسية وأكثرها استعصاء على البيان ، كما تزداد مرونة البيت الشعرى وتنوع أوزانه وبحوره ليلاحق ترسلات اللاوعى وتفرد الشخصيات وتعدد مستويات الصراع وتموجات العواطف وانحساراتها . ومن خلال هذه الدراسة التحليلية الفنية للنص ولغيره من نصوص مسرحيات شيكسبير ، وتجميع الشواهد المتماثلة والمتدرجة والمتناقضة ، يحاول تلاميذ هذه المدرسة أن يَنْظِموا مسرحيات هذا الكاتب فى عقد مكون من حلقات ، ويرون فى هذا نوعاً من التأريخ للمسرحيات .

فإذا عدنا إلى النتائج التى خلصت إليها هذه المدرسة التحليلية الجمالية وجدنا أنها تضع المسرحية التى نحن بصددها ضمن مجموعة الملهاءات التى كتبها شيكسبير فيما بين عامى ١٥٩٣ و ١٦٠٣ ، وتبدأ « بملهاة الأخطاء » وتنتهى « بالليلة الثانية عشرة » . وهذا تاريخ لايتعارض مع مايشير إليه الشق الآخر من القرائن ، والذى سبق ذكره فى مطلع هذا البحث ، وهو الإيماءات فى داخل النص إلى أحداث معاصرة لها تواريخ محددة أو شبه محددة . ومن الإيماءات ذات الطابع الأول فى مسرحية « على هواك » ما يتردد على لسان أكثر من

شخصية عن كرستوفر مارلو الشاعر والمسرحى الفذ الذى تزامن مولده مع مولد شيكسبير (١٥٦٤) ، وكان لوفاته فى شرخ الشباب وعلى مرمى ذراع من قمة المجد الفنى صدى عميق لدى معاصريه . فنحن نسمع عن « الراعى المتوفى » (فى الفصل الثالث – المشهد الخامس – البيت الرابع والثمانين) ، ونعلم أن البيت الذى تقتبسه فيبي يأتى فى قصيدة لمارلو عنوانها هيرو وليناندر ، كما تتكرر الإشارة إلى قصة غرام لياندر وإلى غرقه وهو يسبح عبر مياه الدردنيل قاصداً لقاء حبيبته هيرو على الشاطئ الآخر (٤ : ١ : ٩٦– ١٠٢) . فإذا عرفنا أن تاريخ وفاة مارلو هو ١٥٩٣ وضح لنا أن المسرحية الحالية لا يمكن أن تكون قد كتبت قبل ذلك ، وهو أمر يتمشى مع التحديد الواسع الذى ذكرناه آنفاً .

بيد أن قصيدة « هيرو وليناندر » لم تنشر إلا فى الثانى من مارس عام ١٥٩٨ . ومهما قيل عن احتمال قراءة شيكسبير للقصيدة أو استماعه لها فى جلسة خاصة ضمته وكاتبها وعدداً محدوداً من خلصاء مارلو ومريديه فلا يعقل بداهة أن يضمن شيكسبير مسرحية « على هواك » إشارة إلى قصيدة لم تنشر بعد ولا يحمل البيت المقتبس منها دلالة إلى غالبية المشاهدين .

وإذن فالأدنى إلى المعقول أن تكون مسرحية « على هواك » قد ظهرت فى تاريخ لاحق لنشر قصيدة « هيرو وليناندر » وبعد فترة تكفى لأن تكتسب هذه القصيدة شهرة تعيد إلى ذهن المشاهد العادى ذكرى وفاة صاحبها المكنى بالراعى ، نسبة إلى قصائده الرعوية .

ومما يعزز هذا الرأى الأخير إشارات أخرى فى النص إلى أحداث معاصرة

أهمها مايذكره الدوق الأكبر والحاكم الشرعى المنفى من مفاسد البلاط ومايسوده من جمود ونفاق ووصولية (٢ : ١ : ٢-٤) ، وهو ما أرجعه بعض المفسرين إلى الدسائس والمؤامرات التى كان يختمر بها بلاط الملكة إليزابيث الأولى ، والتى كان يحيكها حساد إيرل إسكس لإسقاطه بعد عودته منتصراً من الحملة التى قادها ضد ارلندا فى شتاء عام ١٥٩٩ . ومعلوم أن شيكسبير، كما توحى دواوين شعره ، كان متعلقاً بهذا النبيل الذى كان يرعى الفن والكتاب ، وهاله إبعاده عن البلاط الملكى ثم إعدامه .

وهناك من لاحظ علاقة بين كلمات روزالند « أبكى فى غير ما داع للبكاء ، مثل ديانا وهى تبكى عند النافورة » (٤ : ١ : ١٤٧) ، وبين تمثال للإلهة الإغريقية ديانا أقيم فى تشيبسايد بانجلترا فى عام ١٥٩٨ ، وكان يمج الماء من فمه إلى مسافة كبيرة . وقد أهمل هذا التمثال ولم يعد يجتذب المشاهدين ، كما يذكر المؤرخون ، فى عام ١٦٠٣ .

ننتقل بعد هذا إلى المصدر الآخر للتاريخ وهو المتمثل فى الأدلة المستقاة من خارج النص . ونركز هنا على دليلين ، أولهما مستوحى من بعض المساجلات الفنية المستترة التى دارت بين بِنْ جونسون وشيكسبير ، وكان الأول يأخذ على الأخير خروجه على المواضعات الكلاسية كوحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الحدث ، كما عاب عليه مزجه عناصر الملهاة وعناصر الفاجعة فى العمل المسرحى الواحد وقد جاء فى تصوير بِنْ جونسون لمسرحيته « كل » إنسان فى غير مزاجه (١٥٩٩) تعريض موجع بالموقف السائب الذى يقفه بعض معاصريه من

الكتّاب ، كما جاء فيه تجريح للمشاهدين الذين لا يملكون الحكم على العمل الفنى ، وينتهى بن جونسون إلى العبارة اللاذعة المعروفة : «للفن عدو يدعى الجهل » .

وفى العام التالى كتب بن جونسون « أحلام سينثيا » وهو فى تصديره لها يستمر فى تعاظمه واستعلائه فيكتب « تالله إنها لمسرحية طيبة ، فإذا صادفت هدى فى نفوسكم كنتم إذن صادقى البصيرة » أى أن درجة حساسية المشاهد الفنية مرهونة بمدى تعاطفه مع هذه المسرحية .

وربما أراد شيكسبير أن يداعب بن جونسون فاختار لمسرحيته عنواناً يقلب ميزان الحكم الذى وضعه الأخير ، وكأنما أراد أن يقول إن معيار الحكم على المسرحية هو أن تصادف هوى لدى المشاهد . ومهما كان الأمر فإذا صح وجود علاقة بين مسرحية « على هواك » ومسرحية «كلام سينثيا » كان فى هذا الاستنتاج إضافة إلى ماسبقه من اجتهادات تضع المسرحية التى نحن بصددها فيما بين عامى ١٥٩٩ و ١٦٠٠ .

أما الدليل الثانى ، ولعله أرسخ الأدلة وأقربها إلى الموضوعية ، فهو قيد اسم المسرحية فى سجل الناشرين وإصدار الإذن بطبعها لشخص يدعى جيمس روبرتس فى الرابع من أغسطس عام ١٦٠٠ . وكان يمكن أن يكون فى هذا الدليل مايحسم الخلاف بشأن تاريخ طبع المسرحية لولا وجود عبارة غامضة أضيفت قرين عنوانها يفهم منها أن الإذن بالطبع « موقوف » دون ذكر سبب

الإيقاف أو مدته . وقد ذهب المفسرون فى تبرير هذا الإيقاف مذاهب شتى منها أن النص لم يكن معداً فى صورته النهائية ساعة تقدم روبرتس يطلب إصدار الإذن بالطبع . ودللوا على ذلك بعدد من الأخطاء الناجمة عن التسرع والتى وقع فيها شيكسبير بصورة توحى بالعجلة . ومن هذه الأخطاء اشتراك شخصيتين فى الاسم ولو تروى شيكسبير لاختار للابن الثانى لسير رولاند دى بويز اسما آخر غير حال الذى لا يناسبه بقدر ما يناسب النبيل المكتئب والذى يظهر منذ بداية الفصل الثانى . ونلحظ محاولة شيكسبير تجنب اللبس بين الشخصيتين فى المشهد الأخير فيسمى ابن سير رولاند « الاخ الثانى » .

وثمة لبس آخر فى الفصل الأول بين سيليا وروزالند . ففى المشهد الثانى والبيت ٧٩ :

روزالند : إن حب والدى له يكفى لأن يسبغ عليه التكريم .

وواضح أن الشخصية المسند إليها الحديث ينبغى أن تكون سيليا لا روزالند ، فقد سبقت الإشارة فى البيت السابق إلى أن « والدى » هو الدوق فردريك .

ومرة أخرى نلحظ الخلط بين سيليا وروزالند فى إجابة لوبو على استفسار أورلاندو عن أى الفتاتين ابنة الدوق فردريك : ولكن الواقع أن أطولها قامة هى ابنته (١ : ٢ : ٢٧١) والصحيح هو أن سيليا أقصر قامة من روزالند .

يضاف إلى هذا أن عبارة أورلاندو التى يختتم بها شيكسبير المشهد الثانى من الفصل الأول ، والتى يصف فيها جمال روزالند بأنه « ملائكى » هذه العبارة ليس لها تعليق . فاسم روزالند لم يذكر فى مسمعه من قبل وهو لما يزل ينقضى

عنها من لوبو .

وأخيراً فإن هناك خطأ واضحاً فى نسبة البجعتين إلى جونو (١ : ٣ : ٧٨) والصحيح أن تنسبا إلى فينوس .

وفى مواجهة هذه الأخطاء مجتمعة نعود إلى ماذكرناه من « إيقاف » الإذن بالطبع فنتساءل هل جاء طلب الإيقاف من جانب شيكسبير الذى أراد تنقيح النص وإزالة مابه من شوائب ؟ والإجابة على هذا السؤال ، فى غيبة أى نص آخر منقح ، غير شافية . ولعلنا بعد هذا نصل إلى ختام هذا الجزء من بحثنا فنقول إننا وإن كنا لانقطع بتاريخ المسرحية وإنما نضعه ، بناء على القرائن التى سقناها ، فيما بين صيف عام ١٥٩٩ وصيف العام التالى له .

أنسابها الأدبية :

لم يكن من الشائع أن يبتدع المسرحى الأليزابيثى أحدوثة أوأحبولة ، ولم يشعر أن ما ينتقص من قدرته ككاتب مسرحى أن ينسج خيوطاً للأحداث سبق أن استخدم بعضها غيره . ولم يكن قصد الكاتب أن يدفع مشاهديه فى إيقاع متسارع محموم للأحداث المتداخلة التى تشد انتباههم حتى تتكشف فى النهاية عن أمر غير متوقع . وبالنسبة لشيكسبير فقد وجد فى بلوتارك وهو لينشد مادته التاريخية ، كما استقى من القصص الشعبى والحكايات الشائعة الكثير من أحدوثاته .

ولعل مما يرفع من قدر شيكسبير أنه استطاع بقدرته الشعرية الفذة وتمكنه

الدرامى أن يجعل من حكايات الأطفال ومسامرات الخبرات مادة تنفذ إلى كافة الأعمار والثقافات وتتخطى حدود الزمان والمكان اللذين كتبت فيهما .

وهو فى مسرحية « على هواك » يستقى الأحدوثة من مصدرين أحدهما — وهو محدود الأثر جدا — حكايات كانتربرى « للشاعر الإنجليزى جوفرى تشوسر ، ومع التخصيص حكاية جامبلين » ؛ والمصدر الثانى — وهو يحمل قدرا أكبر من الإقناع — رواية لتوماس لودج بعنوان « روز الند » أو « التراث الذهبى ليوفيوز »

ولكن شيكسبير فى كلتا الحالتين ينتقى ويدقق ، يرتفع إلى السطح ثم يعمق ، تقوده بصيرته الدرامية النفاذة ، حتى يخرج فى النهاية بعمل فنى متكامل . ويكفى أن يقارن الباحث شخصيات شيكسبير بمثيلاتها فى العملين المذكورين ليرى أن شخصيات تشوسر باهتة شوهاء ، لاجذور لها سواء عاطفية أو إنسانية ، وكل مهمتها أن تعكس من خلال بيانها ولباسها وفكرها قامتها الاجتماعية والشريحة التى تنتمى إليها من نبالة أو دين أو حرفة ؛ كمايرى أن شخصيات لودج جامدة متصلبة تفتقر إلى الروح والحياة . والفارق أوضح فى خلق شخصيات النساء ، حتى لقد شبه جوانب هوايت ، وهو واحد ممن قالوا بعقد هذه المقارنة ، شبه روزالند فى رواية لودج بمندوبة جمعية الدفاع عن حقوق المرأة ، وذلك لكثرة ماتأتى به من أقوال باللاتينية وماتقتبسه من حكم وعبارات مأثورة .

وبالإضافة إلى ما لاحظه الدارسون من ديناميكية شخصيات شيكسبير ، وبالأخص روزالند التى تتفجر حيوية ودلالاً وجذلاً ، لابد أن نسجل لهذا الكاتب تفرده بخلق شخصيات لاوجود لها فى المصدرين المذكورين ، وعلى

رأسها تتشستون وجاك وأودرى ، واثنان منها على الأقل يشكلان عصب فكر شيكسبير ودفاعه عن كيان العمل الفنى .

إن تتشستون هو أول « مهرجى » شيكسبير العظام الذين يمزجون العبث وناقل القول بالرجاحة والأصالة والحكمة ، وهم يكونون عقداً يضم أسماء معروفة منها « نسْب فى » الليلة الثانية عشرة ومنها بوتوم ودوجبيرى وكوستارد ، ويتميز من بينها مضحك الملك لير ولعله ألمع إبداع ظهر فى هذا المجال على الإطلاق .

وتتزامن بداية حلقات هذا العقد مع انضمام ممثل جديد يدعى روبرت آرمن لفرقة تشمبرلين المسرحية التى كان يكتب لها شيكسبير . كان آرمن فطناً حاذقاً ، تمكن شيكسبير من خلاله أن يستظهر بعضاً من أدق المشاعر وأكثرها اصطراعاً فيما بينها واستعصاء على البيان ، بل استطاع أن يستحضر الدموع إلى مآقى مشاهديه فى الوقت الذى كان المهرج يلقى النكات والتوريات والقفشات الظاهرة المرح ، إن هذه الشخصيات المتميزة الثلاث تتشستون فنسنت ومهرج « الملك لير » ، بعيدة كل البعد عن الحمق والسذاجة ، وهى فى لغوها وهرائها المظهريين تعبر عن أعمق ماتحتويه المسرحيات من حكمة وفلسفة .

وعلى نقيض هذا كان مهرج البلاط فى واقع الحياة العامة فى زمن شيكسبير ، كان الشائع أن يكون أمياً ، ولم يكن من النادر أن يكون متخلفاً عقلياً . كان يتسم بالغلظ فى كل شىء ، فى حسه وصوته وقوامه ، وكان هدفاً طيباً للصفع والركل من جانب الملك ورجال البلاط كلما غنى بصوته المنفر أو فشل فى أداء

الحركات الأكروباتية التى كانت تطلب منه .

ترى هل كان تتشستون ، وفسته ، ومضحك لير بمثابة دفاع شيكسبير عن نفسه وفنه وعن المسرح بصفة عامة ؟ لقد كان المسرح فى عام ١٦٠٠ يشغل فى حياة لندن نفس المكانة التى كان يشغلها المهرج فى قصور الملوك والنبلاء منذ العصور الوسيطة . كان دور المسرح فى المقام الأول هو إشاعة البهجة فى نفوس مشاهديه من النبلاء والحرفيين بما يقدمه من ألوان وحركات ومتعة سطحية وقتل للوقت . وكان القوم يتوافدون إلى المسرح بنفس الدوافع التى حدت بهم لأن يشهدوا حرق الساحرات فى الميادين العامة ، وصراع الديكة الوحشية ، ونزال المصارعين مع الدببة وباستثناء قلة من المسرحيين تعالوا فى الجامعات ، أمثال مارلو وجرين وناش وكيد وبيل ، لم تنل الغالبية منهم ومن الممثلين إلا قسطا ضئيلاً من التعليم التقليدى .

بيد أن شيكسبير ، فى تصورى ، كان على يقين من أن لديه من العطاء الجاد أكثر مما توقعه القوم من المسرح فى عصره ، وأنه على الرغم من أنه لم يحصّل تعليماً جامعياً ، وأنه لاينتمى بمولده إلى طبقة النبلاء ، فإن فى استطاعته أن يتجاوز فيما يكتبه ماتوقعه الناس من متعة سطحية وهو فى سوناتاته كثيراً ما يشير إلى خلود شعره بعد أن تتداعى القصور الشامخة والقباب السامقة من حوله . وليس عجيباً بعد هذا أن يكون فى إبداعه لشخصية تتشستون أو فسته أو مضحك لير ، هذه الشخصية المهيضة المستضعفة ، وفى شحذه لألمعيتها وقريحتها ، ونقدها اللاذع للملوك والمهيمنين على مقدرات الناس ، ليس عجيبا

أن يكون فى خلقه هذا دفاعاً عن نفسه وتأصيلاً وتعميقاً لدور المسرح فى عصره .

أما الشخص الثانى من بين الثلاثة الذين انفردت بهم مسرحية « على هواك » بالمقارنة بعملى تسْوس ولودج فهو جاك . والشخصية هنا لا تظهر الغباء وتبطن الفطنة كما هو الحال فى « بلهاء » شيكسبير ، وإنما تتميز بالانقباض والاكتئاب وسوداوية المزاج . وهى بدورها تشكل فى هذا القطاع من البشر الذى تستظهره مسرحيات شيكسبير إحدى الحلقات فى عقد ينتظم بروتس فى يوليوس قيصر وأنطونيو فى « تاجر البندقية » ، ومالفوليو فى « الليلة الثانية عشرة » وينتهى فى القمة عن هاملت . و « الملانكوليا » مرض نفسى عرفه عصر شيكسبير ، وكتب عنه الباحثون وهناك من الدلائل مايرجع القول بأن شيكسبير قرأ بحثا فى هذا الموضوع من تأليف تيموثى برايت . واكتئاب الشخصية هنا ليس مجرد حزن عابر أو مرارة عارضة ، وإنما عنى عصر شيكسبير بهذه الظاهرة الوجدانية والسلوكية أن يتراوح صاحبها بين الفرحة العارمة والأسى العميق ، وأن يأخذ كل مايقال له مأخذ الجدية التامة ، وأن يكون من شأن انزوائه وانطوائه واجذاره للألم أن تعذبه الرؤى والأحلام .

ويتسم أبطال شيكسبير ، ممن تنطبق عليهم هذه الظاهرة ، بدقة الشاعر ورهافة الحس . وتصف مسرحية « على هواك » مايعتمل فى أعماق جاك من آلام نفسية عندما يرى الصيادين يصيبون القنيصة بجراح ، وهو يتساءل هل يتطلب الأمر بالضرورة أن يهاجم الإنسان ويقتل لكى يعيش ويأكل ؟

وإذا كان تتشستون وأقرانه فى نظر بعض الدارسين كما أسلفنا القول يشكلون دفاع شيكسبير عن ذاته وكتاباته ووضع المسرح ، فقدذهب البعض أيضاً إلى اعتبار جاك ونظراته تعبيراً عن آراء شيكسبير ذاته فى الحياة وأحكامه على الوجود الإنسانى ، ودللوا على ذلك بأن الكاتب أسند إلى هؤلاء الأبطال بعضاً من أشهر أبياته وأبلغها بياناً . ومن أمثلة ذلك ترسلات هاملت عن الوجود أو العدم ، ولعلها أكثر أبيات شيكسبير شيوعاً على الإطلاق ، ومنها أيضا تأملات ماكبث عن الحياة ، عند سماعه نبأ وفاة زوجته ، والتى تبدأ غداً وغداً وغداً ، والحياة هنا منصة مسرح يعتليها ممثل ردىء الأداء لمدة ساعة يشرئب فيها ويتطاول ، يتبختر ويتبهنس ، يختلج ويتشنج ، يصيح ويجلجل ، ثم يختفى دون دلالة أو معنى . وفى هذا النطاق وضع هؤلاء الدارسون أبيات جاك فى المسرحية التى نحن بصددها ، والتى تبدأ « لعمرى إن الدنيا كلها مسرح » ، وتقسّم وجود الإنسان إلى مراحل سبع ، تنتهى بالخور والاستخذاء ، والعقم والضياع .

على أن من التجنى على شيكسبير أن نقول إن هذا هو رأيه الذاتى عن الوجود الإنسانى ، فقد كان من أقرب الكتّاب إلى طمس شخصيته الذاتية وتذويبها فى العمل الفنى . ولا يمكن أن نشير إلى شخصية بذاتها فى مسرحية ما أو إلى مجموعة من الشخصيات فى عدد من المسرحيات على أنها امتداد لشخصية شيكسبير الفرد ، ولا إلى أبيات بذاتها أو مجموعة منها فى عدد من المسرحيات باعتبارها تعبر عن أفكار ومشاعر شيكسبير الإنسان ودليلنا على ذلك أن بروتس بكل مثالياته وليبراليته ، وبكل حنانه ورقته ، كان غراً ساذجاً فى حكمه على

الناس من حوله ، ومن ثم فقد قاد الثورة ضد يوليوس قيصر إلى الدمار . ودليلنا أيضا أن هاملت ، على الرغم من جديته وصرامته ، وأخلاقياته ومبادئه ، وحبه العريض للإنسانية ، يكاد فى ادعائه الجنون أن يتجاوز الحد الفاصل بين الرشاد والاختبال وتعال معى نتصوز حال الدانمرك لو استوى على عرشها هاملت ، بجماجمه وديدانه ومقابره ، وزهده فى الحياة وعزوفه عن الدنيا ، وتقليبه للأمور من وجهات النظر المتعددة حتى لتتداخل البدائل وتغيم الصور وتبهت المرئيات ويستعصى التصرف والأداء ؛ ويبقى التردد والقلق والحيرة والبلبلة . ولعل من الإنصاف بعد هذا أن نقول إن فشل بروتس فى حكم روما وتقاعس هاملت عن حسم الأمور ليس معناه أن شيكسبير يهون من شأن المثاليات والمبادئ ، ودقة الحس والمشاعر ، وإنما معناه أن القدرات الاستيطانية والفكرية والوجدانية المتقدمة لا يصحبها بالضرورة حركة وأداء ونزوع ، فالأولى ستاتيكية تنظيرية مجردة فى المقام الأول والثانية ديناميكية تطبيقية وعملية فى أساسها ؛ ومعناه بتعبير أوضح أن هذه القيم الرفيعة ، بقدر ضرورتها على مستوى الأفراد ، قد لا تصلح بالضرورة للتعامل مع المجموع .

نعود إلى قضية الذاتية والموضوعية فنقول إن الأعمال الفنية الكبرى لاتختزل ألوان الحياة إلى أبيض وأسود لاغير ، ولاتجيب عن القضايا بنعم ولا فحسب ، ولاترسم شخصيات شريرة أو خيّرة بصورة مطلقة ؛ وهى أيضا لاتسف عن المشاعر الذاتية لكاتبها أو آرائه أو خبيئة نفسه . وفى هذا الإطار يجدر بنا أن تقيم

ترسلات جاك فى المسرحية الحالية عن الحياة كمسرح عن نهايتها الكاسفة الكئيبة .

هل من رأى شيكسبير أن تنعدم الحياة ؟ هل يرى مايراه هاملت من أن تذهب أوفيليا وكل عذارى العالم إلى الأديرة فلا ينجبن تعساء إلى هذا العالم ؟ هل يرى ما يراه بروسيرو فى مسرحية « العاصفة » من أن البشر أرواح تذوب فى الهواء وأن حياتهم « من نسيج الرؤى والأحلام » وأن حياتنا القصيرة « تلفها سنة من النوم » ؟ .

لو كان رأيه أن الحياة كما قال ماكبث « قصة يحكيها مأفون » لجعل ماكبث نفسه يلقى السلاح فى مواجهة مالكولم وماكدف ، وبرومسبرو يرفض العودة إلى دوقيته التى اغتصبها أعداؤه ، والدوق الشرعى فى مسرحيتنا الحالية يركن إلى حياة الدعة واللامبالاة فى غابة آردن .

ولكن مسرحيات « ماكبث » و « العاصفة » وعلى « هواك » لا تقول ذلك بل لا يقوله أيضا الموقف التالى مباشرة لأبيات جاك التى نحن بصددها إذ ما يكاد الرجل ينتهى من العرض اليائس للحياة حتى يدخل أورلاندو الشاب حاملاً آدم الشيخ وباحثا له عن طعام وكلاهما لا مكان له فى التصور السُّباعى لجاك عن الحياة إن الصورة بماتحمله من إحسان واعتراف بالجميل لهى رد مباشر ومفحم على تصور جاك تفاهة الحياة الإنسانية وتفككها ، وعلى ما ذهب إليه من تمركز ذاتى للبشر .

الزمن «الدرامى» وعلاقته بالحدث :

هذه نظرة تحليلية لأسلوب شيكسبير فى التعامل مع الزمن لعرض وربط الأحداث وإيهام المشاهد بمنطقة تتابعها ما بين بطء وسرعة.

ولنسق مثالاً واضحاً من كل من مسرحيتى «عطيل» و«تاجر البندقية» حتى نبسّط الفكرة قبل أن نركز على مسرحية «على هواك». فى «عطيل» نلحظ أن المأساة تتطلب من ناحية، أقصى تسارع لنبض الأحداث إذ يتحتم ألا تترك لعطيل وديدمونة أية فرصة لتبادل التفسيرات، بل يجب أن تنهال الضربة فى سرعة البرق وفى ظلمة الليل. ومع ذلك فيجب، من ناحية أخرى، أن يتتابع أمام عيوننا وبكل أناة وتمهل، مظهر النمو البطىء والتدريجى المتمنع للغيرة، وأن نشهد كل خلجة من خلجات العاطفة وهى تتبرعم ثم تتفتح دافئة ثم ساخنة، حتى تلتهب وترسل شواظها ليحرق الزوجين. وهكذا عندما تقتل ديدمونة فى خلال ست وثلاثين ساعة من وصولها إلى قبرص إذ بفن شيكسبير قد نجح فى إيهامنا بأننا نشهد ونرقب حياتها التعسة، وهى تتحرج وتتفاقم لمدة أسابيع أو ربما شهور.

ومثل هذا يمكن أن يقال عن «تاجر البندقية»، إن الصك الذى يوقعه أنطونيو لصالح اليهودى شيلوك، والذى يخول الأخير حق اقتطاع رطل من لحم الأول لو فشل فى تقديم المبلغ المقترض، يحدد الزمن المسموح به للتاجر المسيحى بثلاثة أشهر. ومع ذلك فإن المسرحية تدفع الأحداث بسرعة حتى ليبدو

للمشاهد فى المسرح أنها قد دارت دورتها فى خلال أربع وعشرين ساعة . لقد استطاع شيكسبير بحذقه وفنه أن يجعل هذين الخطين الزمنيين غير المتزامنين ، الخط « الدرامى » والخط « الإيهامى » يتلاقيان على المسرح دون أن نتنبه لتعارضهما . بل إنه ليبدو أن كل شىء يسير بصورة طبيعية كما لو أننا نقرب تعاقب الزمن ، شهرا بعد شهر ونلحظ كيف يتحول التاجر المسيحى الواثق بنفسه تدريجياً إلى الشخص المفلس الذى غرقت مراكبه .

إن هذه النتيجة ليست وليدة الصدفة بل ترتبط بتعامل شيكسبير بكل دقة وإمعان مع الزمن « الدرامى »للمسرحية ،ولكن نتبين ازدواج الزمن فى مسرحية « على هواك » نأخذ كمادة للعرض فكرة من الأفكار الهامة فى هذه المسرحية ولتكن ذلك القول المأثور الذى أسند إلى كرستوفر مارلو ومؤداه : من عشق يوحنا ولم يكن عشقه من النظرة الأولى ؟

لنفرض إذن أن الكاتب المسرحى يستهدف عرض هذا الحب من أول نظرة بأسلوب درامى فكيف السبيل إلى ذلك ؟ لابد أن نرى ومضته الخاطفة الأولى ، وبعدئذ نتابع تعمق هذا الحب وتأصله ببطء وثبات ، وأخيراً نتنبه إلى غلبته على أية عقبات وفى جميع الحالات لابد لهذه العاطفة أن تكون بريئة ترتفع على الشائنات ، قوية تنتصر على المعوقات . لابد أن يؤخذ أورلاندو بجمال روزالند فيملك حبها قلبه ، كما يتحتم أن تبهر روزالند بقوة أورلاندو ورجولته وصلابته والطريقة المثلى لاستظهار هذه الرجولة والصلابة هى النزال ومن هنا تأتى المباراة فى المصارعة مع بطل محنك متمرس . ولكن الاشتباك باليدين مع مصارع

محترف أمر لا يليق بنبيل أو وجيه . وإذن فنى الوقت الذى يتمتع فيه أورلاندو بكرم المنبت وعراقة الأصل ينبغى أن يكون - مؤقتا - فى موقف يسقط عنه صفة الانتماء إلى طبقة السراة والأشراف ولا يعصمه من النزال مع مصارع مأجور . وفى نفس الوقت يجب ألا ينشأ هذا الموقف عن صدام بين أورلاند وسلطة تحمل معها التبجيل والاحترام كسلطة الأب وإلا اهتزت صورة الشاب فى أنظارنا . ومن ثم كان لابد لأورلاندو ، وهو الأثير لدى والده ، أن يحقر الآن ويضام من جانب أخ أكبر مستبد يهمل تعليمه ويعامله كالأجراء .

ولو كان القصد من هذه المسرحية أن تكون مأساة لكانت هذه هى النقطة التى عندها تهيأ الظروف بحيث يصطدم حب أورلاندو وروزالند بحواجز يستحيل اجتيازها . ولكن حيث إن التصور الدرامى هو أن تكون ملهاة وجب أن يشكل هذا التحقير للمحب عقبة تكفى لمنعه من مصارحة الفتاة النبيلة الأصل بحبه ، وهى فى نفس الوقت عقبة ترتبط بمجتمع معين وتزول بزوال هذا المجتمع .

ومن ثم تدفعها الأحداث إلى مكان تنتفى فيه فوارق الطبقات وهنا نلحظ أنه ليس من الصعب إرسال أورلاندو إلى غابة آردن ولكن من الصعوبة بمكان إخراج فتاة بريئة من بلاط الحاكم دون أن يصيبها رشاش . إن المأخذ هنا مهما كان يجب ألا يكون طابعه الفعل وإنما الافتعال . إنه مجرد شك ولكنه وإن كان لايستند فى علمنا إلى أساس إلا أن الشخص الذى يدعمه لديه القدرة على طرد روزالند من البلاط . وهنا أيضا ، ولنفس السبب الذى سقناه فى حالة أورلاندو ، يجب ألا تأتى العقوبة من جانب الأب وإلا قربنا من دائرة المأساة ،

وإنما تأتى من عم مغتصب للحكم تصور له هواجسه احتمال تآمر فتاة صغيرة هشة على عرشه . ومن ثم يأتى الأمر بالنفى . ويعقب هذا هروب جانيمير وإيلينا ، وبنفس المنطق الطبيعى يأتى هروب أورلاندو من منزل أخيه المستبد .

إلى هنا وإيقاع الأحداث سريع محموم وهو مايتناسب مع « الحركة » الأولى للحب الخاطف كما ذهب إليه كرستوفر مارلو . ولكننا ما إن ننتقل إلى غابة آردن حتى يهدأ إيقاع الأحداث ويتراخى نبضها ذلك لأن الانقلابات الاجتماعية بأصدائها الساخنة ليست مجال الملهاة ولأن استمرار ذكرياتها لدى الدوق الشرعى لايتناسب ومجال « الحركة » الثانية للحب حيث ينمو ويتأصل ببطء وثبات ، هنا يبدأ نوع آخر من « السحر » ينسجه شيكسبير ، وإذا بنا نحسب الزمن بدقات ساعة أخرى تضع الأيام موضع الساعات وتحل الشهور محل الأيام .

نحن إذن أمام « زمنين » يتبادلان ضبط إيقاع الأحداث ، وكلاهما على نقيض الآخر . ونحن فى المسرح نكاد لا نشعر بأيهما وكأنما استطاع « الساحر » أن يؤدى الخدعة دون أن نراه . ومهمتنا الآن بعد عرض الأحداث بشكل مبسط ، أن نتبين فى هدوء وأناة كيف تم هذا الأداء .

إن السر كله يكمن فى تعامل شيكسبير مع الزمن ، وفى إيماءاته الرقيقة الهادئة إلى الوقت بحيث تكاد لا تحس ولكنها تتراكم فى اللاشعور فتأتى فعلها فى النهاية ولنناقش ، ابتداءً ، « الحركة » الأولى . من الأمور الجوهرية عندما تبدأ المسرحية أن يكون نفى الدوق الشرعى أمراً حديث الوقوع ، بل يتحتم أن يكون من الجدة بحيث يحس الدوق المغتصب أن الصولجان يهتز فى يده . وهنا تأتى

الإيماءات الخافتة يطالعنا سؤال أوليفر « ما هى الأنباء **الجديدة** فى البلاط **الجديد** ؟ » ويجيب تشارلس « لا جديد سوى ماتعرف أن الدوق الأكبر منفى بأمر من أخيه الأصغر ، الدوق **الجديد** ، وقد اختار النفى الإرادى معه ثلاثة أو أربعة من النبلاء الذين يحبونه » .

إن الانطباع المراد نقله إلينا هنا واضح ، فالإيماءات إلى العزل والنفى تكاد تضعها فى الزمن الحالى تقريباً والتركيز هنا على لفظ « جديد » وأصداء النفى لم تجد من الوقت بعد نسخه لتصل إلى أوليفر بكل تفاصيلها مع علمنا بأن مثل هذه الأنباء بطبيعتها تسرى بين الناس بسرعة،وإضافة إلى هذا فإننا نكاد نقطع بأن مسكن أوليفر لا يمكن أن يقع على مبعدة من البلاط ، فمباراة المصارعة أقيمت على أرض مجاورة ، ومع ذلك فأوليفر لايعرف إلى أين توجه الدوق المنفى ولا ما إذا كانت روزالند قد صاحبت أباها . ونسمع من تشارلس أنها « فى البلاط » وأنها « تتمتع بحب عمها لها حباً لا يقل عن حبه لابنته » . ويسأل أوليفر « وأين سيقطن الدوق المُسِنّ ؟ » ويجيب تشارلس قائلا « إنه بالفعل فى غابة آردن » ومرة أخرى « **يقولون** إن جمهرة من شباب الأشراف تتوافد إليه كل يوم » ولنا بعد هذا أن نتأكد أن جهل تشارلس راجع لغموض المعلومات وحبه الحدث لا لاستبعاده من البلاط ، فهو فيما يتعلق بأمور روزالند الخاصة دقيق الملاحظة عليم ببواطن الأمور .

ولا حاجة بالمسرحية بعد هذا أن تذكر لنا صراحة أن الدوق المغتصب يعيش فى قلق وهمّ دائمين ، وهو شعور يفسر لنا لماذا كان مجرد ذكر

أورلاندو لاسم سير رولاند دى بوير كافيا لأن يضمر الغضب فى نفس الدوق المغتصب حتى ليتخيل أن روزالند قد تمردت عليه .

ولكن هذه الاختلاجات العصبية – كما أسلفنا القول – يجب ألا تدوم طويلاً فهى مدمرة للملهاة ومن هنا فبعد أن نَسجَتَ هذه الإيماءات سحرها من حولنا ، وبعد أن ذللت الصعوبات الدرامية ، إذا بها تشحب ويحول لونها بفعل إيماءات أخرى مضادة تعود بنا القهقرى إلى الماضى البعيد. ولعل أولى هذه الإيماءات لمرور الزمن تأتى بعد المصارعة ، وفى قول الدوق المغتصب لأورلاندو « لقد أكرم الناس أباك ويجلوه ولكنه كان على الدوام عدواً لى ولابد أن فى هذا إشارة إلى ولاء سير رولاند للدوق الأكبر وعدائه للمغتصب حلال الصراع على الحكم . ولكن الانطباع الأول الذى نتلقاه عن سير رولاند فى بداية المسرحية هو أنه مات منذ سنوات أى منذ فترة تكفى لتفسير إهمال تعليم أورلاندو. ومن هنا تغيم صورة الانقلاب الذى تصورناه فى الفصل الأول وشيك الوقوع ، وتمر فى مخيلتنا صور لولاء راسخ طويل المدى ولسنوات انصرمت منذ المحنة التى أفقدت الدوق السابق عرشه .

وتأتى بعد هذه الإيماءة ، التى مرقت بسرعة واختفت إشارة أخرى للزمن الماضى أكثر وضوحاً . يقول لوبو لاورلاندوبعد المصارعة مباشرة إن الدوق أخذ يظهر أخيراً امتعاضه وجفاءه لابنة أخيه اللطيفة لا لسبب إلا أن **الناس يمتدحونها ويثنون على فضائلها** .

لقد سبق أن ذكر لتشارلس أن روزالند تنال من حب عمها لها مايعادل

حبه لابنته ؛ ولكى يتحول هذا الحب إلى « امتعاض » وجفاء لابد من انقضاء زمن ، ومرة أخرى تصور لنا مخيلتنا حياة فاضلة تعيشها روزالند فى ضمائر الناس أسبوعا بعد أسبوع ، وشهراً بعد شهر ، حياة شعارها الامتثال والصبر ، بحيث لا يقتصر الأمر على أن تكسب مديح الناس بل ويصل احترامها وتقديرها إلى الحاكم الطاغية ذاته .

ومع استرخاء إيقاع الزمن وتباعد الانقلاب والنفى إلى الماضى ، نتلقى انطباعا ثالثا أعمق أثراً . عندما يأمر الدوق بنفى روزالند تتوسط سيليا لدى أبيها وتذكره بأنه عندما « أبقى » روزالند فلم تصحب أباها إلى المنفى إنما فعل ذلك من أجلها هى وتسمر فى توسلها « **كنت أنئذ أصغر** من أن أستطيع الحكم عليها ، ولكننى **الآن أعرفها** » ثم تسترسل فى استحضار الأعوام التى انصرمت إلى ذاكرتها ، وكيف نامت هى وابنة عمها فى فراش واحد ، وكيف درستا ولعبتا واستيقظتا فى نفس الوقت إلخ . وواضح أن هنا انطباع لا يمكن أن يخطئه المرء بمرور السنوات .

ومن الأمور الجوهرية بعد هذا أن نؤكد الأهمية الدرامية لإزاحة نفى الدوق إلى الماضى البعيد ، بعد أن كان من الأهمية بمكان التركيز على جدته فى البداية . وذلك لسببين أولا لأن الفصل الثانى يبدأ فى غابة آردن حيث الهدوء والسكينة والظلال الوارفة ، وحيث جوهر الحياة هو الخير وحيث إن هذه هى المرة الأولى التى نلتقى فيها بالدوق المنفى وجب أن نراه فى حالة امتثال للقدر ، وقد انمحت لديه كافة الآثار الأليمة لغدر الأخ . إنه إذن هدوء التفلسف ومنطق الأمور .

وهو وليد مرور الزمن وليس عجيبا بعد هذا أن نسمع فى بداية الفصل الثانى عن تأقلم الدوق وصحبه للبيئة التى يعيشون فيها واعتيادهم على « اختلاف الفصول » ولايحتاج الأمر بعد هذا إلا لإيماءة رقيقة هنا وهناك إما لدفع حركة الزمن قليلاً أو لتأخيرها قليلاً ، ريثما يثقل أورلاندو أغصان الأشجار بأهازيج غرامه بروزالند ، أو يتردد على كوخ « جانيمير » يوماً بعد يوم ليتحدث للفتى عن حبه .

والسبب الدرامى الثانى الذى يحتم أن نتصور أن نفى الدوق قد استغرق زمناً طويلاً هو أنه مالم نتخيل أن جاك واميينز وغيرهما من بطانة الدوق الشرعى قد هجروا المدينة والبلاط منذ مدة بعيدة فكيف نعلل فشل جاك والدوق فى التعرف على تتشستون عندما يلقيانه فى الغابة ؟

إن « مهرجان » من طراز تتشستون لا يمكن فى أى الظروف أن ينسى بسهولة ومع ذلك فإنه ليبدو أن جاك لم يره من قبل ، بينما يرتفع الظن إلى مستوى التأكيد بأن الدوق لم يسبق له أن عرفه .

إننا فى المسرح نمر بهذه المفارقة فلا تفاجأنا وهذا فى حد ذاته دليل على مدى نجاح شيكسبير فى التعامل مع الزمن الدرامى ، بحيث نخرج بالانطباع الذى يريد منا أن نتلقاه ، وهو أن الدوق ورجاله قد أمضوا من الوقت بين أحضان الطبيعة الخيرة ، ودون مبالاة بالزمن ، ما أتاح لجيل جديد من أتباع الدوق غير الشرعى أن ينشأ وتتعمق جذوره .

د . فايز اسكندر

شخصيات المسرحية

الدوق	: يعيش فى المنفى	Duke
فردريك	: أخوه ومغتصب أملاكه	Frederick
أميينز	: سيدان من اللوردات	Amiens
جاك	: يخدمان الدوق المنفى	Jaques
لوبو	: وصيف يقوم بخدمة فردريك	Lebeau
تشارلز	: مصارع فردريك	Charles
أوليفر		Oliver
جاك	: أبناء السير رولاندى دى بويز	Jaques
أورلاندو		Orlndo
آدم	: خادمان لأوليڤر	Adam
دنيس		Dennis
تتشستون	: مهرج	Touchstone
سير أوليفر مارتكست	: قسيس	Sir Oliver Martext
كورين	راعيان	Corin
سيلفياس		Silivius
وليم	: ريفى مغرم بأودرى	William

شخص يمثل هايمن	A person representing Hymen
روزالند : ابنة الدوق المنفى	Rosalind
سيليا : ابنة الدوق فردريك	Celia
فبى : راعيـــة	Phebe
أودرى : عاهرة ريفية	Audrey
لوردات ووصيفات واتباع .... إلخ :	Lords, pages, attendants, etc.

الفصل الأول

المنظر الأول
حديقة منزل أوليفر
(يدخل أورلاندو وآدم)

أورلاندو : إن ما أذكره يا آدم هو أن أبي قد أوصى لى ، على هذا النحو ، بألف كرون لاتغنى ولاتثمر ، وأنه كما تقول أنت قد عهد إلى شقيقى أن يحسن تربيتى إذا شاء أن ينال بركته ، ومن هنا يبدأ شجنى وحزنى . ذلك أنه احتجز أخانا جاك فى المدرسة وتجىء الأنباء مثنية الثناء المستطاب على جده واجتهاده ، وأما أنا فإنه يحتفظ بى فى المنزل كأهل الريف محروماً من التعليم ، أو بلغة أدق ، يجعلنى أقيم هنا قعيد الدار من غير ماعناية أو رعاية . أو تسمى ذلك رعاية تليق بسيد مثلى عريق الأصل ، وهى لاتختلف عن حبس ثور فى حظيرة ؟ ! إنه يعنى بخيوله عناية أفضل ، فهو لايكتفى بأن يقدم لها الغذاء الطيب ، بل يروضها ويدربها ليستأجرها الناس بأسعار عالية ، بيد أننى ، وأنا أخوه ،

لم أظفر بشيء ، فى ظل رعايته سوى نمو الجسد ، وهو أمر لا أختلف فيه عن السائمة ترعى فى مراعيه. وفضلا عن هذا الحرمان الذى يسرف فيه إسرافاً فإنه يبدو لى أنه قد سلبنى القليل الذى وهبتنى الطبيعة إياه ، حتى ليدعنى أتناول طعامى مع الخدم ، ويمنعنى من تبوّء مكانى الحق بوصفى أخاه ، ولا يدخر وسعاً فى الحط من كرم محتدى بالانتقاص من تعليمى . وهذا ما يحزننى يا « آدم » ، حتى لأرى روح أبى التى تملأ إهابى قد بدأت تثور على تلك العبودية ، ولن أصبر على ذلك بعد الآن ، وإن كنت لا أعلم إلى تلافى هذا الحيف سبيلا .

آدم : ها يا سيدى أخوك قادم .

أورلاندو : تنح يا آدم ، ولسوف تسمع كيف يثيرنى .

(يدخل أوليفر)

أوليفر : تبا لك ! ماذا تصنع هنا يا سيدى ؟

أورلاندو : لا شىء ، فما تعلمت أن أصنع شيئا .

أوليفر : وما يعوقك عن العمل إذن ياسيدى ؟

أورلاندو : عفواً يا سيدى فإنى أعينك بجهالتى على إفساد ذلك المسكين الذى خلقه الله لك أخاً غير جدير بأخوتك .

أوليفر : مهلا يا سيدى ، اشغل نفسك بما هو أصلح لشأنك ، عليك اللعنة .

أورلاندو : هل لى أن أعنى بخنازيرك وأشاركها ما تطعمه من عشب ؟ أتراني بددت الجانب الأكبر من حصتى حتى أهوى إلى هذا الحضيض من الفاقة ؟

أوليفر : أو تعرف أمام من أنت ؟

أورلاندو : نعم ، أعرفك أكثر مما يعرفنى ذلك الذى أمثل الآن فى حضرته . أعرف أنك أخى الأكبر ، ولو أنك تحس بصلة الدم الرحيمة التى تربط بيننا لعرفت أننى أخوك . لقد رفعتك السنّة التى درج عليها الناس درجة فوق درجتى ، لأنك جئت إلى هذه الدنيا قبلى ، إلا أن هذه السنة نفسها لا تنكر علىّ الدم الذى يجرى فى عروقى ، ولو كان بيننا عشرون أخاً سويًّا فإن فىّ من أبى مثل ما فيك ، وإن كنت أعترف بأن مجيئك إلى هذه الدنيا قبلى قد جعلك أدنى منى إلى محبته وتقديره .

أوليفر : ماذا تقول ياغلام ؟

أورلاندو : على رِسْلك ، يا أخى الأكبر ، فإنى أراك أعجز وأقل تجربة من أن تفعل ما هممت به .

أوليفر : أو تمد يدك نحوى أيها الشرير[١] ؟

أورلاندو : أنا لست وضيعاً[١] وإنما أنا الابن الأصغر للسير رولاند دى

---

(١) يرى « جونسون » أن أوليفر يستعمل فى هذا الموضع لفظ (Villain) بمعناه الحديث أى « شرير » فى حين أن أورلاندو يستعمله على الأرجح بمعنى « وضيع أو منحط » .

بويز ، وهو قد كان أبى ، ولبئس من يقول إن أباً مثله قد أنجب أولاداً حقراء . ولو لم تكن أخى لما نزعت يدى هذه عن حلقك قبل أن أترك يدى الأخرى تسل لسانك جزاء لك على ماقلت،لقد جلبت العار على نفسك بقولك .

آدم : ياسيدىَّ العزيزين ، هونا عليكما واصبرا ، وتصافيا إكراما لذكرى أبيكما .

أوليفر : أخل سبيلى ، قلت لك أخل سبيلى .

أورلاندو : لن أفعل ذلك إلا حين أشاء ، فلتستمع إلىّ . لقد عهد إليك أبى فى وصيته أن تحسن تعليمى ، ولكنك نشأتنى نشأة الفلاحين ، وحجبت عنى كل صفات الإنسان المهذب الفاضل . على أن روح أبى أخذت تملأ جوانحى ، ولن أحتمل ذلك الموقف بعد ، فاسمح لى أن أمارس من الأعمال ماهو خليق بأن يجعلنى رجلاً من أفاضل الناس ، وإلا فلتعطنى تلك الحصة الضئيلة التى أوصى لى بها أبى ، وبذلك أستطيع أن أسعى فى مناكب الأرض طلباً للرزق .

أوليفر : ماذا عساك أن تصنع ؟ أتتسول إذا نفد هذا المال من يدك ؟ ليكن يا سيدى ، ولتدخل المنزل ، ولن أشغل بالى بك طويلا ، ولسوف أعطيك بعض حصتك ، أرجو أن تغرب عن وجهى .

أورلاندو : لن أقف بعد اليوم عقبة فى سبيلك ، إلا بمقدار ماتدعونى إلى

ذلك مصلحتى .

أوليفر : ولتذهب معه أنت ، أيها الكلب العجوز .

آدم : أهذا اللقب هو جائزتى عندك ؟ ألا ما أصدق قولك ! فقد فقدت أسنانى فى خدمتك ، وليرحم الله سيدى الكبير ! فما كان هذا اللفظ ليخرج من فمه

(ينصرف أورلاندو وآدم)

أوليفر : أو قد بلغ بنا الأمر إلى هذا الحد ، وأخذت ترهقنى وتثقل علىّ ؟ لأشفينك من وقاحتك ، ثم لا أعطيك مبلغ الألف كرون الذى يخصك ! مرحباً بك يا « دنيس » .

(يدخل دنيس)

دنيس : أو ناديت يامولاى ؟

أوليفر : أو لم يحضر تشارلز ، مصارع الدوق ، إلى هنا بغية التحدث إلىّ ؟

دنيس : بلى ياسيدى إنه بالباب ، يلحف فى طلب المثول بين يديك .

أوليفر : ادعه .

(ينصرف دنيس)

ستكون هذه خطة موفقة ، وفى غد تقام حفلة المصارعة .

(يدخل تشارلز)

تشارلز : أنعم صباحاً يامولاى .

أوليفر : أيها السيد العزيز تشارلز ، ماذا جد من أخبار فى البلاط الجديد ؟

تشارلز : ليس فى البلاط يامولاى من جديد سوى الأنباء القديمة ، وذلك أن الدوق الكبير قد نفاه أخوه الأصغر بوصفه الدوق الجديد ، كما أن ثلاثة أو أربعة من اللوردات المخلصين قد ذهبوا باختيارهم إلى هذا المنفى مع سيدهم الدوق السابق ، فكانت أراضيهم ومواردهم مصدراً لثراء الدوق الجديد ، مما جعله يسمح لهم بالحرية فى التجول كما يشاءون .

أوليفر : أو تعرف أن روزالند ابنة الدوق قد ذهبت إلى المنفى مع والدها ؟

تشارلز : كلا ثم كلا ، ذلك أن ابنة الدوق الجديد ، وهى ابنة عمها ، تحبها أعظم حب ، فقد نشأتا معاً منذ ولادتهما ، ولو أنها نفيت لذهبت إلى المنفى أو قضت إذا قدر لها البقاء دونها . إنها يا سيدى فى القصر ، يحبها عمها حباً لايقل عن محبته لابنته ، ولم يحدث قط أن تحابت فتاتان ، كما تحابتا .

أوليفر : وأين يعيش الدوق السابق ؟

تشارلز : يقال إنه استقر فعلا فى غابة آردن ، وإن عدداً كبيراً من أهل المرح يعيشون معه هناك ، وهم يحيون كما كان يحيا «روبن هود»[1] قديما فى إنجلترا ، ويقال أيضاً إن كثيراً من أفاضل الشباب يلتفون حوله كل يوم ، ويقضون الوقت شأن اللاهين

---

(١) «روبن هود» بطل من ابطال الخرافات الشعبية فى بريطانيا ، على عهد الملك ريتشارد قلب الأسد ، وقد خلده الشعراء الإنجليز فى الكثير من القصائد والمقطوعات الشعرية .

الخليين كما كانت الحال فى أيام العصور الذهبية الخالية .

أوليفر : حدثنى ، أو تشترك غداً فى المصارعة فى حضرة الدوق الجديد ؟

تشارلز : لعمرى ياسيدى ، إنى لفاعل ، ولقد جئت لأخبرك بأمر ، ذلك أنه نمى إلىّ سراً أن أخاك الأصغر أورلاندو قد اعتزم أن يبرز للصراع متنكراً يبغى منازلتى ، وسأصارع غداً ياسيدى إبقاء على سمعتى ، وإنى لأشهد أن من يفلت من قبضتى بدون أن ينكسر عضو من أعضائه هو المصارع البارع . وما أخوك ياسيدى إلا شاب حدث لين العود . وإنى ، وحق محبتك ، لا أود أن أهزمه ، وإن كان يجوز لى ذلك احتفاظاً بشرفى ، إذا هو أقدم على منازلتى ، ولقد جئت إليك مدفوعاً بمحبتى لك لأطلعك على الأمر ، فإما استطعت أن تثنيه عن عزمه ، أو يلحق بك العار الذى يجلبه اشتراكه فى المصارعة ، لأنه أمر سعى إليه معارضاً بذلك رغبتى .

أوليفر : أشكر لك ياتشارلز محبتك لى ، ولسوف ترى أننى سأجازيك عليها أطيب الجزاء . ولقد لاحظت أنا نفسى هدف شقيقى ، فسعيت سرًّا أن أثنيه عما اعتزم ، ولكنه صادق العزم ، بل إنى لأقول لك يا «تشارلز» إنه أشد شباب فرنسا عناداً ، وإنه واسع المطامع ، يحقد على الناس ، وينكر عليهم أشياءهم ، وهو شرير يتآمر علىّ سرًّا ، أنا شقيقه ، ومن ثم فافعل به ما بدالك ، ويستوى عندى

أن تدق عنقه أو تكسر إصبعاً من أصابعه ، ويجمل بك أن تتبصر في الأمر ، فإنك إذا خدشت كبرياءه خدشاً يسيراً ، أو إذا لم ينتصر هو عليك انتصاراً كبيراً ، فإنه لاشك سيتآمر عليك بالسم ، أو يصنع لك فخاً بوسيلة من وسائله الغادرة ، ولن يدعك إلا وقد أوردك موارد التهلكة بطريقة من طرقه الخفية ، وأؤكد لك – والدموع تنازعني وأنا أقول هذا القول – أنك لن تجد فى أيامنا هذه شابا فى مثل شره وإثمه ، بيد أننى لا أستطيع أن أتحدث إلا حديث الأخ عن أخيه . ذلك أننى لو كشفت لك عن خلقه الحق ، فإنه لجدير بى أن أبكى وأحمر خجلا . فى حين تغدو أنت شاحب اللون مأخوذاً من العجب !

تشارلز : إنى لسعيد حقاً لقدومى إليك هنا ، ولو أن أخاك أقبل غداً ، فإنى سأوفيه حسابه . ولن أصارع فى سبيل جائزة بعد اليوم إذا هو استطاع أن يسير على قدميه وحده بعد الآن ! وليحفظ الله مولاى !

أوليفر : أستودعك الله يا «تشارلز» ، أيها الرجل المخلص .

(ينصرف تشارلز)

والآن سأثير هذا المقامر ، وأرجو أن تكون فى ذلك نهايته ، ذلك أن نفسى لاتبغض أحداً أبداً بغضها إياه ، على أنى لا أعرف لذلك سبباً ، ومع كل فهو طيب الأرومة ، عالم وإن لم يتلق العلم ،

وهو مفعم بالغايات النبيلة ، فتن به الناس على اختلافهم ، بل إن حبه قد وقع فى قلوبهم جميعاً وبخاصة خدمى الذين هم أعلم الناس به ، حتى هان شأنى عندهم كل الهوان ، بيد أن ذلك الحال لن يطول بى ، وسيجهز هذا المصارع عليه ويزيله من طريقى ، ولن يبقى أمامى سوى أن أستثير ذلك الغر حتى يتوجه للمصارعة ، وهذا ما أنا الآن بسبيله . (ينصرف) .

* * *

المنظر الثانى

مرج أمام قصر الدوق

(تدخل سيليا وروزالند)

سيليا : أتوسل إليك يا «روزالند» يابنة عمى الحبيبة ، أن تبدى مرحك .

روزالند : عزيزتى سيليا إنى لأبدى من المرح والسرور ، أكثر مما تحتمل جوانحى ، أو تريدينى بعد هذا أن أكون أكثر مرحاً ! لعمرى ليس لك أن ترشدينى إلى سبيل يفعم قلبى حبوراً وسروراً إلا إذا استطعت أن تهدينى إلى سبيل أنسى به أباً نأى به المنفى .

سيليا : هأنذا أراك لاتحبيننى ذلك الحب الكامل الشامل الذى أُكِنُّه لك لو أن عمى ، والدك المنفى ، كان قد نفى عمك ، أى والدى الدوق ، وكنت أنت مازلت على عهدى بك ، إذن لروضت حبى بحيث أستطيع أن أتخذ أباك بديلا من والدى ، وهذا مايسعك صنعه ، إذاكنت مخلصة فى محبتى إخلاصى فى محبتك !

روزالند : ليكن ماتريدين ، ولسوف أنسى ظروفى الخاصة وأشاركك بهجتك .

سيليا : أنت تعلمين أن أبى لم ينجب سواى ، وليس متوقعاً أن يصبح أباً

لغيرى ، والحق أنك سترثينه متى مات ، أما ماسلبه من أبيك عنوة فسأرده أنا لك حبًّا ومودة ، أقسم لك بشرفى إنى فاعلة ذلك ، فإن أنا حنثت بيمينى فليمسخنى الله قردة شوهاء . ألا فلتطيبى نفساً يا «روز» العزيزة ، ولتقرى عينا يا «روز» الحبيبة .

روزالند : سأفعل ذلك منذ الآن يابنة العم ، ولسوف أستنبط من الأسباب مايبعث على تسليتى . والآن دعينى أسألك مارأيك فى الوقوع فى شراك الحب ؟

سيليا : تالله إنى لأرجو أن تتخذيه أداة لهو ، ولكن إياك أن تجدّى فى حب أى رجل ، ولاتتمادى فى حبك إلا إلى الحد الذى تستطيعين عنده أن تتخلصى منه طاهرة الذيل لم يمسسك إلا حمرة من الخجل تضرجت بها وجنتاك !

روزالند : وماذا نتخذ إذن من أدوات اللهو؟

سيليا : دعينا نسخر من إلهة الحظ حتى نحملها على ترك عجلتها ، لعلها من بعد تعدل بين الناس فى قسمة الحظوظ .

روزالند : وددت لو استطعنا ذلك ، فإنها تخبط فى قسمتها خبط عشواء ، بل إن هذه الإلهة العمياء السخية تخطئ أشد الخطأ مع النساء فى توزيع هباتها .

سيليا : هذا حق ، فإن النساء اللواتى تهبهن الجمال قلما تخلع عليهن ثوب الفضيلة ، أما الشريفات فإنها تجود عليهن بالقبح من غير

حساب .

روزالند : حسبك ، فإنى أراك الآن تخلطين بين فعل الحظ وفعل الطبيعة ، فالحظ موكل بالهبات يوزعها بين الناس ، ولاشأن له بملامحهم أو قسماتهم .

(يدخل تتشستون)

سيليا : عجباً ! أو إذا أبدعت الطبيعة فى تصوير حسناء ، أفلا يرميها الحظ بالنار ؟ إن الطبيعة إن كانت قد وهبتنا الذكاء وحدة الذهن ، لكى نسخر بالحظ ، فإن الحظ هو الذى رمانا بهذا الأحمق المأفون ليقطع علينا هذا النقاش .

روزالند : حقًّا أن ثمة حظًّا يصعب على الطبيعة أن تنال منه ، وذلك عندما يتخذ الحظ من أمثال هذا المعتوه حائلا يقف فى سبيل ما أنعمت به الطبيعة على المرء من ذكاء .

سيليا : ربما لم يكن هذا من صنع الحظ أيضاً ، وإنما هو من صنع الطبيعة ، فهى تدرك أن مواهبنا الطبيعية أقل من أن تتيح لنا أن نحاسب مثل هاتين الإلهتين ، فبعث إلينا ذلك المعتوه ليشحذ به عقولنا . ذلك أن غباء الأبله هو محك العقول الذكية . والآن ماذا وراءك أيها اللبيب ؟ وإلى أين أنت قاصد ؟

تتشستون : سيدتى ، يجب عليك أن تتوجهى لمقابلة والدك .

سيليا : أو جعلك رسوله إلىّ ؟

تتشستون : كلا ، وشرفى ، ولكننى أمرت أن آتى إليك !

روزالند : وأين تعلمت هذا القسم أيها الأحمق ؟

تتشستون : من نبيل من النبلاء أقسم بشرفه أن الفطائر كانت لذيذة ، وأقسم كذلك بشرفه أن الخردل كان لايساوى شيئاً ، على أنى أؤكد أن الفطائر لم تكن تساوى شيئاً وأن الخردل كان لذيذاً ، ومع ذلك أترى النبيل لم يحنث بيمينه ؟

سيليا : وكيف تستطيع إثبات ذلك بواسع علمك ومعرفتك ؟

روزالند : إى والله ، هلم وأطلق العنان لحكمتك !

تتشستون : إلىّ أنتما ، ولتمسك كل منكما بذقنها ، ولتقسم بلحيتها ، إنى كاذب محتال !

سيليا : بحق لحيتنا ، إنك لكذلك لو أنه كانت لنا لحًى .

تتشستون : قسماً بمكرى واحتيالى ، لو أننى كنت كذلك ، لكنت إذن ماكراً محتالا ، ولكنكما إذا أقسمتما بما لاتملكان ، فإنكما بذلك لاتحنثان بالقسم ، وكذلك حال ذلك النبيل الذى أقسم بشرفه ، فقد كان مجرداً من كل شرف ، أو قل إنه لو كان عنده شىء من الشرف ، فهو قد نبذه وتخلى عنه ، من قبل أن يقع بصره على تلك الفطائر أو على ذلك الخردل !

سيليا : أرجوك أن تفصح عمن تعنى بقولك .

تتشستون : أعنى شخصاً يحبه والدك الشيخ « فردريك »

سيليا : إن حب والدى له يكفى لأن يسبغ عليه التكريم ، فلا تتحدث عنه أكثر من ذلك ، ولسوف تجلد يوماً جزاء لك على سلاطة لسانك .

تتشستون : لشد ما آسف لأن البلهاء قد لايتحدثون بحكمة عما يأتيه أهل الحكمة من حماقة !

سيليا : تالله إنك لتقول الحق . فإنه إذا خبا القليل مما عند البلهاء من ذكاء تجلى القليل مما عند العقلاء من حماقة ! ها هو ذا السيد لوبو يصل :

روزالند : وإن فمه لمحشو بالأنباء !

سيليا : وسيلقيها علينا شأن الحمائم وهى تطعم صغارها .

روزالند : إذن ، فسنصبح متخمتين بالأنباء .

سيليا : هذا أفضل ، لأن سعرنا سوف يرتفع فى أعين الناس !

(يدخل لوبو)

سيليا : سعدت صباحاً أيها السيد «لوبو» ماوراءك من أنباء ؟

لوبو : أيتها الأميرة الحسناء ، لقد فاتك مشاهدة رياضية بديعة .

سيليا : رياضة ؟ من أى لون ؟

لوبو : من أى لون ، ياسيدتى ؟ كيف أستطيع أن أجيبك ؟

روزالند : بما يشاء الحظ والذكاء .

تتشستون : أو بما تقضى به المقادير .

سيليا : قول حسن ، ولكنه صب فى عبارة متملقة فجّة .

تتشستون : أجل ، فإننى إذا لم أحتفظ بمحسناتى البديعية وبتلاعبى بالألفاظ ..

روزالند : فإنك تفقد طابعك القديم .

لوبو : إنكما تدهشانى ياسيدتى ، لقد كدت أرغب فى أن أحدثكما عن مصارعة رائعة لم تقع أنظاركما عليها .

روزالند : ومع ذلك فلتحدثنا عن أسلوب تلك المصارعة .

لوبو : سأحدثكما عن بدايتها ، فإذا شئتما ياصاحبتى العظمة فلكما أن تشاهدا نهايتها ، ذلك أن أروع جولاتها لم يتم بعد ، وسيفدون إلى حيث أنتما لعقد هذه الجولة .

سيليا : حسن ، لقد طوى الماضى البداية وعفى عليها .

لوبو : هاهو ذا رجل شيخ قد أقبل ومعه أبناؤه الثلاثة .

سيليا : فى وسعى أن أقارن بين هذه البداية ورقصة قديمة .

لوبو : ثلاثة من أملح الشباب حسناً ، وأكملهم نموًّا ، وأطيبهم مخبراً .

روزالند : وقد علقت فى رقابهم العدة ، ودونت فيها العبارة التالية : « ليكن أمر هؤلاء المتقدمين للمصارعة معروفاً لدى الحاضرين أجمعين » .

لوبو : لقد تبارى أكبر هؤلاء الثلاثة مع تشارلز ، مصارع الدوق ، فطرحه تشارلز بعد دقيقة واحدة ، بعد أن كسر له ثلاثاً من

ضلوعه ، حتى لم يعد ثمة أمل يرجى فى حياته ، وهكذا كان شأنه مع الثانى ، ثم مع الثالث . هاهم أولاء هناك مطروحين على الأرض ، وإن والدهم الشيخ المسكين ليبدى من الحزن مايستدر الشفقة على أولاده ، حتى لقد شاركه جميع النظارة الحزن عليهم والبكاء من أجلهم .

روزالند : واحر قلباه !

تتشستون : ولكن أين هى ياسيدى الرياضة التى فاتت السيدتان فرصة مشاهدتها ؟

لوبو : عجباً ! هذه هى الرياضة التى أتحدث عنها !

تتشستون : وهكذا يزداد الناس كل يوم حكمة وتعقلا ! تلك هى أول مرة أسمع فيها أن كسر الضلوع رياضة تطيب للسيدات !

سيليا . : وأنا كذلك أؤكد لك ذلك !

روزالند : ولكن ، أهناك أناس آخرون يودون أن يستمعوا إلى هذا الصوت المنكسر ينبعث من جنوبهم ؟ هل ثمة إنسان آخر تواق إلى أن تنكسر ضلوعه ؟ وهل نرى يابنة العم هذه المصارعة ؟

لوبو : لاشك أنكما ستريانها إذا لبثتما هنا ، فهذا هو المكان المعد للمصارعة ، وهاهم أولاء قد تأهبوا للنزال .

سيليا : إنهم هناك حقًّا ، وهاهم أولاء مقبلون ، فلنبق إذن لنشاهد المصارعة.

(ينفخ فى الأبواق ويدخل الدوق فردريك واللوردات وأورلاندو وتشارلز والحجاب)

فردريك : هلموا ، مادام الشاب لن ينثنى عن عزمه فليتحمل ما يجره عليه إقدامه من مخاطر.

روزالند : أو ذلك الرجل هو المصارع ؟

لوبو : هو بعينه ياسيدتى .

سيليا : إنه لحدث صغير السن ! وإن كانت تبدو عليه أمارات الانتصار .

فردريك : ما بالك يابنتى ويابنة أخى ؟ أو قد تسللتما إلى هذا المكان لمشاهدة المصارعة ؟

روزالند : أجل ياسيدى ، وأرجو أن تتفضل وتأذن لنا بالبقاء .

فردريك : أستطيع أن أؤكد أنكما لن تجدا فيها إلا القليل من المتعة ، فإن خصمه يتفوق عليه تفوقاً ظاهراً ، وقد كنت أود ، شفقة بهذا الشاب المتحدى ، أن أثنيه عن عزمه ، ولكنه لايريد أن يذعن أو يقبل ، عليكما به أيتها السيدتان ، وتحدثا إليه فى ذلك ، لعلكما تستطيعان أن تؤثرا فيه .

سيليا : ادعه إلينا أيها السيد المخلص «لوبو» .

فردريك : لنفعل ، وسأنتحى أنا بعيداً .

لوبو : أيها السيد المتحدى فى المصارعة ، إن الأميرتين تطلبانك .

أورلاندو : سأمثل فى حضرتيهما مؤدياً لهما جميع فروض الطاعة والاحترام

روزالند : أيها الشاب ، هل تحديث حقاً تشارلز المصارع ؟

أورلاندو : كلا أيتها الأميرة الحسناء ، إنه هو الذى يتحدى جميع المصارعين ، ولم أفعل سوى مافعله غيرى ، فقدمت لأختبر حياله قوة شبابى .

سيليا : أيها السيد الشاب ، إن روحك لأشد إقداماً مما تؤهلك له سنك ولقد شاهدت ذلك المثل القاسى لقوة ذلك الرجل ، ولو أنك تدبرت أمرك ، ونظرت فى شأنك بعينى بصيرتك ، لحملك الخوف على التماس نزال آخر تكون فيه أقرب إلى التعادل مع كفة غريمك ، وإنا لنتوسل إليك . من أجل خاطرك أنت ، أن تنجو بجلدك ، وتعدل عن هذه المحاولة .

روزالند : افعل ذلك أيها السيد الشاب ، ولن تضار سمعتك إذا فعلت ، وسنسأل الدوق وقف المصارعة .

أورلاندو : أتوسل إليكما ألا تعاقبانى بآرائكما الشديدة الوقع على نفسى ، وإن كنت فى ذلك أعترف بعظمة ذنبى إذا أنا لم ألبِّ طلباً لسيدتين مثلكما بلغتا الغاية فى الحسن والكمال ، بيد أنى أرجو أن تلحظانى بعيونكما الجميلة وتمنياتكما الطيبة فى أثناء مصارعتى ، فإذا خسرت النزال فلن يلحق العار إلا بشخصى أنا الذى لم يكرمنى أحد ، وإذا قتلت فلن يقتل إلا رجل واحد يرغب فى ذلك ، ولن أسيء إلى أحد من أصدقائى ، وليس لى صديق يأسى علىّ ،

ولن ألحق الأذى بهذا العالم ، إذ لست أملك فيه شيئاً ، وكل مالى فيه مكان ، إذا خلا منى كان حريًّا بأن يملأه من هو أجدر منى وأفضل .

روزالند : كم وددت أن تضاف قواى الضئيلة إلى قوتك .

سيليا : وقواى أنا أيضاً تعزيزاً لقواها .

روزالند : وداعاً ، وإنى لأبتهل إلى الله أن أكون قد خدعت فى تقديرى لقوتك .

سيليا : حقق الله أمانيك .

تشارلز : هيا ، أين هو ذلك الشاب الباسل الذى يرغب فى احتضان الثرى ؟

أورلاندو : لقد أخذ أهبته ياسيدى ، ولكنه يملأ إهابه التواضع .

فردريك : حسبك جولة واحدة فقط .

تشارلز : حاشا ياصاحب الفخامة ، فإنى أؤكد لكم أن الأمر لن يقتضيكم الإلحاح عليه بمنازلتى فى جولة ثانية ، بعد أن تفضلتم فسعيتم إلى إثنائه عن خوض الجولة الأولى .

أورلاندو : أما وقد قصدت أن تسخر منى بعد المصارعة فلا ينبغى لك أن تهزأ بى قبلها ، ولكنى هيا هات ما فى جعبتك .

روزالند : ألا كان هرقل[1] فى عونك أيها الشاب .

---

(١) هرقل من آلهة الميثولوجيا وهو ابن جوبيتر . وتعزى إليه خوارق الأعمال الدالة على قواه البدنية الساحقة .

سيليا : وددت لو كنت من المخلوقات الخفية حتى أمسك بالرجل القوى من ساقه .

(يتصارعان)

روزالند : ياللشاب البارع !

سيليا : لو أن صاعقة أصابت عينى لما عجزت عن التنبؤ بمن سيطرح منهما غريمه أرضاً .

(صيحات ، لقد طرح تشارلز أرضاً)

فردريك : كفى كفى .

أورلاندو : بل إنى أبتهل إليك يا سيدى ، فإننى لم أجرب بعد قواى معه .

فردريك : كيف حالك ياتشارلز ؟

لوبو : إنه لايستطيع كلاماً يامولاى .

فردريك : اذهبوا به . ما اسمك أيها الشاب ؟

أورلاندو : أورلاندو ياسيدى . أصغر أبناء سير رولانـد دى بويز .

فردريك : وددت لو كنت ابناً لرجل سواه ،

لقد أكرم الناس أباك وبجلوه ،

ولكنه كان على الدوام عدوًّا لى ،

ولو أنك كنت سليل أسرة أخرى لازداد رضاى عما أتيته من عمل مجيد ،

ولكن وداعاً ، إنك لشاب جرىء .

لكم وددت أن تنبئني بأن أباك أب آخر غير من ذكرت !

(ينصرف الدوق فردريك وحاشيته ولوبو)

سيليا : أفكنت أتحدث بهذه اللهجة يابنة العم ، لوكنت مكان أبي ؟

أورلاندو : إني لفخور أعظم الفخر لكوني ابن السير «رولاند» ،
بل أصغر أبنائه ، وما كنت لأغير هذا اللقب .
لكي أصبح وريث «فردريك» !

روزالند : كان والدي يحب السير «رولاند» حبه لنفسه .
وكان الناس كلهم يرون رأى والدي
ولو أنني عرفت من قبل أن هذا الشاب هو ابنه ،
إذن لرجوته ، متوسلة بدموعي ،
أن يمتنع عن هذه المخاطرة .

سيليا : يابنة العم الرقيقة ، هلمي بنا نشكره ونشجعه ،
فإن موقف أبي الخشن ، المنطوي على الحقد ،
ينال من قلبي نيلا شديداً . سيدي ، لقد استحققت بجدارة هذا
النصر ، ولو أنك تحفظ وعودك في الحب .
بكل أمانة وإخلاص كما فعلت في المصارعة ، إذ وفيت بعهدك
وفاء فاق كل عهد ،
فلاشك في أن حبيبتك ستكون سعيدة .

روزالند : سيدي (تعطيه سلسلة انتزعتها من عنقها) تقلد هذه السلسلة من أجلي ،

فإنى قد لمست من الحظ عناداً ،
ولولا هذا العناد لأعطيتك أكثر من هذا ، ولكن يدىّ خاليتان
مما يُعطى !
أو ننصرف يابنة العم ؟

سيليا : نعم . وداعاً أيها السيد الكريم .

أورلاندو : ترى أفى مقدورى أن أشكركما ؟
لقد ذهبت عنى كل قوتى وعزيمتى ،
وهذا الذى يقف أمامكما ليس سوى تمثال خلو من الحياة .

روزالند : إنه يدعوها إليه . إنى أرى أنى قد فقدت كبريائى بضياع ثروتى
سأسأله مايريد . أو ناديت ياسيدى ؟
سيدى لقد أبليت بلاء حسناً فى المصارعة
ولم تصارع أعداءك فحسب بل تعديتهم إلى غيرهم .

سيليا : أو نذهب يابنة العم ؟

روزالند : إنى لذاهبة معك . أستودعك الله .

(وتنصرف روزالند وسيليا)

أورلاندو : ترى ماكنه هذه العاطفة الغلابة التى تعقل لسانى وتلجمه ؟
إنى لا أستطيع التحدث إليها ، مع أنها دفعتنى إلى الحديث دفعاً .
مسكين أنت يا أورلاندو ، لقد غلبت على أمرى !
فإنْ كنت قد غلبت تشارلز فإن من هو أضعف منه قد سيطر

عليك !

(يدخل لوبو مرة أخرى)

لوبو : سيدى العزيز ، إن صداقتى لك تدفعنى إلى أن أنصحك بمغادرة هذا المكان ، وعلى الرغم من أنك تستأهل أطيب الثناء وتستحق أصدق المديح والحب ، فإن الهوى يغلب على تصرفات الدوق الآن ، فهو يبخسك كل ما أتيت من عملٍ مجيد .
وإنه لصاحب بدوات ونزوات ،
والحق أنك تستطيع أن تستبين حقيقته خيراً مما لو حدثتك أنا عنه .

أورلاندو : أشكرك ياسيدى ، وأرجو أن تخبرنى
من ياترى ابنة الدوق
من بين الاثنتين اللتين حضرتا المصارعة ؟

لوبو : إذا نحن حكمنا بمسلكهما ، فلن تكون أية واحدة منهما ابنته ،
ولكن الواقع أن أصغرهما هى ابنته ،
وأما الأخرى فابنة الدوق المنفى ،
وهى هنا محتجزة بأمر من عمها المغتصب ،
حتى تكون رفيقة ابنته ،
وإنهما لمتحابتان حبًّا يفوق الحب الذى يربط بين شقيقتين .
ولكن أستطيع أن أقول لك إن الدوق

أخذ يظهر أخيراً امتعاضه وجفاءه لابنة أخيه اللطيفة ، لا لسبب
إلا أن الناس يمتدحونها ويثنون على فضائلها ،
ويأسون لما أصاب أباها الصالح .
وأقسم بحياتى إن حقده على هذه الآنسة
سوف يتجلى عما قريب سافراً واضحاً . فياسيدى وداعاً ،
وإنى لأرجو أن تنال فى ظروف أفضل من هذه نصيباً أكبر من
الحب والتقدير .

أورلاندو : إنى لمدين لك بالكثير ، أستودعك الله .

(يخرج لوبو)

أو حق على أن أنجو من المقلاة لأقع فى النار نفسها ،
وأن أفارق دوقاً طاغية إلى أخ ظلوم ،
ولكن آه ياروزالند ، أيها الملك الكريم !

(يخرج)

* * *

المنظر الثالث

غرفة فى القصر

(تدخل سيليا وروزالند)

سيليا : ما بالك يابنة العم ؟ وماذا دهاك ؟ رحماك يا «كيوبيد» ! أما من كلمة واحدة ؟

روزالند : ولا كلمة ألقى بها إلى كلب !

سيليا : كلا إن كلماتك لأثمن من أن يلقى بها إلى الجراء ، ألق ببعضها إلىّ . هلم وأفحميني بحديثك .

روزالند : إذن أقول إن ثمة ابنتى عم عاجزتين : إحداهما يفحمها المنطق ، والأخرى مجنونة بلا منطق !

سيليا : ولكن هل كل ذلك من أجل والدك ؟

روزالند : كلا ، إن بعضه من أجل والد عيالى المرتقب ! أواه لكم تملأ الأشواك هذه الحياة التى نحياها كل يوم .

سيليا : ليست هذه الأشواك يابنة العم إلا قشوراً تصيبنا فى لهونا أيام العطلة ، فإذا لم نسلك الطرق الممهدة ، علقت ثيابنا بها .

روزالند : لو أنها كما قلت لاستطعت أن أنفضها عن ثيابى ، ولكن هذه الأشواك تحل فى الفؤاد !

سيليا : انفضيها بالسعال !

روزالند : لو استطعت أن أسعل وأقذف بها من صدرى لحاولت .

سيليا : هلمى هلمى وصارعى عواطفك .

روزالند : أواه إنها لتستنفد قوى مصارع أقدر منى .

سيليا : لهنى عليك ! ألا فلتحل بك البركة . ولسوف تعاودين المحاولة فى الوقت المناسب ، على الرغم من إخفاقك . ولكن دعينا من هذا المزاح ، ولنتحدث فى جد : أمن الممكن أن تقعى على حين غرة منك فريسة لحب أصغر أبناء السير « رولاند » ؟

روزالند : لقد كان والدى الدوق يحب والده حبًّا جمًّا .

سيليا : أفيترتب على ذلك أن تحبى أنت الأخرى ابنه حبًّا جمًّا ؟ لو أننى أخذت بهذا المنطق إذن لكرهته ، لأن والدى كان يبغض والده بغضاً شديداً ، غير أننى لا أبغض « أورلاندو » .

روزالند : كلا ، بالله ، لاتبغضيه إكراماً لى .

سيليا : ولم لا ، أو ليس هو أهلا لكل كره ؟

روزالند : دعينى أحبه من أجل ذلك ، ولتحبيه أنت لأننى أحبه ، انظرى هاهو ذا الدوق قادم .

سيليا : وعيناه تضطرمان غضباً .

(يدخل الدوق فردريك مع اللوردات)

فردريك : (مخاطباً روزالند)

سيدتى ، ارحلى عنا بسرعة تضمنين بها السلامة ،
ولتبتعدي عن بلاطنا .

روزالند : أنا ياعماه ؟

فردريك : أنت يابنة الأخ ،
وفى غضون هذه الأيام العشرة ،
فإذا وجدوك على مسافة عشرين ميلا من أسوارنا
فستدفعين حياتك ثمناً لذلك .

روزالند : أتوسل إليك ياصاحب الفخامة
أن تطلعنى على ما قترفت من ذنب .
فإننى إن كنت مدركة لطوايا نفسى ،
أو عالمة برغباتى ،
ولم أك حالمة أو فاقدة الوعى ،
وأنا بحسب ما أعتقد ليس لى شىء من ذلك ،
فإنى ياعمى العزيز لم أسئ إلى فخامتكم قط ،
بل لم يهمس بذلك خاطرى .

فردريك : هذا هو شأن الخونة جميعاً
إذا كانت الشهادة على براءتهم معلقة بأقوال يرددونها ،
فهم يبدون أنقياء الصفحة كالفضيلة نفسها ،
وحسبى أننى لا أثق بك .

روزالند : ومع ذلك ، فإن ريبتك لاتجعل منى خائنة ،
ألا خبرنى ماذا تراه من خيانتى ؟

فردريك : إنك ابنة أبيك ، وهذا حسبك .

روزالند : لقد كان ذلك شأنى حينما اغتصبتم ياصاحب الفخامة دوقيته ،
وكذلك كان حالى حينما نفيتموه ياصاحب العظمة ،
إن الخيانة شيء لايورث يامولاى ، ثم إنها إذا كانت قد آلت إلينا
من ذوى قربانا
فأى شأن لى بهذا ، إن والدى لم يكن خائنا .
فلا يلتبس عليك الأمر إذن يا مولاى الكريم
فتحسب أن الخيانة من شيمة الفقراء أمثالى .

سيليا : مولاى العزيز ، أصغ إلىّ !

فردريك : أى سيليا ، لقد أبقيناها من أجلك ،
وإلا رافقت أباها فى منفاه .

سيليا : لم أكن أنا التى رجوتك حينذاك أن تبقيها ،
ولكنك فعلت ذلك عن طيب خاطر ،
وعن شفقة ورحمة ينطوى عليها قلبك .
ولقد كنت آنئذ أصغر من أن أستطيع الحكم عليها . ولكننى الآن
أعرفها ، فإن كانت خائنة
فوا عجبى فإننى مثلها ، ذلك أننا لانزال ننام معاً ،

ونستيقظ فى آن واحد ، ونتعلم معاً ونلعب معاً ونأكل معاً ، وإذا
ذهبنا معاً متلازمتين لا يفرق بيننا شيء .
حتى لكأننا إوزتا الإلهة جونو[1]

فردريك : إنك لأوهن من أن تستطيعى سبر غورها ، فإن رقتها ،
بل سكونها وصبرها
يجتذب الناس ويستدر شفقتهم عليها .
يالك من حمقاء ! إنها تسلبك مكانتك ،
فإذا هى ذهبت ، بدوت أعظم تألقاً وطهراً ،
فإياك أن تنبسى ببنت شفة ،
فقد قضيت فى أمرها قضاء مبرماً لا راد له .
لقد حكمت عليها بالنفى .

سيليا : فلتصدر إذن هذا الحكم علىّ أيضاً يا مولاى ،
فأنا لا أستطيع أن أعيش بعيدة عنها .

فردريك : إنك لحمقاء ، وأنت يا ابنة الأخ فلتدبرى أمرك ،
وإنى لأقسم بشرفى .
وبما لكلامى من حرمة واعتبار إنك إذا تجاوزت الأجل الذى
ضربته لك فقد حق عليك الموت . (يخرج الدوق واللوردات)

---

(١) إلهة من آلهة الرومان وهى رفيقة « لوبتيمر » . على أن النقاد قد أبانوا أن فيوس كابوا هى التى كان عندها إوزتان رفيقتان .

سيليا : لهفى عليك يا روزالند المسكينة ! أين تذهبين ؟
هلا تبادلنا أبوينا ؟ إنى إذاً لأتنازل لك عن أبى .
أتوسل إليك ألا تجعلى حزنك يفوق ما أنا فيه من هم وكرب .
روزالند : إن سبب حزنى أقوى وأشد .
سيليا : ليس أشد منى يا بنة العم ،
وإنى لأتوسل إليك أن تبتهجى وتسرى ،
ألا تعلمين أن الدوق قد نفانى أيضاً ، وأنا ابنته !
روزالند : هذا مالم يفعله .
سيليا : أهو حقًّا لم يفعل إذن فأنت يا روزالند يعوزك الحب
الذى يعلمك بأننا كلينا إنسان واحد ،
أو يمكن أن نفترق ؟ وهل تنأى إحدانا عن الأخرى يا حبيبتى ؟
كلا . ألا فليبحث والدى عن وريثة له سواى .
ولتتدبرى معى وسيلة نفر بها .
وإلى أين نذهب ، وماذا نحمل معنا من متاع ،
ولاتحاولى أن تحملى معك أتراحك ،
وتقاسى أشجانك وحدك بمنأى عنى ،
فوحق السماء التى شحب لونها الآن مشاركة لنا فى أحزاننا
لأذهبن معك مهما أبديت من حججج .
روزالند : ولكن أين نذهب ؟

سيليا : إلى غابة آردن للبحث عن عمى .

روزالند : وأسفاه ! أى خطر عظيم تواجهه فتاتان مثلنا
ترحلان إلى ذلك المكان النائى ،
إن الجمال يغرى اللصوص أكثر مما يغريهم الذهب !

سيليا : سأتخفى فى ثياب رثة حقيرة ،
وألطخ وجهى بطلاء أغبر اللون ،
وتفعلين أنت مثل ما أفعل ، ثم نمضى قدماً ،
فلا يطمع فينا المعتدون أبداً .

روزالند : أفليس من الأفضل ،
وأنا أطول قامة من المألوف .
أن أتخذ لنفسى هيئة الرجل فى كل شىء ؟
بحيث يتدلى على فخذى سيف رشيق ،
وأحمل فى يدى رمحاً لصيد الخنازير البرية ، وأحفظ فى قلبى
ذلك الخوف الذى تستره المرأة ،
ونسير فى اختيال متخذين سِمة الجد ،
كما يفعل الكثير من الجبناء الرعاديد
إذ يظهرون غير ما يبطنون !

سيليا : وبماذا أسميك متى أصبحت رجلا ؟

روزالند : لن أختار اسماً أقبح من اسم وصيف «جوبيتر»

نفسه ، وعليك إذن أن تناديني « بجانيميد »[١] ولكن بماذا تحبين
أن أناديك ؟

سيليا : ناديني باسم يمت بصلة إلى حالتي ،
فإني لم أعد «سيليا » ، بل « أليينا »[٢]

روزالند : ولكن ، ماذا عسى أن يحدث يابنة العم لو أننا سعينا إلى اختطاف
ذلك المهرج الأبله من بلاط أبيك ؟
أفلا يكون مسرياً عنا في رحلتنا ؟

سيليا : إنه لا يتردد في أن يجوب معي أنحاء هذه الدنيا العريضة
دعيني أتولى وحدي إغراءه ولننصرف ،
لنضم حلينا ومالنا بعضهما إلى بعض ،
وسأختار أنسب الأوقات وأسلم الطرق للاختفاء عن عيون من
سيطاردونني .
بعد هربي . ولننطلق الآن مرتاحي البال
إلى رحاب الحرية ، لا إلى المنفى .
(تنصرفان)

---

(١) في الأساطير الإغريقية أن « جانيميد » كان أميراً من أمراء طروادة ، وقد حطه الإله زيوس الذي كان متخفياً على هيئة نسر إلى السموات ، حيث أصبح جانيميد ساقي الآلهة .

(٢) (Aliena) أي الغريبة أو المنفية .

الفصل الثانى

المنظر الأول

غابة آردن

(يدخل الدوق الكبير وأميينز ولوردات آخرون فى زى أهل الغابة)

الدوق الكبير : والآن أيها الرفاق والإخوة فى المنفى ،
أو لم تصبح هذه الحياة بطول الألفة أعذب وأمتع
من تلك الحياة القائمة على الأبهة الكاذبة ؟ أو ليست هذه الحراج
آنس وأسلم من ذلك البلاط المفعم بالحقد والحسد ؟
إننا لا نشعر هنا إلا بمثل ما جوزى به «آدم » ،
فنعانى من اختلاف درجات الحرارة باختلاف الفصول ، نعانى
لذعة القر والبرد القارس تأتى به ريح الشتاء ،
فإذا عضتنى أنيابه ، ولفح جسمى
حتى انكمش من زمهريره ، ابتسمت وقلت
إن هذا لايتملقنى ، وإنما هو ناصح
يجعلنى أحس بحقيقة أمرى ،

جزى الله الشدائد كل خير ،
فهى كالضفدع البرية قبيحة الخلقة قاتلة السم
إلا أنها تحلى بجوهرة ثمينة ،
وهذه حياتنا قد خلت من الاتصال بالناس ،
وهى تجد فى الأشجار ألسنة تتحدث ، وفى الجداول الجارية كتباً ،
وفى الأحجار مواعظ ، كما تلقى الخير فى كل شىء .
وما أود أن أستبدل بها حياة أخرى .

أميينز : هنيئاً لك ياصاحب الفخامة ،
ما أوتيت من قدرة على التعبير عن إدبار الحظ
بهذا الأسلوب الرصين العذب .

الدوق : هيابنا ، هل لكم فى الخروج لصيد الغزال ؟
على أنه ليحزننى أن تخترق السهام الأرداف الملفوفة
لهذا الحيوان الأحمق المرتعش المسكين ، وهو يعيش فى موطنه
بهذه المدينة المهجورة تكلل رأسه القرون .

اللورد الأول : صدقت يا مولاى ،
إن «جاك» الحزين يتوجع لذلك ،
وهو يقسم أنك فى هذا تعدّ أشد اغتصاباً
من أخيك الذى نفاك .

ولقد حدث اليوم يامولاى أن سرت أنا وسيدى اللورد أميينز ،
خفية خلف غزال رقد تحت شجرة بلوط .
تميل جذورها العتيقة على جدول تخترق مياهه المصطخبة هذه
الغابة .
وكان قد أوى إلى هذا المكان وعل شريد مسكين
بعد أن أصابه صياد بجرح ،
فلجأ إلى ذلك المكان يلفظ فيه أنفاسه الأخيرة .
ولقد كان ذلك الحيوان المعذب يا مولاى يئن أنيناً فاضت به
نفسه ،
وكاد ينشق له جلده .
وكانت العبرات تنهمر على أنفه الطاهر يسابق بعضها بعضاً حتى
ليستدر منظرها الشفقة والرثاء .
وهكذا وقف الغزال المسكين على شفا ذلك الجدول السريع
الجريان ،
ليسكب فيه دموعه ، فيزيده مياهه ارتفاعاً ، وراح جاك الحزين
يرصد حركاته وسكناته .

الدوق : ولكن ماذا قال جاك ؟
أفلم يستوح من ذلك عبرة ؟

اللورد الأول : نعم ، لقد خرج منه بألف استعارة وتشبيه ؛

فقد قال أولا عندمارأى دموع الغزال وهو يسكبها فى جدول
لا يحتاج إليها : أيها الظبى المسكين إنك تفعل كما يفعل البشر ،
تكتب وصية تهب فيها المال إلى من يملكون منه مايفيض عن
حاجتهم ،
ثم رأى جاك الظبى ملقى هنالك منبوذاً من إخوانه المزهوين
المنعمين فقال :
«إن هذا لهو عين الواقع فىّ ، وإن الشقاء يصرم
حبل الصداقة ! » ثم لم يلبث أن رأى
قطيعاً يمر به
وبنا غير عابئ وقد امتلأت بطون أفراده بمادعوا ، ولم يتريثوا حتى
ليقرؤه التحية .
فقال جاك :
«إى والله فلتسيروا فى طريقكم أيها المواطنون الممتلئون لحماً
وشحماً .
فتلك سنة الحياة ، وما الذى يدعوكم إلى إلقاء نظرة
على ذلك المسكين المفلس الذى يحتضر هناك ؟ »
وهكذا نفذ جاك بتهكمه المرير
إلى سر الوطن والمدينة والبلاط ،
بل إلى حياتنا هذه ، مقسماً بأننا

لسنا إلا مغتصبين طغاة ، بل قل شرًّا من المغتصبين الطغاة ، ذلك
أننا نخيف الحيوانات ونفزعها ، بل نقتلها
فى عقر دارها الذى وهبته لها الطبيعة .

الدوق : وهل تركتموه يمعن فى تأملاته هذه ؟

اللورد الثانى : نعم ياسيدى ، تركناه يبكى ويندب
ذلك الظبى الذى راح ينشج وينتحب .

الدوق : أرونى مكانه ،
فلكم أود أن أحاوره وهو مصاب بهذه النوبات السوداوية ، لأنه
يفيض فى هذه الحالة بالقول السليم والمنطق السديد .

اللورد الأول : سأذهب بك إليه فوراً .

(ينصرفون)

المنظر الثانى

غرفة فى القصر

(يدخل الدوق فردريك ومعه اللوردات)

فردريك : أمن الممكن أن أحداً لم يرهما ؟
هذا محال ، ولابد أن بعض الأشرار من رجال بلاطى
قد رضوا عن هربهما ولم يحركوا ساكناً .

اللورد الأول : لم أسمع أن أحداً رآهما ،
ولقد شاهدتهما وصيفاتهما مضطجعتين فى فراشيهما ،
فلما تنفس الصبح
راعهن أن يجدنه خلواً من درته

اللورد الثانى : مولاى ، لقد اختفى أيضاً المهرج الوغد
الذى طالما أضحك فخامتكم ،
واعترفت هسبيريا وصيفة الأميرة
بأنها قد استرقت السمع خلسة ،
فالتقطت حديثاً دار بين ابنتكم وابنة عمها
أطريا فيه كثيراً المصارع
الذى هزم أخيراً تشارلز المفتول العضلات ،

وتعتقد هذه الوصيفة أنهما بلا ريب
ستصطحبان الفتى أينما توجهتا .. !

فردريك : أرسلوا فى طلب أخيه ، واستقدموا ذلك الشاب الباسل إلينا ،
فإذا كان غائباً فأحضروا إلينا أخاه ،
وسأحمله على التحدث عنه ، افعلوا ذلك لتوكم ،
ولا تتباطأوا فى البحث والتحرى عن هاتين الهاربتين السفيهتين
حتى تعودا بهما .

(ينصرفون)

المنظر الثالث

أمام بيت أوليفر

(يتلاقى أورلاندو وآدم لدى دخولها)

أورلاندو : من هناك ؟

آدم : من أرى ؟ أهو سيدى الصغير ؟
يا سيدى الرقيق المهذب ! يا سيدى الحبيب ! إيه يا ذكرى المرحوم
السير « رولاند » التى أراها ماثلة فيك ،
ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ ولماذا تتحلى بهذه الفضائل ؟ ولم يحبك الناس ؟
ولم أنت رجل رقيق الحاشية قوى باسل ؟
ولم كنت من الحماقة بحيث تهزم
المصارع المغوار لذلك الدوق المتقلب الأهواء ؟
ولقد كان الثناء عليك فى هذه الدار أسبق من قدومك بكثير .
فهلا علمت أيها السيد أن فضائل بعض
الناس تسىء إليهم وكأنها أعداؤهم ؟
وكذلك فضائلك فإنها لا تجديك بأكثر من ذلك .

فهى ، ياسيدى المهذب ، خونة تتآمر عليك
وإن كانوا أطهاراً أبراراً .
آه ! أى دنيا هذه التى تجلب الدمار لخيار الناس !

أورلاندو : ويحك ! ما الخبر؟

آدم : أيها الشاب التعس !
إياك أن تقرب هذه الأبواب ، فإن تحت هذا السقف
عدوًّا لكل ما تتحلى به من فضائل ومحامد .
إنه أخوك ، فهو ليس بأخ وإنما هو ابن ،
بل حاشا لله ، فلن أدعوه ابناً لذلك
الذى كنت أوشك أن أسميه أباه
لقد بلغه ما وجه إليك من ثناء ، وهو معتزم الليلة
أن يحرق مضجعك ، الذى ألفت أن تسكن إليه ،
ويحرقك أنت معه ، فإذا أخفق فى ذلك ،
فإنه سوف يلتمس وسائل أخرى للإجهاز عليك .
لقد اختلست السمع ، فوقفت على ما يدبره .
من مؤامرات وما أرى هذا بيتاً لك ، وإنما هو دار للاغتيال .
فامقتها وتوجس منها ولاتدخلها .

أورلاندو : ويحك يا آدم ! وأين تريدنى أن أذهب ؟

آدم : لا يهمنى أين تذهب ، مادمت لا تأتى إلى هنا !

أورلاندو : ماذا تقول ؟ أتريد أن أخرج مستجدياً لقمة العيش ،
أم أن أجمل سيفاً غداراً مجلجلاً
وأكسب عيشى بالسطو على الناس فى الطرقات ،
شأن اللصوص ؟ هذا ما يجب علىّ صنعه
وإلا حرت ماذا ماذاأصنع ،أننى لن أفعل ذلك أبداً
مهما بلغ من الأمر ، وإنه لخير لى أن أتعرض لحقد رجل لم يرع
حرمة الدم ، وأخ متعطش للدماء .

آدم : ولكن حذار أن تفعل ، إن لدىّ خمسمائة كراون
هى ما ادخرته فى أثناء خدمتى لوالدك ،
ولقد احتفظت بها لتكون سندى ،
حينما يدب الوهن فى أوصالى البالية ،
فأعجز عن العمل ، وأصبح ملقى فى زوايا النسيان
بلا حرمة لسنى ، هاك ما ادخرت ، ولا شك فى أن الله الذى
يرزق الغراب الأعجم ،
سيهيىء الرزق لصغار العصافير ،
وهو سبحانه قادر على أن يكفلنى فى شيخوختى ، هاك المال وهو
لك كله . ولتأذن لى أن أكون خادمك
وإنى – وإن كنت أبدو شيخاً – مازلت قوياً صلب العود ، ذلك
أننى لم أحتس فى شبابى قط .

الخمور المثيرة التى تدفع الدم حارًّا فى العروق ،
ولم أقبل فى غير ماتورع على الموبقات
التى تورث الضعف والعجز ،
ومن هنا كانت شيخوختى كالشتاء فى عنفوانه ،
يقبل بصقيعه ولكنه لايخرج عن طبيعته ، فأذن لى أن أرافقك ،
وسأتولى خدمتك كما كنت شاباً صغير السن ،
وأقوم لك بجميع شأنك وحاجتك .

أورلاندو : يالك من شيخ طيب ! إنه لتتجلى فيك
شمائل الخادم المخلص فيما سلف من زمان ،
يوم أن كان الخدم يشقون أداء الواجب لا انتظاراً للأجر والجزاء
إنك لاتجرى على سنة هذا العصر ،
فإن الناس لايشقون اليوم إلا فى سبيل الترقى ،
فإذا ما نالوا مبتغاهم ، نفضوا أيديهم من عملهم
على الرغم مما يعود به عليهم من مكاسب ، وليس الأمر كذلك
فيما يتصل بك .
ولكنك أيها الشيخ المسكين قد جعلت تشذب شجرة فاسدة
لايرجى لها أن تأتى بثمرة واحدة
تجازيك على ما بذلت فى سبيلها من عناء ورعاية
ولكن هيا امض فى سبيلك ، ولننطلق معاً ،

فقد يسوقنا الحظ إلى مكان نستقر فيه راضين ،
ونعيش عيشة متواضعة قبل أن ينفد ما ادخرته أيام الشباب .

آدم : سر ياسيدى ، وسأتبعك
حتى الرمق الأخير ، مخلصاً فى خدمتك ، وفيًّا لعهدك .
لقد أقمت هنا منذ كنت فى السابعة عشرة من عمرى ، وأنا اليوم فى الثمانين أو نحوها ،
ولكننى لن أعيش بعد اليوم فى هذا المكان .
إن كثيراً من الناس يسعون إلى تكوين ثروتهم .
حينما يبلغون السابعة عشرة ، ولكن الحظ يكون قد فاتهم حينما يحاولون ذلك فى الثمانين ،
بيد أن القدر لايمكن أن يعوضنى خيراً
من أن أموت وليس فى عنقى دين لسيدى .

(ينصرفان)

* * *

المنظر الرابع

غابة آردن

(تدخل روزالند متخفية فى هيئة جانيميد وسيليا فى هيئة ألبينا كما يدخل تتشستون)

روزالند : رحماك ياجوبيتر ، لشد ما كلت نفسى .

تتشستون : أما أنا فلا أبالى بنفسى ، إذا كانت ساقاى سليمتين لايعتريهما كلال .

روزالند : إنى لأشعر فى قرارة نفسى بدافع يدعونى إلى أن أتنكر لزى الرجال الذى أرتديه ، وأبكى كما تبكى المرأة ، على أنه يجب أن أحتفظ بكرامة هذا الزى ، فإن صاحب السترة والسروال لخليق أن يبدى من الشجاعة ما لاتبديه واحدة من ربات الحجال . فتجلدى إذن « ألبينا » العزيزة أتوسل إليك أن تتحملينى ، فما عدت أستطيع السير خطوة واحدة .

تتشستون : أما أنا فخير لى أن أتحملك من أن أحملك ، فإذا حملتك فلن أحمل صليباً[1] لأنك فيما أعتقد قد خلا وفاضك من النقود .

روزالند : إذن هذه غابة آردن .

---

(١) يعمد شيكسبير هنا إلى التورية فكلمة صليب كانت فى ذلك الوقت تطلق على عملة البنس ينقش عليها رسم الصليب .

تتشستون : نعم أنا الآن فى غابة آردن[1] ، فيالى من غبى ! لقد كان مكانى فى ديارى أكرم وأعز ، ولكن يجب على السائحين أن يتجملوا بالقناعة ويتصفوا بالرضا .

روزالند : أجل يجمل بك ذلك ياتتشستون المخلص .

(يدخل كورين وسيلفياس)

انظر من القادم إلى هنا ، شاب وشيخ يتحدثان باهتمام .

كورين : تلك هى الطريقة التى تجعلها تقيم على احتقارك .

سيلفياس : آه ياكورين لو علمت كم أحبها !

كورين : أستطيع إلى حد ما أن أحدس ،
فقد أحببت قبلك .

سلفياس : كلا ياكورين ، ليس فى مقدورك أن تحدس وأنت فى هذه السن العالية ، على الرغم من أنك كنت فى شبابك محبًّا مخلصاً ، تتأوه
وتتنهد على وسادتك فى جنح الليل ،
ولو أن حبك كان يوماً من الأيام يعادل حبى –
ولا أظن أن ثمة رجلا قد عانى من الحب مثلما عانيت –
لعرفت إذن كيف تدفع أوهام الصبابة
وتهاويلها المحب إلى ارتكاب أعجب النزوات وأغرب الحماقات .

كورين : لقد ارتكبت ألوفاً من هذه الحماقات ، ولكنى أنسيتها !

---

(١) ينطق تتشستون كلمة « آردن » قريبة من « آدن » أى جنة عدن على سبيل التهكم .

سيلفياس : آه ، إنك إذن لم تكن تحب من كل قلبك !
وإذا أنت لم تذكر أتفه ما أوقعك فيه الغرام من حماقات ،
فما عرفت الحب ، .
وإذا أنت لم تجلس مرة كما أفعل الآن
متعباً جليسك بماتلقيه فى سمعه من آيات الثناء
على آسرة فؤادك فما عانيت الصبابة ،
وإذا أنت لم تترك رفاقك
فجأة كما أفعل الآن مدفوعاً بعاطفتى فما كابدت .
آه يا فيبى[1] يا فيبى ، يا فيبى !
(ينصرفان)

روزالند : لهفى عليك أيها الراعى المسكين ! إننى وأنا أفتش عن جرحك قد هدانى سوء طالعى إلى جرحى .

تتشستون : كما اهتديت أنا إلى جرحى . وإنى لأذكر أننى كسرت سيفى على حجر ، غندما كنت غارقاً فى الحب ، وقلت للسيف هاك الجزاء لقدومك على جين سمايل ، وأذكر أيضاً تقبيلى لمضربها الصغير ، وأثداء بقرتها التى كانت تحلبها يداها الجميلتان المشققتان ، وأذكر تغزلى فى قرن الفاصوليا عوضاً عن تغزلى فيها هى ، وأنى انتزعت

---

(١) فيبى : فى هذه المسرحية راعية تحتقر حبيبها المخلص سيلفياس وتقع فى حب روزالند وهى متنكرة فى زى الرجال .

من ذلك القرن حبتين ورددتهما إليها ، وقلت وعيناى ممتلئتان بالدموع : «تقلدى هاتين الحبتين من أجلى» . فإنا معشر المحبين الصادقين نتورط فى مآزق عجيبة ، ولكن ، مادام كل شىء فى الطبيعة إلى زوال ، فإن الحب ، ككل شىء طبيعى حماقة مصيرها إلى التلاشى والفناء .

روزالند : إن حديثك لأحكم مما تعى .

تتشستون : كلا ، فلن أشعر بما أوتيت من حكمة إلا إذا بلوت المر منها .

روزالند : تالله إن حب هذا الراعى ،
لأشبه مايكون بحبى .

تتشستون : وبحبى أنا أيضاً ، وإن كان حبى قد أخذ يدب فيه البلى ،

سيليا : هل لأحدكما أن يسأل ذلك الرجل الماثل هناك ،
أفى ميسوره أن يقدم لنا شيئاً من الطعام
لقاء شىء من المال ؟ فإنى أكاد أموت جوعاً .

تتشستون : إيه أيها المهرج !

روزالند : صه أيها المأفون ، إنه ليس من بنى قرباك .

كورين : من المنادى ؟

تتشستون : سادتك ياسيدى .

كورين : ما أتعسهم لو كانوا على خلاف ما تصف !

روزالند : أقول لك اهدأ ، أسعدت مساء أيها الصديق .

كورين : طاب مساؤك يا سيدى الفاضل ، وطاب مساؤكم جميعاً .

روزالند : أرجوك أيها الراعى ، أن تذهب بنا إلى حيث نجد الراحة والطعام ، إذا كان الحب أو المال يستطيع فى هذا المكان المهجور
أن يوفر لنا الزاد والمأوى ،
فهناك فتاة شابة تكاد تسقط من الإعياء طلباً للعون والنجدة .

كورين : أيها السيد المليح ، إنى لأرثى لحالها .
وأتمنى – وأنا فى هذا أفضل مصلحتها على مصلحتى –
أن تكون مواردى أكثر مما هى الآن ، حتى أستطيع التخفيف عنها ،
ولكننى أعمل راعياً عند رجل آخر ،
ولا أجز أصواف ما أرعى من ماشية .
وسيدى شحيح بخيل قلما يسعى بالبذل ،
وأتوق إلى التماس الطريق المؤدية إلى الجنة ،
ثم إن كوخه وقطعانه ومراعيه كلها معروضة الآن للبيع ، ولن
تجدوا الآن فى كوخ الرعاة شيئاً تأكلونه ،
لأن الرجل غائب الآن عن داره ،
ولكن تعالوا وانظروا بأنفسكم ،
ولتحلوا على الرحب والسعة بقدر ماتملك يداى .

روزالند : ومن ذا الذى سيبتاع قطيعه ومرعاه ؟

كورين : ذلك الشاب الغر الذى رأيتموه هنا منذ برهة ،
وهو لايعنى كثيراً بشراء أى شىء .
روزالند : أرجوك أن تبتاع لحسابنا
الكوخ والمرعى والقطيع ،
إذا كانت الصفقة سليمة ، وسنزودك نحن بالثمن .
سيليا : ونزيدك أجرك ، فإنى أحب هذا المكان ،
ويطيب لى أن أنفق فيه وقتى .
كورين : هذه الأشياء معروضة للبيع بدون ريب .
تعالوا معى ، وإذا تبين لكم بعد التحرى
أن هذه الأرض وما تدره من منفعة يروقان لكم ،
وأحببتم هذا اللون من المعيشة فلأكونن راعيكم المخلص
وأشترى بمالكم هذه الأرض وما عليها فى التو واللحظة .
(ينصرفون)

* * *

المنظر الخامس

الغابة

(يدخل أميينز وجاك وآخرون)

أميينز : من ذا الذى يحب أن يرقد معى فى ظل الغابة اليافعة ، -
ويروض لحنه الطروب
على هوى النغم الشجىّ تشدو به الطير ؟ ليأت إلىّ . . . إلىّ . . .
إلىّ . . .
فلن يجد عندى
عدوًّا
إلا الشتاء والجو العابس المكفهر .

جاك : زدنى ، زدنى ، بالله زدنى .

أميينز : أيها السيد جاك ، إنها خليقة بأن تضفى على نفسك الكآبة .

جاك : وإنى لأحمد لها ذلك . زدنى ، بالله زدنى ، إنى لقادر على امتصاص الكآبة من الأنشودة كما يمتص ابن عرس البيض ، زدنى ، بالله عليك زدنى !

أميينز : إن صوتى أجشّ ، وأنا أعلم أننى لا أستطيع إرضاءك .

جاك : أنا لا أود منك أن ترضينى ، وإنما أن تغنى . هلم زدنى ، مقطعاً

آخر. أو تسميها مقاطع ؟

أميينز : سمها ماشئت ، أيها السيد جاك .

جاك : دع عنك هذا ، فإننى لاتعنينى الأسماء التى تطلقها عليها ، ذلك أنها لاتفيدنى بشىء . هلا غنيت ؟

أميينز : سأغنى نزولا على رغبتك ، لا مرضاة لنفسى .

جاك : حسن ، ولو حق لى أن أشكر إنساناً إذن لكنته ، غير أنه يقال إن الإطراء شبيه بمقابلة تمت بين قردين وجهاهما على هيئة الكلب ، ولو أن إنساناً شكرنى من أعماق قلبه لحسبت أننى نفحته بنساً وأنه راح يزجى إلىّ الشكر حتى يضجر سامعه ! هلم غن ، وأنتم يامن لاتغنون أمسكوا عليكم ألسنتكم .

أميينز : حسن ، سأختم الأنشودة ، وأنتم أيها السادة فلتعدّوا المائدة ونحن نغنى ، فإن الدوق سيعقد مجلس الشراب فى ظل هذه الشجرة ، وقد أنفق اليوم بطوله بحثاً عنك .

جاك : لقد كنت أتجنبه هذا اليوم كله ، فهو كثير الجدل والنقاش بحيث لا تطيب لى رفقته ؛ ذلك أنى أفكر مثله فى أمور كثيرة ، إلا أننى أحمد الله ولا أباهى بما أفكر فيه .
هلم غنّ أيها الطائر الغرد ، هلم .

(أنشودة)

من ذا الذى هجر الأطماع ،

وآثر أن يهيم فى الدنيا .
باحثاً عن لقمة العيش .
سعيداً بما أصاب من رزق .
ليأت إلىّ . . . . إلىّ . . إلىّ . . هنا .
فلن يجد عندى عدوًّا .
إلا الشتاء والجو العابس المكفهر !

جاك : سأضيف مقطوعة إلى هذه الأنشودة ، كنت نظمتها بالأمس على الرغم من ركود خيالى .

أميينز : وسأغنيها .

جاك : إنما تجرى على هذا النحو :
إذا قدر لرجل أن ينقلب حماراً .
تاركاً ثروته وحياته الرخية .
لينزل عند حكم إرادته العنيدة .
دوك – دام دوك – دام دوك – دام ،
فسوف يرى أناساً غارقين فى الحمق على شاكلته .
إذا تصادف وقصدنى !

أميينز : ماذا تعنى بـ (دوك – دام) هذه ؟

جاك : إنها دعاء يونانى ينادى به الحمقى للانضمام إلى حلقة من الحلقات ، سأذهب لأنام ، إذا استطعت ، فإن لم أستطع تمثلته

بفرعون مصر ، وصببت جام غضبي على كل من يولد من ظهر نبيل .

أمينز : وسأذهب أنا للبحث عن الدوق ، فقد نصب مائدته .

(ينصرف الجميع فرادى)

* * *

المنظر السادس

الغابة

(يدخل أورلاندو وآدم)

آدم : سيدى العزيز ، لست مستطيعاً أن أتقدم خطوة واحدة ، يالشقوتى ، إنى أموت جوعاً ! هأنذا أخرّ على الأرض ، وأخط قبرى بيدى ، وداعاً ياسيدى الرحيم .

أورلاندو : ماذا دهاك يا آدم ؟ ! ألم يبق لك فضل من شجاعة ؟ لتعش قليلا ، ولنسترح قليلا ، ولتسر عن نفسك قليلا . وإذا كان فى هذه الغابة أى وحش فإما أن أصير طعاماً له ، وإما أن آتيك به طعاماً لك . إن خيالك يدنيك من الموت أكثر من حقيقة قواك ، فطب نفساً من أجلى ، ولتبعد عنك شبح الموت إلى حين ، وسأعود من فورى إليك ، فإذا لم آت إليك بشىء تأكله فلك أن تموت ولكن إذا مت قبل أن أعود ، فإنما تكون قد سخرت بجهدى ! مرحى مرحى ! فقد علا البشر وجهك ، وسأعود إليك سريعاً ، ولكن لترقد فى الظل ، هلمّ ، وسأحملك إلى مكان يأويك . ولن تموت جوعاً ، إذا كان فى هذه المفازة وحش واحد يتنفس ، لا تبتئس أيها الرجل الصالح آدم ! (يخرج)

المنظر السابع

الغابة . مائدة مبسوطة

(يدخل الدوق الكبير وأميينز ولوردات يبدون على هيئة طريدى العدالة)

الدوق : أحسبه انقلب وحشاً .
فليتنى أراه حيثما وجد يشبه الإنسان .
اللورد الأول: لقد مضى يا مولاى من هنا منذ قليل ،
وكان يصغى طروباً إلى أغنية .
الدوق : إذا كان هذا الرجل الذى جمع بين المتناقضات قد أصبح موسيقيا ،
فأحر بنا أن نسمع النشاز عما قريب يملأ الخافقين .
اذهب فى طلبه ، وأخبره أنى أود محادثته .

(يدخل جاك)

اللورد الأول: لقد وفر علىّ جهدى إذ تقدم بشخصه .
الدوق : عجباً ياسيدى ! أية حياة هذه ،
التى كتب فيها على أصدقائك المساكين أن يسعوا إليك التماساً لصحبتك ؟
وَىْ وى إنك تبدو مرحاً !

جاك : مجنوناً ، مجنوناً ! لقد لقيت فى الغابة مجنوناً ، يرتدى ثوباً مبرقشاً .
يا لهذا العالم التعس !
إنى لواثق من أننى قابلت مجذوباً ثقتى بأن الطعام يقيم أودى ،
وكان هذا المجنون مستلقياً يصطلى فى الشمس ،
وينعى على ملكة الحظ فى عبارات طيبة وكلمات متميزة ،
ومع ذلك كان مجنوناً يلبس ثوبه المبرقش ،
فقلت له : أنعم صباحاً أيها المجنون ، فقال لى : كلا يا سيدى ،
لاتسمنى مجنوناً حتى تسعدنى المقادير بالطالع الحسن !
« ثم أخرج ساعة من جيبه ، ونظر فيها نظرة باهتة ،
ثم قال فى حكمة بالغة : الساعة الآن العاشرة ،
ثم أردف : وهكذا نرى كيف تسير الدنيا ،
لقد انقضت ساعة فحسب منذ كانت التاسعة ،
وبعد ساعة واحدة تحل الساعة الحادية عشرة ،
وعلى هذه الحال ننفح وننفح من ساعة إلى أخرى ،
ثم يصيبنا الفساد من ساعة إلى ساعة
ثم تنتهى القصة ! وعندما سمعت هذا المجنون
صاحب الثوب المزركش يلتمس العظة من الزمن
على هذا النحو أخذت أضحك ملء رئتى
حتى لكأننى ديك يصيح ، نعم لقد ضحكت لمشيئة القدر الذى

كتب على المجانين أن يبلغوا هذا الحد من التفكير ، ضحكت ضحكاً متداركاً ساعة من الزمن بحساب ساعته . ياللمجنون النبيل الفاضل ! إنما اللباس هو هذا اللباس المبرقش الذى ترتديه .

الدوق : أى مجنون هذا ؟

جاك : ياله من مجنون جليل الشأن ! لقد كان أميناً فى البلاط ،
وهو يقول إذا لم تكن النساء إلا صغيرات جميلات ،
فقد أوتين من الفطنة ما يجعلهن يدركن ذلك وإن فى عقل هذا المجنون اليابس ،
الذى يشبه قطعة من البسكويت تبقت بعد رحلة ،
زوايا عجيبة احتشدت فيها مشاهدات
يطلقها فى صور مختلفة مشوشة ، آه ! لو أننى كنت مجنوناً
لصبوت إلى مثل هذه السترة المبرقشة !

الدوق : ستظفر بواحدة .

جاك : لا لباس لى غيرها ،
على شرط أن تجرد عقلك الراجح من أى رأى
يزين لك أنى حكيم . ولتهبْ لى الحرية
حتى أكون كالريح
أهب على من أودّ . فتلك شيمة المجانين .

ذلك أن من يصيبهم الخطأ الأكبر من جنونى
هم الذين سيكونون أشد الناس ضحكاً ، ولكن ماالذى يحملهم
على هذا الضحك يا سيدى ؟
إن الجواب عن ذلك واضح وضوح الطريق المؤدى إلى كنيسة
القرية ،
فإن من يصيبه المجنون بسهام حكمته
سيبلغ من البلاهة ما يجعله يبدو غافلا
على الرغم من أنه يحس بوقعها ، وإلا
فإن حماقة الرجل العاقل
تنفضح بفعل رميات المجذوب نفسها التى يلقيها جزافاً من غير
وعى منه .
علىّ بثوبى المبرقش ، واسمح لى
أن أبوح بما يدور فى ضميرى ، فأنفذ إلى صميم
جسم العالم الموبوء الذى لوثته العدوى ،
إذا صبر الناس على تجرع دوائى .

الدوق : ويل لك ! فى وسعى التنبؤ بما عسى أن تصنع .

جاك : ماذا عساى أن أصنع سوى الصالح من الأعمال ؟

الدوق : إنك إذ تذم الخطيئة لتقع فى شر الخطايا وأقبحها ،
فقد كنت أنت نفسك رجلا فاسقاً فاجراً ،

تملكتك الشهوة كما تتملك البهائم ،
وإنك لتود أن تنشر بين الناس جميعاً خطاياك العظيمة وشرورك
الجسيمة .
التى ارتكبتها فى غير ماحرج أو تأثم .
جاك : وَىْ ! من ذا الذى يتشدق بالعزة
ويعنى بها شخصاً بعينه ؟
أو ليست العزة كالبحر
تعلو أمواجه كالجبال حتى تكل فيدركها الجزر ؟
وهل أنا قصدت امرأة بعينها فى المدينة
عندما قلت إن زوجة المواطن فيها تثقل كاهلها الواهن
بنفقة لاتليق إلا بالأمراء ؟
ومن تلك التى تستطيع أن تستوقفنى وتقول إننى أعنيها هى ،
فحالها لاتختلف عن حال جيرانها ،
ومن هو ذلك الوضيع الذى يقول إن ملابسه الفخمة ليست على
حسابى ،
حاسباً بذلك أننى أعنيه
فى حين أن بكلامه هذا قد جعل حمقه يتمشى وجوهر تعاليمى ؟
دعونى أرى متى وكيف وأين أساء إليه
لسانى ،

فإذا كان فى قولى إنصاف له
فإنه يكون قد أساء إلى نفسه ، أما إذا كان بريئاً
مما نسبته له فإن لومى يذهب فى الهواء كالأوزة البرية
لاتنتسب إلى أحد . ولكن من ذلك القادم نحونا ؟

(يدخل أورلاندو شاهراً سيفه)

أولاندو : أمسكوا ، وكفوا عن الأكل .

جاك : وى ، إننى لم أذق بعد شيئاً .

أورلاندو : ولن تصيب منه شيئاً حتى يستوفى أصحاب الحاجة حاجتهم .

جاك : لأى فصيلة ينتمى هذا الديك ؟

الدوق : أو كانت محنتك سبباً فى جرأتك هذه يا رجل ؟
أو أنك من أولئك الذين يحتقرون حسن الأدب حتى لقد بدوت
مجرداً من صفات المجاملة والتهذيب ؟

أورلاندو : لقد لمست بعبارتك الأولى حقيقة حالى !
ذلك أن ألم المحنة المرير .
قد جردنى من مظاهر المجاملة الرقيقة ، على أننى نشأت فى الحظ ،
وأصبت شيئاً من التهذيب . ولكن أمسكوا ، وإنى لأقول لكم
إن الموت سيكون جزاء من يمس هذه الفاكهة
قبل أن أنال منها أربى .

جاك : ولن تنال جواباً معقولا ، ومن ثم فلا معدى لى من الموت !

الدوق : وماذا تريد ؟ إن الرقة تفعل فى نفوسنا مالا تفعله القوة ،
فهى تدفعنا إلى اصطناع الرقة معك .

أورلاندو : إنى أكاد أموت جوعاً ، فدعنى أظفر بالطعام !

الدوق : اجلس وكل ، ومرحباً بك على مائدتنا .

أورلاندو : أو تتكلم بمثل هذه الرقة ؟ إنى لأرجوك الصفح عنى ،
لقد كنت أحسب أن كل شىء هنا يتسم بالبداوة والضراوة
ولذلك رسمت لنفسى مظهر المتسلط الجاد فى أوامره ،
ولكن أيًّا كان شأنكم يامن تعيشون فى هذه الصحراء الموحشة
تحت ظلال الغصون الكئيبة ،
وتدعون ساعات الزمن تمر بكم هباء غير حافلين ولا مكترثين ،
لو أنكم كنتم يوماً أسعد حظًّا فى الحياة ،
أو كنتم فى مكان تسمعون فيه النواقيس تناديكم إلى الصلاة ، أو
لو أنكم جلستم مرة إلى مائدة كريم جوّاد ،
أو كفكفتم دمعة ترقرقت فى عيونكم ،
وعرفتم كيف ترثون لحال الناس ويرثى الناس لحالكم – لو كان
هذا شأنكم يوماً ما ، فلتكن الرقة وسيلتى إلى أفئدتكم ، وإنى إذ
أسوق لكم هذا الرجاء ليحمر وجهى خجلا وأعيد سيفى إلى
غمده .

الدوق : لامراء فى أننا صادفنا أياماً أطيب ،

وسمعنا الناقوس المقدس يدعونا إلى الصلاة ،
وجلسنا إلى موائد كرام جياد ، وكفكفنا عبرات سالت من عيوننا
شفقة ورحمة ، فلنجلس إذن فى رقة وسماحة ،
ومر الأتباع أن يعطوك ماتشاء مما توفر لدينا ،
تقضى به حاجتك .

أورلاندو : أرجوكم إذن أن تكفوا عن الطعام هنيهة ،
حتى أسعى كما تسعى الظبية إلى خشفها لتطعمه ، فهنالك شيخ
مسكين .
تبعنى فى رحلتى الشاقة حتى كلت قدماه
وأصيب بالعرج مدفوعاً بحبه الصادق ، ولن أصيب لقمة واحدة
ما لم يكتف من الطعام قبلى ،
وحسبه أنه قد ركبه همّان فأقعداه : همّ الشيخوخة وهمّ الجوع .

الدوق : اذهب فى طلبه ،
ولن نذوق شيئاً قبل عودتك .

أورلاندو : أشكرك ، وليباركك الله لقاء ماتبذل من خير .
(ينصرف)

الدوق : هاأنتم أولاء ترون أننا لسنا وحدنا الأشقياء التعساء ، فهذا المسرح
العالمى الرحيب .
يعرض علينا مناظر أشد حزناً وإيلاماً من المنظر الذى نمثل فيه .

جاك : لعمرى إن الدنيا كلها مسرح ،
وما جميع الرجال والنساء إلا مجرد ممثلين على خشبته ،
ولكل منهم مخرج منه ومدخل إليه ،
وينهض كل امرئ فى حياته بعدة أدوار ،
وفصول حياته سبع مراحل ، أولها وهو طفل يبكى ويسيل لعابه
بين ذراعى مربيته ،
ثم وهو تلميذ يصرخ حاملا محفظته
بشوش الوجه نظيفه
يزحف إلى المدرسة برغمه زحف القوقعة ،
ثم وهو عاشق يزفر كالأتون بأنشودة حزينة
فى وصف حاجب حبيبته ، ثم وهو جندى
يملأ فمه بأيمان عجيبة ، ويطلق لحيته كأنه الفهد ،
غيور على الشرف ، سريع البادرة ،
سباق إلى العراك ، يسعى إلى الشهرة الجوفاء
ولو كانت فى فم المدفع ! ثم وهو قاض
بكرشه الوافى المستدير الواسع ،
وعينيه الصارمتين ولحيته المشذبة المنمقة ،
وقد امتلأ بالحكم والأمثال الشائعة المألوفة ،
وهكذا يلعب دوره . ثم تأتى المرحلة السادسة

فيبدو شيخاً خرفاً هزيلا ينتعل خفًّا ، وقد وضع منظاراً فوق أنفه ، ومحفظته إلى جانبه ،

ولبس جوربه الذى ادخره فى شبابه ، وأصبحت الدنيا أوسع من ساقيه اليابستين ،

وارتد صوته العامر الممتلئ رجولة

فأصبح يحاكى صوت الأطفال حدة

ورمزاً وصفيراً ، ثم يأتى الطور الأخير

الذى ينهى هذا التاريخ الحافل

وهو الطفولة الثانية ، وفقدان الذاكرة فقداناً تامًّا ،

فيكون بلا أسنان ولاعيون ولاذوق ولاطعم ولاشىء على الإطلاق !

(يدخل أورلاندو ومعه آدم)

الدوق : مرحبا ، ضع حملك الموقر ،

ودعه يطعم .

أورلاندو : إنى أشكرك غاية الشكر بالنيابة عنه .

آدم : لقد كان هذا واجباً عليك ،

فإنى لا أكاد أقدر على الكلام لأشكره بالأصالة عن نفسى .

الدوق : مرحباً ، ولتقبل على الطعام ، ولن أزعجك

بعد بالسؤال عما فعل القدر بك .

أسمعونا شيئاً من الموسيقى ، وأنت يابن العم الطيب ، فلتغنّ

(أغنية)

هبى ثم هبى ياريح الشتاء ،
فإنك لم تبلغى من الجحود مابلغه الإنسان ،
إن نابك ليس فى حدة نابه ،
لأن عيوننا لا تراك ،
ولو أن أنفاسك قاسية جافية ،
أواه منك ! غنّ ، أواه منك ! غن لشجرة عيد الميلاد الخضراء
فإن أكثر الصداقة زيف ورياء وأكثر الحب ليس إلا حمقاً
وجنوناً !
ثم أواه منك ! غن لشجرة عيد الميلاد !
فالحياة مفعمة بأسباب السرور والسعادة ،
وأنت أيتها السماء القاسية جودى ثم جودى بصقيعك ،
فإنك لست أشد وخزاً وإيلاماً من نكران الجميل ،
وأنت ، إن كانت بردتك قد تغيرت بفعل الجمد ،
فإن لذعاتك ليست فى قسوة الصديق يعرض عن صديقه
ولا يذكر عهده . أواه منك ! غن ..

الدوق : إذا كنت أنت ابن الرجل الطيب السير رولاند ،
كما تبينت مما همست به صادقاً ،

وِمما أراه من صورته التى تتمثل فى ملامحك ،
وتتجلّى بأجلى بيان فى وجهك ،
فلتحل بيننا على الرحب والسعة . إنى أنا الدوق
الذى أحب أباك ،
فهلم بنا إلى كهفى ولتروِ لى بقية قصتك . وأنت أيها الشيخ فلتحل
على الرحب والسعة شأن سيدك .
دعه يستند إلى ذراعك وأعطنى يدك ،
ودعنى أقف على جملة ما وقع لك .
(ينصرفون)

* * *

الفصل الثالث

المنظر الأول

غرفة فى القصر

(يدخل الدوق فردريك وبعض اللوردات وأوليفر)

فردريك : ألم تره منذ ذلك الحين ؟ سيدى ، سيدى هذا ما لا يمكن أن يكون ،
بيد أننى لو لم تغلب علىّ الرحمة ،
لما بحثت عن غائب لأصب عليه جام نقمتى ،
وأنت هنا ماثل أمامى . ولكن أصغ إلىّ ،
أحضر أخاك من حيث يكون ،
انقب الأرض عنه ، أحضره حيًّا أو ميتاً
فى غضون هذا الشهر الأخير من العام ، وإلا فإياك أن تعود مرة أخرى .
لطلب الرزق فى ربوعنا .
فكل الضياع والممتلكات التى تدعيها لنفسك

مما يمكن الاستحواذ عليه ، سنضعه تحت قبضتنا ،
حتى تبرئ نفسك مما يدور بخلدنا قبلك بشهادة ينطلق بها لسان
أخيك .

أوليفر : آه لو عرفت يا مولاى ما يضمره قلبى فى هذا الصدد !
لم يحدث قط أن أحببت أخى !

فردريك : ولأنت أشد شراً وأثاماً ، أقصوه إذن عنا ،
ودعوا ضباطى الموكلين بمثل هذه الأمور
يستولون على داره وأرضه .
استيلاء قانونياً . افعلوا ذلك مسرعين وليغادرنا عاجلا .

(ينصرفون)

المنظر الثانى

الغابة

(يدخل أورلاندو ومعه ورقة يعلقها على شجرة)

أولاندو : فلتكونى يا قصيدتى – وأنت معلقة هناك – شاهداً على حبى .
وأنت أيها القمر ، يا مالك الليل ، ويا صاحب التيجان الثلاثة ،
أرع بعينك الطاهرة من علياء برجك الشاحب
اسم صيادتك التى تمسك بزمام حياتى
أى روزالند ! ستكون هذه الأشجار كتبى ،
وعلى لحائها ستكون أفكارى ،
حتى تطالع كل عين فى هذه الغابة
فضائلك ماثلة فى كل مكان ،
أسرع يا أورلاندو ، أسرع واحفر على كل شجرة
صفات هذه المرأة المليحة الطاهرة التى يعجز القلم عن وصفها .
(ينصرف)
(يدخل كورين وتتشستون)

كورين : وكيف ترى حياة الراعى هذه التى تحياها الآن ياسيد تتشستون ؟
تتشستون : الحق أن الرعى فى حدّ ذاته يعدّ حياة طيبة ، ولكن حياة الراعى

بالنسبة لى لاتساوى شيئاً . أحبها كثيراً لما فيها من بعد عن الناس ، ولكنى أراها حياة حقيرة لأنها تقضى على المرء أن يعيش وحيداً منفرداً . وهى تطيب لى جداً لما فيها من انطلاق فى الحقول ، ولكنها تبعث الملالة فى النفس ، لأنها تنأى بالمرء عن البلاط ولا يفوتنك أنها حياة تقوم على القسط والاعتدال ، ولذلك فهى تلائم مزاجى ، ولكن قلة ما فيها من زاد يؤذى معدتى كثيراً أليست لك فلسفة أيها الراعى ؟

كورين : لست أعرف منها أكثر من أنه كلما اشتد سقم المرء زاد قلقه وأن من يطلب المال والثراء رضى النفس يفتقر إلى ثلاثة أصدقاء مخلصين ، وأن المطر يبلل والنار تحرق ، وأن المرعى الخصيب يجود بالخراف السمينة ، كما أن السبب الأكبر فى هبوط الليل هو غياب الشمس ، وأن ذلك الذى لم تهبه الطبيعة ذكاء يكتسبه يرجع ذلك إلى نشأته المترفة أو انحداره من أصلاب آباء غاية فى الغباء.

تتشستون : مثل هذا الرجل فيلسوف بالسليقة .
أو لم تذهب قط إلى البلاط أيها الراعى ؟

كورين : كلا وايم الحق .

تتشستون : إذن فأنت ملعون .

كورين : أرجو ألا أكون .

تتشستون : بل أنت بلا مراء ملعون ، كما لو كنت بيضة لم يصبها الشىّ إلا من

جانب واحد .

كورين : لأننى لم أعش فى البلاط ! وما حجتك ؟

تتشستون : عجباً إذا كنت لم تعش قط فى البلاط ، فأنت لم تر شيئاً من حسن السلوك ، وإذا أنت لم تعرف ماهو حسن السلوك فلابد أن تكون أخلاقك شريرة ، والشر خطيئة ، والخطيئة لعنة ، إنك تعانى حالة خطيرة أيها الراعى !

كورين : كلا على الإطلاق ياتتشستون ، فإن مايعرف بحسن السلوك فى عرف البلاط يسخر منه أهل الريف سخرية لاتقل فى شدتها عن سخرية أرباب البلاط بأخلاق أهل الريف . لقد قلت لى إنكم لا تتبادلون التحية فى البلاط وإنما تقبلون الأيدى ، وهذه المجاملات خليقة بأن تغدو قذرة دنسة لو أن أرباب البلاط كانوا من الرعاة .

تتشستون : هات برهانك ، وأوجز ، هلم ، أين برهانك ؟

كورين : عجباً إننا لانزال نمسك نعاجنا بأيدينا ، وجلودها كما تعلم لزجة تنضح دهنا وشحما .

تتشستون : عجباً ، ألا تنضح أيدى الوصفاء فى البلاط عرقاً ؟ أو ليس عرق الضأن مثل عرق الإنسان لا تتأذى منه الصحة ؟ هذا دليل تافه تافه . هيا ائت بدليل أحجى وأسلم !

كورين : ولنا فضلا عن ذلك أيد خشنة .

تتشستون : وهذا ما يجعل شفتك أسرع إحساساً بها ، دليل تافه آخر ، هيا ائت بدليل أحجى وأسلم .

كورين : وكثيراً ماتتلطخ أيدينا بالقطران يتخلف من علاج أغنامنا ، أتريدون منا أن نقبل القطران ، فى حين أن أيدى رجال البلاط معطرة برائحة الزباد ؟

تتشستون : وهذا دليل أشد ما يكون تفاهة ! فهيهات أن يكون لحمك الذى يأكله الدود كقطعة من اللحم الطيب ! تعلم إذن من الحكماء وتدبر ، فإن الزباد أصله أحقر من القطران ، فهو السائل الشديد القذارة الذى يفرزه القط . هات برهاناً أفضل أيها الراعى .

كورين : إن ذكاءك أسمى من أن يلاحقه ذهنى ، لأنه نابع عن البلاط ، وحسبى هذا من النقاش .

تتشستون : أو ترضى أن تظل ملعوناً ؟ كان الله فى عونك أيها الرجل التافه ! قضى الله عليك ! فإنك نسل قليل التجربة .

كورين : إننى ياسيدى عامل مخلص ، أشق لأجد اللقمة التى آكلها والكساء الذى أرتديه ولا أضمر بغضاً لأحد ، ولا أحسد أحداً على سعادته ، فأنا مغتبط بما يصيب غيرى من خير ، راض بما يلحق بى من سوء . وأعظم ما أفاخر به وأباهى هو أن أرى نعاجى ترعى ، وحملانى ترضع .

تتشستون : وهذه منك خطيئة أخرى تدل على التفاهة ، فإنك تجمع بين

النعاج والخراف ، فإذا لم تك ملعوناً من أجل هذه الفعلة ، فلن يكون للشيطان نفسه رعاة ، لست أرى لك مهرباً من الجزاء !

كورين : هاهو ذا السيد «جانيميد» الشاب ، شقيق سيدتى الجديدة ، مقبلا نحونا .

(تدخل روزالند وبيدها ورقة تتلو ما بها)

روزالند : لن تجد بين جزائر الهند الشرقية وجزائر الهند الغربية جوهرة مثل روزالند ،

فقد تحدثت باسمها الريح ،

ونشرت فضائلها فى جميع أرجاء الأرض ،

وما من صورة أبدع الرسام فى رسمها ،

إلا بدت شوهاء إذا قورنت بروزالند .

فامسح من مخيلتك كل الوجوه ،

ولاتبق إلا على وجه روزالند .

تتشستون : أستطيع أن أنظم لك شعراً من هذا الطراز ، ثمانى سنوات – متصلات فيما خلا وقت الغداء والعشاء وساعات النوم – إنها أبيات يأخذ بعضها برقاب بعض ، كما لوكانت صفاً من بائعات الزبد يتوجهن إلى السوق !

روزالند : هات ما عندك أيها المجنون .

تتشستون : إليك شاهداً من أشعارى :

إذا افتقد الظبي ظبيه ، فلينطلق فى إثر روزالند
وكما تسعى القطة وراء أبناء جنسها
فلا جرم أن يكون هذا هو حال روزالند ،
وكما أن ملابس الشتاء يجب أن تلتف بالجسم
فكذلك تجد قوام روزالند أهيف سمهريًا ،
والذين يحصدون المحصول يجب عليهم أن يحزموه ويربطوه ثم ينقلونه إلى العربة روزالند ،
وأطيب بندقة أمرّها قشراً .
وتلك هى روزالند .
وإن من يعثر على أجمل وردة ،
ليجدن فيها أشواك الحب ، وروزالند !
إن هذا لأشد ماينظم من الشعر اضطراباً وعرجاً ، فلماذا تريد أن تصاب بعدواه ؟

روزالند : صه أيها الأحمق الغبى ! لقد وجدت هذه الأبيات معلقة على شجرة .

تتشستون : لا شك فى أن هذه الشجرة تؤتى ثمراً فاسداً .

روزالند : سألحقها بك ، ثم أطعمها بغصن من شجر المشملة ، فتكون ثمارها أكثرالأثمارتبكيراً فى البلاد ، لأن العفن سيدرك قبل أن تصبح من النضج بين بين ، وتلك أصدق صفة لثمر المشملة .

تتشستون : لقد قلت ماعندك ، وسيكون للغاية أن تحكم : أكان قولك حكيماً أم غير حكيم .

(تدخل سيليا وهى تقرأ ورقة)

روزالند : صه ! هاهى ذى أختى قادمة تقرأ ، تنح .

سيليا : (تقرأ) ماالذى جعل هذا المكان صحراء ؟
أخلوه من السكان ؟ كلا .
بل سأعلق على كل شجرة ألسنة ،
تنطق بالأمثلة الفاضلة ،
بعضها يروى كيف أن حياة المرء القصيرة ،
تنقضى فى رحلة يضرب فيها على غير هدى
وأن عمره كله لا يزيد على الشبر طولا ،
وبعضها يتحدث عن عهود منقوضة كانت تربط بين روحَىْ صديقين على أننى سأنقش اسم روزالند على أجمل الغصون وأختم به كل عبارة .
لتكشف لكل من يعرف القراءة ،
صورة مصغرة لذلك العنصر السامى ،
الذى أبدعت منه السموات كل حوراء ،
ولذلك قضت حكمة السماء أن تجمع فى جسد واحد محاسن العالم أجمع !

وبادرت الطبيعة فوهبت روزالند وجه هيلين[1] ،
دون قلبها ،
وجلال «كليوباترة» ، ورشاقة قوام «أتلانتا» وعفة
«لوكريشيا»[2] المطبوعة بالوقار .
وهكذا وهب مجمع الآلهة روزالند
ذات المحاسن الجمة ،
وجوهاً وعيوناً وقلوباً كثيرة ،
ليجتمع لها أثمن وأعز ما فى الوجود
ولقد شاءت السموات أن تكون لها كل هذه النعم والمنح ،
وأن أحيا أنا وأموت عبداً لها !

روزالند : إيه يا أرق الوعاظ ! كيف تعظ تابعيك من المؤمنين بهذه العظة الطويلة العريضة عن الحب ثم لا تقول لهم «صبراً أيها القوم الصالحون !»

سيليا : ما بالكما ! انصرفا أيها الصديقان ؟ وأنت أيها الراعى اتركنا قليلا ، ولترافقه أيها المهرج .

---

(١) أميرة يونانية اشتهرت بجمالها الفاتن ، وقد اختطفها «باريس» من زوجها ، فكان ذلك الحادث إيذاناً باشتعال الحرب بين اليونان وطروادة .

(٢) سيدة رومانية ، قتلت نفسها يأساً بعد أن هتك عفافها عنوة ، فأصبح اسمها رمزاً للسيدات العفيفات اللواتى يؤثرن الموت على الحياة المسلوبة الشرف .

تتشستون : هلم أيها الراعى ولتنسحب بشرف وكرامة ، ونحن إن كنا لا ننسحب بقضنا وقضيضنا ، فإننا لا ريب نحمل معنا خرج الراعى وما فيه !

(ينصرف كورين وتشستون)

سيليا : أو لم تسمعى هذه الأشعار ؟

روزالند : بلى ، لقد استمعت إليها جميعاً ، وأكثر ، لأن بعضها كان فيه من الأبيات ما لا يحتمله الوزن .

سيليا : هذا لايهم فالأوزان قد تحتمل الشعر .

روزالند : ولكن الأوزان كانت عرجاء فلم تستطع أن تحمل نفسها بدون شعر ، ومن هنا بدت عرجاء من ثنايا القريض .

سيليا : لكن أفلم تعجبى حينما سمعت كيف علق اسمك فى هذه الأشجار ونقش عليها .

روزالند : لقد تعجبت سبعة أيام من تسعة الأيام التى انقضت قبل مجيئك ، وحسبك أن تنظرى ما وجدت هنا على جزع نخلة ، فإنى لم أوت قط منذ عقد فيثاغورس ملكة الشعر كما أوتيتها الآن ، ذلك أننى كنت آنئذ مسحورة مرصودة[١] ، وهو حادث لا أكاد أذكره .

سيليا : أو تعرفين من فعل ذلك ؟

---

(١) لعل شيكسبير يشير هنا إلى ماكان الناس يعتقدونه من أن الساحرات الإيرلنديات كن قادرات أن يرصدن الإنسان أو الحيوان فلايستطيع حراكاً .

روزالند : أهو رجل ؟

سيليا : . . . وحول عنقه سلسلة ، كانت تحلى جيدك يوماً من الأيام ؟ ! مابال لونك قد تغير ؟ !

روزالند : بالله عليك من يكون ؟

سيليا : يا إلهى ! يا إلهى ! ما أشق أن يجتمع الأصدقاء ، ولكن الجبال قد تزول بفعل الزلازل فتتلاق !

روزالند : أجل ، ولكن من هو ؟

سيليا : أحقًّا لا تعرفين ؟

روزالند : أجل وإنى لأتوسل إليك بكل ما أوتيت من حرارة أن تخبرينى من يكون ؟

سيليا : عجباً ، عجباً ، أى عجب ! ثم هو من بعد ذلك عجب ، ومن فوق ذلك عجب يذهل العقول ويحير الألباب .

روزالند : رحماك يا وجهى ولا تكشف سرى ! أو تظنين أننى وقد اتخذت لنفسى زى الرجال قد أصبحت على شاكلتهم ؟ إن أقل تلكؤ منى فى الإجابة خليق بأن يوقعنى فى فيض من الأسئلة لاينتهى ، أرجوك أن تبادرى بإخبارى من ذلك الرجل . عجلى ! وددت أن يكون التلعثم من شيمتك ، حتى يفيض فمك باسم الرجل الذى تكتمينه كما تخرج الخمر من زجاجة ضيقة العنق ، فتتدفق جملة أو تضن بقطرة واحدة ، أرجوك أن ترفعى الغطاء عن

فمك ، حتى أرتشف من أنبائك . أهو مخلوق من صنع الله ؟ وأي صنف من الرجال هو؟ وهل رأسه جدير بقبعة وذقنه جديرة بلحية ؟

سيليا : أجل ، ليس له إلا لحية قصيرة !

روزالند : عجباً ، سوف يرزقه الله لحية أطول ، إذا شكر الله على نعمائه ، وسأنتظر حتى تنمو لحيته ، إذا أنت لم تخفى عنى أنباء ذقنه .

سيليا : إذن فاعلمى أنه الشاب «أورلاندو» الذى جندل المصارع كما صرع قلبك فى لحظة واحدة .

روزالند : ألا قاتل الله الهزل ! ليكن حديثك حديث الفتاة الجادة الصادقة .

سيليا : يا بنة العم إنه هو . أقولها مخلصة .

روزالند : أورلاندو ؟ .

سيليا : نعم ، أورلاندو

روزالند : ألا تعساً لهذا اليوم وما عساى أن أصنع بزى الرجال الذى أرتديه ؟ وماذا فعل هو عندما وقع بصرك عليه ؟ وماذا قال ؟ وعلى أية صورة كان ؟ وإلى أين ذهب ؟ وماذا يصنع هنا ؟ وهل سأل عنى ؟ وأين يقيم ؟ وكيف افترق عنك ؟ ومتى ترينه ثانية ؟ أجيبى فى كلمة واحدة .

سيليا : يجب عليك أول الأمر أن تعيرينى فم عملاق ، إنها كلمة واحدة ، ولكنها أضخم من أن يسعها فم أى إنسان فى هذا

العصر ، فإن الإجابة بنعم أولا فى مثل هذه التفاصيل لأشق من تعلم مسائل الدين بطريقة السؤال والجواب .

روزالند : ولكن ، أويعرف هو أننى فى هذه الغابة ، وأننى أتخذ زى الرجال ؟
وهل يبدو منتعشاً معافى كما بدا يوم المصارعة ؟

سيليا : ألا إنه لأهون على المرء أن يعد ذرات الهواء من أن يجيب عن أسئلة المحب ، فاستروحى نبأ عثورى ثم انعمى بهذا النبأ مستزيدة عن ملاحظتك . لقد وجدته جالساً فى ظل شجرة كما لو كان ثمرة من ثمار البلوط هبطت على الأرض .

روزالند : ربما أمكننا أن ندعوها شجرة جوبيتر[1] تلك التى تسقط مثل هذا الثمر !

سيليا : أصغ إلىّ ياسيدتى الجميلة .

روزالند : لتواصلى حديثك .

سيليا : هنالك وجدته منطرحاً على الأرض ممدود الجسد ، كما لو كان فارساً جريحاً .

روزالند : إنه لمنظر يضفى على الأرض جمالا ، وإن كان مرآه يدعو إلى الرثاء .

سيليا : أرجوْ أن تكفّى لسانك فإنه يشقشق فى غير ما روية ولا تبصر .

---

(١) كانت شجرة البلوط مقدسة عند جوبيتر.

لقد كان يبدو فى ثياب صياد .

روزالند : يا للنحس ! إذن فقد أتى ليشفى فؤادى .

سيليا : إنى لأود أن أغنى أغنيتى من غير أن يردّ ورائى أحد ، ذلك أنك تخرجيننى عن اللحن .

روزالند : أو تجهلين أننى امرأة ؟ وأننى متى فكرت تكلمت .. واصلى حديثك أيتها الحبيبة .

سيليا : لقد أخرجتنى عن لحنى ، فمهلا ! أليس هو ذلك الذى يقبل نحونا ؟

روزالند : إنه هو ، تنحَّىْ جانباً وارقبى حركاته !

(يدخل أورلاندو وجاك)

جاك : إنى أشكرلك صحبتك ، ولكنى وايم الله كنت أفضل الانفراد بنفسى .

أورلاندو : وأنا أيضاً كنت أفضل ذلك ، بيد أننى جرياً على مألوف الناس أشكرك على حسن صحبتك .

جاك : رعاك الله ، وأرجو ألا نتقابل إلا غراراً .

أورلاندو : بل إنى لأرغب أن يكون كل منا غريباً عن الآخر تماماً .

جاك : ورجائى إليك أن تعفى الأشجار من كتابة أغانيك الغرامية على لحائها .

أورلاندو : وأنا كذلك أرجوك ألا تفسد أشعارى بتلاوتها هذه التلاوة المنبئة

بجهالتك لمعناها .

جاك : روزالند هو اسم حبيبتك ؟

أورلاندو : نعم ، لقد أصبت .

جاك : إن اسمها لا يروق لى .

أورلاندو : لم يكن ثمة أى تفكير فى إرضائك عندما عمدوها .

جاك : وما طول قامتها ؟

أورلاندو : إنها تبلغ من الطول ما يرضينى .

جاك : إن جعبتك لمليئة بالأجوبة السديدة . فهلا تكون قد عرفت بعض نساء الصياغ فاقتبست منهن الأمثال التى تحفر على الخواتم ؟ !

أورلاندو : ليس الأمر كما تقول ، وإنما أجيبك مستعيناً بالأمثال والحكم المطبوعة على الأقمشة ، فإنى أراك قد نقلت أسئلتك منها .

جاك : إنك لحاضر البديهة ، حتى ليخيل إلىّ أن بديهتك قد قُدّت من خفة حركة أتالانتا[1] ، هلا جلست معى ؟ ولنأخذ معاً فى لوم سيدتنا الدنيا وننعى عليها كل ما رمتنا به من شقاء .

أورلاندو : لن أنحى باللائمة على أحد فى هذه الدنيا سواى ، ذلك أننى أعرف معظم أخطائى .

جاك : إن أشنع خطأ ارتكبته هو أنك تحب .

أورلاندو : إنه خطأ لن أستبدل به خير فضائلك . لقد ضقت بك ذرعاً !

---

(١) بطلة من بطلات الأساطير الإغريقية عرفت بخفة الحركة وسرعة العدو .

جاك : تالله إننى كنت أبحث عن أبله مجنون ، فلقيته .

أورلاندو : إنه قد غرق فى الجدول . وماعليك إلا أن تنظر فيه فتراه .

جاك : سأرى فيه وجهى أنا !

أورلاندو : وهو على ما أحسب وجه مجنون أو وجه رجل تافه !

جاك : لن أبقى معك أكثر مما بقيت ، وداعاً أيها الصب العزيز .

أورلاندو : إن رحيلك يسعدنى ، وداعاً أيها السيد المحزون المكتئب !

(ينصرف جاك)

روزالند : (مخاطبة سيليا على انفراد) سأتحدث إليه حديث الخادم السليط اللسان وأخدعه عن نفسى بظهورى بمظهر الغلام .
أو تسمعنى أنت ياساكن الغابة ؟

أورلاندو : أسمعك حق السمع ، ماذا تريد ؟

روزالند : كم الساعة ، من فضلك ؟

أورلاندو : كان ينبغى أن تسألنى أى وقت هذا من أوقات النهار ، فليس فى الغابة ساعات .

روزالند : إذن فليس فى الغابة محب صادق ، وإلا كان تنهده كل دقيقة ، وتأوهه كل ساعة ، خليقاً بأن ينبئ بسير الزمن بطىء الخطى كسير الساعة .

أورلاندو : ولم لا ينبئ بسير الزمن سريع الخطى ، أليس هذا القول صادقاً أيضاً ؟

روزالند : محال يا سيدى ، فالزمن يسير بخطى تختلف باختلاف الأشخاص وسأخبرك بمن يسير معهم الزمن سيراً سهلا ، ومن يخب بهم خبباً ، ومن يركض بهم ركضاً ، ومن يقف بهم لا يروم حراكاً .

أورلاندو : حدثنى بالله عمن يخب بهم الزمن ؟

روزالند : تالله إنه ليخب خبباً بغادة شابة ، ما بين عقد خطبتها ويوم زفافها ، فإذا كانت المهلة سبعة أيام فحسب فإن خطوة الزمن تكون من البطء حتى لتبدو المدة وكأنها سبع سنوات .

أورلاندو : وبمن يسير الزمن سيراً هيناً سهلا ؟

روزالند : تعس يجهل اللاتينية ، أو ثرى لايعانى من النقرس ، فالأول ينام فى يسر وسهولة لأنه لايستطيع أن يدرس ويبحث ، أما الثانى فيعيش عيشة هانئة مرحة لأنه لايحس ألماً ، أحدهما لايحمل أعباء العلم التى تضنى وتجعل صاحبها هزيلا نحيلا ، والآخر يجهل أعباء الفقر الشاقة المبهظة ، هذان يسير بهما الزمن سيراً هيناً سهلا .

أورلاندو : وبمن يركض الزمن ؟

روزالند : بلص يقاد إلى المشنقة ، فهو – وإن كان يسير مشفقاً مترفقاً بقدر ماتواتيه خطوته – يعتقد أنه لايلبث أن يبلغ النهاية .

أورلاندو : وبمن يقف الزمن لايروم حراكاً ؟

روزالند : برجال المحاماة فى عطلاتهم ، لأنهم ينامون بين الفصل والفصل ولايدرون كيف يمضى الزمن .

أورلاندو : وأين تقيم أيها الشاب المليح ؟

روزالند : أقيم هنا مع هذه الراعية التى هى أختى ، على مشارف الغابة التى تشبه الحاشية تلتف بقميص سيدة .

أورلاندو : أو من أهل هذا المكان أنت ؟

روزالند : نعم ، كذلك الأرنب الذى تراه يقطن حيث نشأ وترعرع .

أورلاندو : إن لهجتك فيها رقة لاتستطيع أن تكتسبها فى مثل هذا المكان المنعزل السحيق .

روزالند : لقد سمعت هذا الكلام من أناس كثيرين ، ولكن الحق أن عمًّا لى مسنًّا من أهل التقى والورع قد علّمنى كيف أتحدث ، وكان فى شبابه من أهل الحضر ، عرف حياة البلاط حق المعرفة ووعى حياة الغزل والتقرب من النساء ، فقد وقع هناك فى شرك الحب . ولقد سمعته يندد بهذه الحياة فى كثير من أحاديثه ، وإنى لأحمد الله أن لم يخلقنى امرأة فتمسنى تلك التهم المقذعة الكثيرة التى كان يلصقها بالجنس اللطيف كله من غير تفرقة .

أورلاندو : أو تستطيع أن تذكر شيئاً من الكبائر التى رمى بها النساء ؟

روزالند : لم يكن فيها شىء من الكبائر ، فقد كانت جميعاً كعملة نصف البنس يشبه بعضها بعضاً حتى إن كل خطيئة منها تبدو بمفردها رهيبة خطيرة إلى أن يقفيها بخطيئة أخرى توازى سابقتها هولا وخطراً .

أورلاندو : أرجوك أن تعيد على مسامعي بعضها .

روزالند : كلا لن أبذل دوائي إلا للمرضى : هناك رجل يأوى إلى الغابة ويتلف أشجارنا الصغيرة بنقش اسم «روزالند» على لحائها ويعلق أناشيد الغزل على فروعها ، وقصائد الرثاء على العوسج وكل هذه الأناشيد والقصائد تؤله – وأيم الحق – اسم روزالند ، فلو أنه تيسر لى أن ألقى تاجر الحب هذا ، لمحضته النصح ، فإنه على مايبدو لى مصاب بحمى الغرام تعاوده يوما بعد يوم .

أورلاندو : إننى أنا ذلك الذى أضناه العشق ، فأتوسل إليك أن تدلنى على دوائك .

روزالند : ليس يبدو عليك أثر من الآثار التى تعلمتها من عمى ، فقد علّمنى كيف أكشف سر المحب ، وإنى لواثق من أنك لست أسير الهوى .

أورلاندو : وماهى صفات المحب ؟

روزالند : أن يكون خده نحيلا ، وخدك غير نحيل ، وعيناه غائرتين يحف بهما السواد ، ولست على شىء من ذلك ، وأن تكون نفسه مستعصية ممتنعة على أى سؤال ، ولست على شىء من ذلك ، وأن تكون لحيته مهملة ، وليس هذا شأنك ، ولكنى أسامحك من أجل ذلك ، لأن نصيبك من اللحية هو نصيب الأخ الأصغر من الريع ، ثم يجب أن يكون جوربك مفكوك الرباط وقبعتك بدون شرائط ، وأكمامك محلولة الأزرار ، وحذاؤك مفكوكاً ، وكل

ما فيك ينبئ بحبك اليائس الذى حملك على إهمال شأن نفسك ولكنك لست هذا الطراز من الرجال ، فأنت أقرب إلى التأنق فى ملبسك ، كما لو كنت تحب نفسك أكثر مما تحب سواك .

أورلاندو : أيها الشاب المليح ، لكم أتمنى لو جعلتك تؤمن بأنى أحب .

روزالند : أنا أومن بما تقول ؟ وأحر بك أن تقنع تلك التى تحبها ، وإنى لأؤكد لك أنها أقرب إلى الإقناع بحبك منها إلى الاعتراف بهذا الحب ، وتلك هى إحدى القضايا التى تغالط النساء ضمائرهن فيها على الدوام . ولكن أصدقنى القول ، أو أنت الذى يعلق الأشعار على جذوع الأشجار ، وتبثها افتتانك بروزالند ؟

أورلاندو : أيها الشاب ، قسماً بيد روزالند البيضاء ، إننى هو ذلك الرجل ذلك الرجل التعس !

روزالند : أو تحبها ذلك الحب الذى تنطق به أشعارك ؟

أورلاندو : ما من شعر أو منطق يستطيع أن يصور مبلغ حبى .

روزالند : ما الحب إلا خيال وجنون ، وإنى لأنبئك بأن المحب يستحق أن يلقى به في غرفة مظلمة ويجلد بالسوط شأن المجانين ، وأما السبب فى أن المحبين لايعاقبون على هذا النحو ولا يشفون من علتهم فهو أن الجنون أصبح شيئاً مألوفاً حتى ليبتلى به الضاربون بالسياط أنفسهم . ومع ذلك أزعم أننى مستطيع أن أشفيك بالموعظة الحسنة .

أورلاندو : وهل شفيت من قبل قط إنساناً على هذا النحو؟

روزالند : نعم ، شفيت واحداً ، بهذه الوسيلة : فقد أردته على أن يتخيل أنني حبيبته ، بل خليلته ، وحملته على أن يغازلني كل يوم ، وكنت حينذاك شاباً أخرق مخنثاً ، متقلب الأهواء ، جمّ الشوق ، محبًّا ، فخوراً ، كثير الأوهام والخيالات ، فارغ العقل ، سطحي التفكير ، لا أثبت على رأى ، دامع العين ، كثير الابتسام ، وقد كان لى من كل عاطفة شىء ، ولم يكن لى فى الحق شىء من أية عاطفة ، شأني فى ذلك شأن الغلمان والنساء ، فكلهم على هذه الشاكلة : كنت أحبه حيناً وأبغضه حيناً ، أدنيه مرة وأقصيه أخرى ، أبكى عليه تارة وأبصق عليه تارة ، حتى أخرجت خاطبي من جنون الحب المتوهم إلى جنون الواقع الحق ، فانصرف عن خضم الحياة ليعيش فى ركن منعزل شأن الناسك الصادق . وهكذا شفيته ، وبمثل هذه الطريقة سوف أعمد إلى غسل كبدك وتطهيرها كما لو كانت قلب شاة بريئة ، فلا يبقى فيها أثر من آثار الغرام .

أولاندو : ولكنني راغب عن الشفاء أيها الفتى .

روزالند : بل سأشفيك إذا دعوتنى باسم روزالند ، وأتيت كل يوم إلى كوخى لمغازلتى .

أورلاندو : وَىْ ، إننى لفاعل بحق غرامى ، ولكن قل لى أين كوخك ؟

روزالند : اصحبنى إليه فأريك إياه ، ولسوف تخبرنى ونحن فى الطريق أين مقامك فى الغابة أو تذهب معى ؟

أورلاندو : بكل سرور أيها الشاب الكريم .

روزالند : كلا ، بل يجب أن تدعونى روزالند . هلمى أيتّها الأخت ، أو تذهبين معنا ؟

(ينصرفون)

* * *

المنظر الثالث

الغابة

(يدخل تتشستون وأودرى ، ومن خلفهما جاك)

تتشستون : أسرعى الخطى يا أودرى العزيزة ، وسأتولى أنا إحضار ماعزك خبريني يا أودرى أو لم أصبح بعد رجلك المختار؟ أو ترضيك بساطة سمتى ؟

أودرى : سماتك ! ألا فليحفظنا الله ! أية سمات تعنى ؟

تتشستون : إن موقفى هنا منك ومن ماعزك كموقف «أوفيد» الشاعر العف الشديد النزوات بين القوط[1].

جاك : (بينه وبين نفسه) يا للمعرفة بدت في غير موضعها أسوأ حالا من مقام «جوبيتر» فى بيت من القش ! .

تتشستون : إذا قال أحد شعراً واستعصى على العقول . أوبدرت من أحد ملحة بارعة لم يسعفها الفهم ، وهو ذلك الطفل البالغ قبل الأوان ، فإن ذلك يكون أقسى عليه وقعاً من مطالبته بأجر عظيم نظير إقامته فى غرفة حقيرة . لكم تمنيت على الله أن يخلقك شاعرية المزاج .

---

(١) «أوفيد» شاعر عذب الاسلوب واضح العبارة من أشهر شعراء اللاتين . وكان صديقاً للشاعرين الكبيرين فرجيل وهوراس .

أودرى : لست أدرى ماهى الشاعرية ؟ أهى الإخلاص فى القول والعمل ؟
أهى شىء حق ؟

تتشستون : كلا وايم الله ، فإن أصدق الشعر أمعنه فى الخيال ، والمجانين منجذبون بطبعهم إلى الشعر ، ولعل الأيمان التى يقسمون بها فى أشعارهم أوهام المغرمين .

أودرى : أو كنت تود إذن لو أن الآلهة خلقتنى شاعرية المزاج ؟

تتشستون : نعم كنت أود ذلك مخلصاً ، لأنك تقسمين لى أنك طاهرة فاضلة ، فلو أنك كنت شاعرة ، إذن لخالجنى بعض الشك فى أن تكونى واهمة .

أودرى : أولا ترغب فى أن أكون فاضلة طاهرة ؟

تتشستون : كذلك وايم الحق ، ما لم تكونى دميمة الملامح ، لأن الفضيلة إذا اقترنت بالجمال ، كانت كالشهد يتخذ مشهياً للسكر .

جاك : (بينه وبين نفسه) يا له من مجنون عاقل ! .

أودرى : ليكن ، فأنا لست جميلة ، ولذلك أبتهل إلى الآلهة أن تهبنى الطهر والعفة .

تتشستون : صدقت ، فإن إضفاء العفة على امرأة قذرة دميمة كوضع اللحم فى طبق قذر .

أودرى : ولكنى لست امرأة قذرة ، وإن كنت أحمد الآلهة على دمامتى .

تتشستون : إذن فالحمد للآلهة على دمامتك ، أما القذارة فقد تصيبك فيما بعد . ولكن ليكن ما يكون ، فإنى سأتزوجك ، ومن أجل تحقيق هذه الغاية قابلت السير أوليفر مارتكست ، قس القرية المجاورة ، الذى وعد بمقابلتى فى هذا المكان من الغابة لكى يعقد قراننا .

جاك : (بينه وبين نفسه) لشد ما يسعدنى أن أشهد هذا اللقاء .

أودرى : حسن ، فلتفئ علينا الآلهة البهجة والسرور .

تتشستون : آمين . فإن المرء قد يتردد فى بذل مثل هذه المحاولة ، إذا كان هياباً وجل الفؤاد ، إذ ليس أمامنا فى هذا المكان من معبد إلا الغابة ، ولا أناس إلا الوحوش ذوات القرن . ولكن ما الضير فى ذلك ؟ ألا فلنتذرع بالشجاعة ! صحيح أن القرون مذمومة مكروهة ، لكن لامناص منها ، وقد قيل : «كثير من الناس لايعرفون لممتلكاتهم حدوداً» وهذا حق ، فكثير منهم لهم قرون جيدة ولا يستطيعون لها حصراً ولا عداً ، وتلك هى البائنة التى تقدمها لهم زوجاتهم ، وليست شيئاً كسبوه هم أنفسهم ، قرون ، فليكن ، أهى موقوفة على الفقراء وحدهم ؟ كلا ثم كلا ، فإن أنبل الأيائل له من القرون الضخمة مالا نحقرها . ألهذا السبب يكون الأعزب سعيداً ؟ كلا ، فكما أن المدينة المسورة أعظم قيمة من القرية ، فإن هامة الرجل المتزوج أعظم شرفاً من جبين الأعزب العارى ، وكما أنه شتان بين رجل برع فى فن الدفاع ورجل خلا من هذه

البراعة فكذلك شتان بين رجل يستحلى بقرن ثمين وآخر خلو منه .
هذا هو السير أوليفر قادم !
(يدخل السير أوليفر مارتكست)
لقد سررنا لرؤيتك ياسير أوليفر مارتكست ، فهلا عقدت قراننا هنا فى ظل هذه الشجرة ، أو نتوجه معك إلى كنيستك ؟

سير أوليفر : أفليس هنا أحد يهب المرأة إليك ؟

تتشيستون : لن أتقبلها هدية من أحد .

سير أوليفر : تالله إنه لامناص من أن يهبها لك أحد ، وإلا كان الزواج باطلا .

جاك : (متقدماً نحوهما) استمر استمر ، سأهبها أنا له .

تتشستون : طاب مساؤك أيها السيد الكريم ، لعمرى ماذا يقال فى هذا المقام ، أيقال تشرفنا ياسيدى ؟ إنى لجد مغتبط بلقياك ، جزاك الله على صحبتك الأخيرة لنا . ما أسعدنى برؤيتك !
ومهما يكن من بساطة الاحتفال ، فإنى أرجوك يا سيدى أن تضع قبعتك على رأسك .

جاك : أو صحيح أنك ستتزوج أيها الأبله ؟

تتشستون : أجل يا سيدى ، فكما أن للثور نيره ، وللحصان لجامه ، وللبازى أجراسه ، فإن للرجل شهواته . وكما أن الحمام يتداعب بالمناقير فإن الزواج يغمز قلوب البشر غمزاً رقيقاً رفيقاً .

جاك : وهل تود ، وأنت الرجل الطيب النشأة ، أن تتزوج فى ظل شجرة

كما يفعل أى متسول ؟ اذهب إلى الكنيسة ودع قسيسا من فقهاء الدين يعلمك معنى الزواج الصحيح ، فإن هذا الرجل سوف يجمع بينكما كما يجمعون الألواح التى يبطنون بها الغرف ثم يتضح أن أحدكما كان كاللوح المتقلص يلتوى ثم يلتوى كأنه الخشب الأخضر.

تتشستون : (بينه وبين نفسه) لست أرى ذلك خيراً لى ، والأفضل عندى أن يزوجنى هو لاسواه ، فإنه حرىّ بألا يزوجنى زواجاً صحيحاً ، وإن أنا تزوجت زواجاً غير صحيح كان لى فى ذلك ذريعة قوية أتوسل بها فيما بعد إلى هجران زوجتى .

جاك : تعال معى ، ودعنى أبذل لك النصح .

تتشستون : تعالى يا أودرى الحبيبة ،
وداعاً أيها السيد الصالح أوليفر ،
ياأوليفر الرقيق ،
ياأوليفر الباسل ،
لاتخلفنى وراءك ،
ولكن
أولنا ظهرك ،
فاذهب إلى حال سبيلك ،
ولـن يكون زواجى على يدك . (يخرج جاك وتتشستون وأودرى)

٢٩٠
سير أوليفر : لست أحفل بهذا ، وهيهات لخبيث متقلب الأهواء منهم جميعا أن يسخر منى فيصرفنى عن مهنتى .

(ينصرف)

* * *

المنظر الرابع

الغابة

(تدخل روزالند وسيليا)

روزالند : لاتناقشيني أبداً ، فإني موشكة أن أبكي .

سيليا : أتوسل إليك أن تفعلي ، ولكنني أرجوك أن تدركي أن الدموع ليست من شيمة الرجال .

روزالند : ولكن ، أوليس لي عذر في البكاء ؟

سيليا : يا له من عذر وجيه يلتمسه المرء بحسب ما يشتهي ، فابكي إذن .

روزالند : إن شعره نفسه قد اتسم بطابع التصنع والرياء .

سيليا : إنه إلى حد ما أكثر حلوكة من شعر يهوذا ، أما قبلاته فإنها وايم الحق أشبه شيء بقبلات هذا اليهودي المصطنعة .

روزالند : الحق أن لون شعره جميل .

سيليا : لونه بديع ، ولكن لون شعرك الكستنائي فريد في بابه .

روزالند : ومذاق قبلاته مفعم بالطهارة والقداسة كمذاق الخبز المقدس .

سيليا : وله شفتان استعارهما من شفتين تخلت عنهما « ديانا » ، وقبلاته خالية من الطعم تزري بقداسة قبلات راهبة من الراهبات المتبتلات ، وفيها برودة العفة المأثورة عن تلك الراهبات .

روزالند : ولكن ، لم أقسم أنه قادم هذا الصباح ، ثم لم يف بقسمه ؟

سيليا : تالله إنه لايعرف الصدق .

روزالند : أو تظنين ذلك ؟

سيليا : نعم ، لست أحسبه نشالا أو سارق خيل ، بيد أننى أعتقد أن قلبه ، من حيث الإخلاص فى الحب ، خاو أجوف كالكأس الفارغة المغطاة ، أو البندقة نخرها الدود .

روزالند : أهو غير مخلص فى الحب ؟

سيليا : أجل ، متى وقع فى الحب ، أظن أنه لم يقع بعد .

روزالند : ولكنك سمعته يقسم بحرارة أنه كان صادقاً فى حبه ..

سيليا : إنه كان غير أنه يكون ، وفضلا عن ذلك فإن قسم المحب ليس أقوى من العهد يقطعه الساقى على نفسه ، فإن كلا منهما يخطئ فى الحساب ويؤكد أنه على صواب . إنه الآن هنا فى الغابة يخدم أباك الدوق .

روزالند : لقد قابلت الدوق بالأمس وتحدثت إليه طويلا ، فقد سألنى عن حسبى ونسبى ، فقلت له إن حسبى لايقل عن حسبه ، فضحك وصرفنى ، ولكن فيم حديثنا عن الآباء وعندنا رجل مثل أورلاندو ؟

سيليا : ياله من رجل لطيف ! ينظم أشعاراً لطيفة ، ويتحدث بعبارات لطيفة ، ويقسم أيماناً لطيفة ، ثم يحنث بها فى لطف ، مراوغ فى

النزال يتربع على قلب حبيبه . فهو كالمبارز القزم لاينخس جواده إلا فى أحد جنبيه ، فيكسر رمحه كما يفعل المناجز الغر المقدام ، على أن اللطف هو شيمة كل مايفعله هذا الشاب . والحماقة رائده ، من القادم إلينا ؟

(يدخل كورين)

كورين : سيدتى وسيدى ، لقد طالما سألتمانى
عن الراعى الذى يشكو من الحب ،
وقد رأيتماه جالساً بجوارى على العشب الأخضر
يطرى تلك الراعية الأبية المتعالية
التى كانت حبيبته .

سيليا : جميل ، وماذا جرى له ؟

كورين : إذا شئتما أن تشهدا منظراً صادقاً
لوجه أضناه الحب الصادق
ووجه احمرّ ازدراء وتوهج كبراً وتيهاً ،
فهلم إلى مكان قريب أرشدكما إليه ،
إذا كانت الرغبة تحدوكما إلى مشاهدة هذا المنظر .

روزالند : هلمى ، وهيّا بنا ،
فإنّ منظر العشاق غذاء للعاشقين .
اذهب بنا إلى ذلك المنظر ، إن لى شأنا عظيماً فى قصتها .

(ينصرفون)

المنظر الخامس

جانب آخر من الغابة

(يدخل سيلفياس وفيبى)

سيلفياس : حبيبتى فيبى ، لاتزدرينى ، لاتفعلى هذا يافيبى .
قولى إنك لاتحبيننى ، ولكن أعيذك أن تقولى ذلك
وأنت مفعمة مرارة ، فإن الجلاد العريق
فى مهنته الذى تحجر قلبه من كثرة رؤيته مشاهد الموت
لايترك فأسه تهوى على العنق الذليل
قبل أن يستأذن صاحبه ، فهل تكونين أشد قسوة من ذلك
الذى جعل من إراقة الدماء مهنته ورزقه ؟

(تدخل روزالند وسيليا وكورين من خلفهما)

فيبى : لست أريد أن أكون جلادتك ،
وإنما أنا أفرّ منك ،
حتى لا ألحق بك الأذى . أنت تقول إنك تقرأ فى عينى
أننى قاتلة ، حقًّا إن هذا لجميل ، بل هو جد محتمل ،
ألا ترى أن العيون التى هى أضعف وأرق ماخلق الله ،
العيون التى تغلق جفونها إشفاقاً من ذرات الغبار

يسميها الناس العيون الآسرة القاتلة الفتاكة !
أما وقد قلت هذا فسأعبس فى وجهك من كل قلبى ،
وإذا كان فى وسع عينىّ أن تجرحا ، فدعهما يقتلاك ،
ولتتظاهر . إذن بالإغماء ولتنطرح على الأرض ،
فإذا لم تستطع ، فواخجلتاه لك !
واخجلتاه !
أو تكذب وتقول إن عيناى قاتلتان !
أرنى ذلك الجرح الذى أحدثته بك عيناى ،
اخدش نفسك ولو بدبوس فيبقى بجسمك أثر لذلك
الخدش ، اتكئ ولو على شجرة من الأثل فإنّ الأثر والضغط
المحسوس لهذا الاتكاء ،
يبقى ظاهراً على راحة يدك هنيهة ، ولكنى أرى أن عينى
اللتين سددتا سهامهما إليك لاتؤذيانك ،
بل إنى لواثقة بأن ليس للعيون أية قدرة على الإيذاء .

سيلفياس : آه يا حبيبتى « فيبى » ،
لو قيض لك ، وقد يكون ذلك فى وقت قريب ،
أن ترى سلطان الحب ينال من خد طاهر برىء إذن لعرفت تلك
الجروح الخفية .
التى تحدثها سهام الحب الحادة .

فيبى : لا تدن منى حتى يحين ذلك الحين ،
فإذا حان ،
حق لك أن ترمينى بسخريتك ولا تترفق بى ،
لأننى لن أوليك شفقة حتى يحين .

روزالند : ولكن لم ذلك بربك ؟ ترى من تكون أمك
حتى تهينى هذا المسكين وتسرّى عن نفسك على حسابه ؟
أو ينبغى لك أن تكونى متكبرة ، خلا قلبك من الرحمة والشفقة
على الرغم من أننى وايم الحق لا أرى جمالك متألقاً
يغنى المرء عن الذهاب إلى فراشه ليلا من غير شمعة ؟
عجبى لك ! وما الذى تقصدينه بذلك ؟
ولم تنظرين إلىّ هكذا ؟ لست أراك أكثر من بضاعة مبذولة
أعدتها الطبيعة ليشتريها الناس كافة .
يا إلهى إنى لأحسب أنها ترمى شباكها حولى أنا أيضاً !
كلا وحق الله أيتها السيدة المتكبرة ، لاتدعى الأمل يخدعك ،
فلاحاجباك السوداوان ، ولا شعرك الفاحم الذى يحاكى الحرير
نعومة ،
ولامقلتاك الدعجاوان ، ولا خدك الناصع البياض كالقشدة .
يمكن أن تروض روحى على عبادتك .
فيم ملاحقتك لها .

كأنك الضباب يقبل من الجنوب مفعماً بالرياح والأمطار ؟
إنك وأنت الرجل أكثر منها وسامة بما لايقاس وهي المرأة. إن
الأغبياء من أمثالك هم الذين يملأون العالم بالأطفال
ذوي القيح والدمامل ، إنك أنت الذي تطربها
وتتملقها دون مرآتها ، وأنت الذي ترى في وجهك نفسها أجمل
بكثير مما تنمّ عنه أي من قسماتها . ولكن اعرفي نفسك أيتها
السيدة ،
ولتركعي على ركبتيك حمداً لله ،
وصلي له شكراً على ما أولاك من حب هذا الرجل الكريم ،
وإنه لمن واجبي أن أهمس في أذنك همسة الناصح المخلص ،
أن بيعي نفسك لأول طالب ، فلست بضاعة تصلح للعرض في
كل سوق ،
اطلبي من الرجل الصفح ، وأحبيه وقبلي اليد التي مدها إليك ،
فليس أقبح من القبح إلا قبح من يتهكم على الناس .
فخذها إليك أيها الراعي ، وداعاً !

فيبي : أيها الشاب اللطيف ، أتوسل إليك عاماً بأسره ،
فإنه لأفضل عندي أن أسمعك تزجرني من أن أسمع هذا الرجل
يغازلني .

روزالند : لقد عشق فيك قبحك ، وستعشق هي فيّ صورة غضبي ، فإذا

كان الأمر كذلك فإنها ما إن تبادرك بنظراتها العابسة ، حتى أصليها
بقارس الكلمات . لم تنظرين إلىّ هكذا ؟

فيبى : ليس ذلك لضغينة أكنها لك .

روزالند : أرجوك ألا تقعى فى شراك حبى ،
فأنا أشد كذباً من أيمان السكارى ،
ثم إننى لا أحبك ، فإذا أردت أن تعرفى منزلى
فإنه يتاخم أحراج الزيتون هذه .
فهلا انصرفنا يا أختاه ؟ ابذل فى مغازلتها ماوسعك من جهد .
وهلمى يا أختاه : وأما أنت أيتها الراعية ، فانظرى إليه نظرة أكثر
عطفاً ورقة ،
ولاتكونى متكبرة ، فلو استطاع أهل الأرض جميعاً أن ينظروا
إليك لما انخدع أحد بمرآك كما خدع هذا الرجل .
هلمى نلحق بقطيعنا .

(تنصرف روزالند وسيليا وكورين)

فيبى : ألا رحم الله الراعى[1] ، فقد لمست الآن الحكمة فى قوله « من ذا
الذى أحب ولم يحب من أول نظرة ؟ »

سيلفياس : أى فيبى العزيزة .

فيبى : إيه ، ماذا تقول يا سيلفياس ؟

---

(١) يقصد شكسبير بكلمة الراعى هنا الشاعر « كرستوفر مارلو » .

سيلفياس : أى فيبى العزيزة ، أشفقى علىّ وارحمينى .

فيبى : عجباً ، إنى لآسفة من أجلك يا سيلفياس ، أيها الرجل الكريم

سيلفياس : فما من كرب إلا يأتى بعده الفرج .

فإذا كنت تشفقين علىّ ، فيما ألاقيه من شقاء فى الحب .

فإنك لوهبتنى قلبك لبددت شقائى وأزلت أسباب شفقتك .

فيبى : لك حبى ، أوليس هذا دليلا على ودادى ؟

سيلفياس : وأنا لا أرضى إلا بك .

فيبى : عجباً ! إن هذا جشع منك

يا سيلفياس ، فقد كنت أكرهك ،

ومع ذلك أنا لا أحمل لك الآن حبًّا ،

أما وأنت لاتحسن الحديث عن الحب ،

فإنى سأحتمل صحبتك ، وإن كنت قد ضقت بها من قبل ،

ولسوف أستخدمك أيضا ،

ولكن لا تنتظر منى أن أكافئك على ذلك ،

وحسبك ما ينالك من سرور على خدمتك لى .

سيلفياس : إن حبى لك يبلغ من التقديس والكمال حداًّ عظيماً ، وإن كنت لا أحظى منك إلا بالقليل من العطف ، فإننى أعتقد أن نصيبى منه هو النصيب الأوفر ،

مع أنه لايعدو أن يكون البقية الباقية من سنابل متكسرة تخلفت

بعد أن جنى الزارع عماد محصوله . فتعطفي عليّ من حين إلى آخر ،
بابتسامة عارضة. أتخذها زادي الذى أعيش عليه .

فيبي : أو تعرف الشاب الذى تحدّث إليّ منذ هنيهة ؟

سيلفياس : لست أعرفه جيداً . ولكني قابلته كثيراً ،
فقد اشترى الكوخ والأرض
اللتين كان يملكهما الفلاح العجوز .

فيبي : لاتظنن أني أحبه ، وإن كنت أسأل عنه ،
فما هو إلا شاب صاحب بدوات ونزوات ،
غير أنه يجيد الحديث ، ولكن ماقيمة الكلمات عندى ؟
ومع ذلك فإن لها وقعاً حسناً متى أرضى المتكلم من يسمعونه ، إنه
شاب مليح ، ولكنه ليس مليحاً كل الملاحة ،
على أنه بلاشك متكبر ، وأن كبرياءه توائمه وتناسبه ، ولسوف
يغدو رجلا مكتمل الرجولة ، وأحسن ما فيه وجهه ، وأن ذلّ
لسانه
حتى تشفى عينيه إثر هذه الزلة ،
وهو ليس عظيم الطول إلا أن طوله يناسب سنه ،
أما ساقه فلا تستحق الذكر ، وإن كانت لابأس بها ،
وكانت تغشى شفته حمرة لطيفة ،
أنضج قليلا وأكثر اشتعالا بنار الشهوة

من تلك التي شابت خده .
ولقد كان الفرق بين اللونين كالفرق بين الأحمر المتسق والأحمر
المشوب بالبياض سواء بسواء ، ولعل من النساء يا سيلفياس من
لو رأينه
عضواً عضواً لأوشكن أن يقعن فى شرك هواه ،
أما أنا فلا أحبه ولا أبغضه ،
وإن كان لدى من الأسباب ما يجعلنى أبغضه أكثر مما أحبه ،
فمثلا ، ماذا جعله يتهجم علىّ ؟
لقد قال إن عينى سوداوان ، وإن شعرى أسود ،
وإنى لأذكر الآن أنه احتقرنى وازدرانى ،
وإنى لأعجب لمَ لمْ أرد عليه ،
ولكن ذلك لا يهمّ ، فإن الدَّين لا يسقط إذا لم يطالب به الدائن .
سأكتب إليه رسالة لاذعة ،
وستحملها أنت إليه . أو تفعل ياسيلفياس ؟

سيلفياس : سأفعل ذلك من كل قلبى ، يا فيبى !

فيبى : سأكتب فوراً ،
فإن فحوى الرسالة تملأ رأسى وقلبى ،
ستكون لهجتى لاذعة ، وعبارتى موجزة ،
هلم معى يا سيلفياس . (ينصرفان)

الفصل الرابع

المنظر الأول

الغابة

(تدخل روزالند وسيليا وجاك)

جاك : أرجوك أيها الشاب الوسيم أن تزيدنى معرفة بك .

روزالند : يقولون إنك رفيق كئيب منقبض النفس .

جاك : هذا حق ، فإنى أوثر الكآبة على الضحك .

روزالند : إن الذين يتطرفون فى الناحيتين أشخاص بغيضون ، يعرّضون أنفسهم لسخط الناس ، أكثر من السكارى .

جاك : الحق أنه من الخير أن يكون الإنسان حزيناً لايقول شيئاً .

روزالند : إذن فمن الخير اه أن يكون نُصُباً .

جاك : إن كآبتى ليست ككآبة رجل العلم تنبعث من المنافسة ، ولا ككآبة الموسيقى الحافلة بالأهواء والنزوات ، ولا ككآبة رجل البلاط ومصدرها الأنفة والكبرياء ، ولا ككآبة الجندى وسببها الأطماع والأطماح ، ولا ككآبة المحامى وأصلها الضرورة والاقتصاد ، ولا

ككآبة السيدة التى هى من سمات التأنق ، ولا ككآبة المحب التى هى مزيج من هذا كله ، ولكنها كآبة من طراز خاص بى ، مركبة من عناصر كثيرة ، ومستمدة من أمور شتى ، بل هى فى الحق تأملات متفرقة فى رحلاتى كثيراً ما يجرنى إنعام النظر فيها إلى الاستغراق فى حزن عجيب غاية العجب .

روزالند : رحالة أنت ؟ ! لعمرى إن لك الحق كل الحق فى أن تكون حزيناً ، وإنى لأخشى أن تكون قد بعت أرضك لتشاهد أرض غيرك ، ثم إنك إذ شاهدت الكثير وخلا منك الوفاض ، فقد أغنيت عينيك وأفقرت يديك .

جاك : نعم ، لقد ربحت تجاربى .

روزالند : وقد أورثتك تجاربك الحزن . إنه لخير لى أن آتى بمجنون يدخل السرور على نفسى من أن أكتسب تجربة تشيع الحزن فى قلبى ، فما بالك بالسفر فى كليهما !

(يدخل أورلاندو)

أورلاندو : طاب يومك ياعزيزتى روزالند و وحالفتك السعادة !

جاك : الله راعيك وأنت تتحدث هكذا شعراً بلا قافية .

(ينصرف)

روزالند : وداعاً أيها السيد الرحالة ، أحرص على لثغة لسانك ، والبس الملابس الأجنبية ، وجرّد بلادك من جميع المزايا التى تتصف

بها ، وأنكر وطنك ، بل اعترض على الخالق لأنه برأك على الصورة التي أنت عليها ، وإلا فسيخامرنى الشك فى أنك ركبت يوماً جندولا !

عجباً ! أهذا أنت يا أورلاندو ! وأين كنت طوال هذا الوقت أو تحسب نفسك عاشقاً ؟ ! إنك إن خدعتنى خدعة أخرى كهذه فحذار أن يقع بصرى عليك مرة أخرى !

أورلاندو : محبوبتى روزالند ، لقد جئت بعد ساعة من موعدى .

روزالند : أو تخلّف ساعة من موعد غرام ؟ إن الذى يقسّم الدقيقة إلى ألف جزء ثم يخلف جزءاً من هذه الأجزاء الألف فى شئون الحب ، قد يقال فيه إن كيوبيد قد أمسك بناصيته ، أما أنا فأقول إن قلبه سليم لم تدركه سهام الحب .

أورلاندو : أسألك الصفح ياعزيزتى روزالند .

روزالند : كلا ، فإنك لو دأبت على تأخرك فلا وقع عليك بصرى بعد الآن ، وإنه لخير لى أن يغازلنى قوقع !

أورلاندو : قوقع ؟

روزالند : أى نعم ، قوقع ، فهو — وإن كان بطىء السير — إلا أنه يحمل بيته على رأسه ، وذلك فى رأيى مهر أحسن ، مما يمكن أن تقدمه لامرأة ، ثم هو يأتى بمصيره معه .

أورلاندو : وما هذا ؟

روزالند : إنه يأتى بقرونه ، التى يسركم يا معشر الرجال أن تقدموا الشكر عنها لزوجاتكم ، ويأتى مسلحاً بثروته ، يدفع بها افتراءات زوجته .

أورلاندو : إن الفضيلة لاتخلق القرون ، وحبيبتى روزالند سيدة فاضلة شريفة .

روزالند : وأنا حبيبتك روزالند .

سيليا : إنه ليسره أن يدعوك بهذا الوصف ، ولكن له روزالند أخرى أملح منك وجهاً .

روزالند : هلمّ ، غازلنى ، غازلنى ، فإننى الآن فى حال يطيب لى معها المغازلة ، وأستجيب سريعاً لداعى الغرام . ماذا عساك أن تقول لى الآن لو كنت أنا حبيبتك روزالند حقًّا وصدقاً ؟

أورلاندو : كنت أقبّلك قبل أن أتكلم .

روزالند : كلا ، إنه لخير لك أن تتكلم أولا ، فإذا ارتج عليك ولم تجد شيئاً تقوله ، فنى استطاعتك أن تنتهز الفرصة وتختلس قبلة ! فإن فحول الخطباء ، إذا أرتج عليهم القول ، بصقوا ، أما العشاق فإنهم إذا أعوزهم القول – وقانا الله شر ذلك – لم يجدوا طريقة يدارون بها عجزهم أسلم من التقبيل .

أورلاندو : وكيف السبيل إذا أبت علىّ القبلة ؟

روزالند : إذن فهى تضطرك إلى أن تتوسل لها ، فتجد مادة جديدة للحديث .

أورلاندو : ومن ذا الذى يمكن أن يرتج عليه وهو فى حضرة فتاته المحبوبة ؟

روزالند : تالله ، لو كنت أنا حبيبتك لأرتج عليك القول ، وإلا حسبت أن عفتى أعرق من ذكائى .

أورلاندو : عجباً ! أو مبعثها طلبى الزواج من حبيبتى ؟

روزالند : إن الباعث عليها ليس مظهرك وإنما هو طلبك يدها . أفلست أنا حبيبتك روزالند ؟

أورلاندو : إنه لما يبعث السرور إلى نفسى أن أتوهم أنك روزالند ، لأن ذلك يجعلنى أدير الحديث عنها .

روزالند : جميل ، وباسمها أقول إننى لن أقبلك زوجاً .

أورلاندو : وإذن أقول باسمى إننى سأموت .

روزالند : كلا بالله ، ولتوكل من يموت عنك . إن عمر هذا العالم الحقير ستة آلاف عام أو نحوها ، ولم يحدث طوال هذه المدة أن مات امرؤ بشخصه ، أى بسبب الحب . لقد حدث أن هشم ترويلس رأسه بهراوة إغريقية ، إلا أنه كان قبل ذلك قد بذل ما فى وسعه لإزهاق روحه ، وهو مثلٌ يُضرب للعشاق ، أما «لياندر»[1]

---

(١) لياندر Leander شاب إغريقى من أبيدوس ، عشقته «هيرو» راهبة الإلهة فينوس ، ثم مات غرقاً .

فقد كان خليقاً أن يعيش عدة سنوات فى سعادة وهناءة ، على الرغم من أن « هيرو » كانت قد نذرت فنسها للرهبنة ، لولا ماكان من أمر تلك الليلة القائظة من ليالى منتصف الصيف ، فقد خرج فيها هذا الشاب الكريم ليستحم فى مياه بحر هيلين[1] فأدركه تصلب فى عضلاته فغرق ، وقد ذكر رواة هذا العصر الحمق أن « هيرو » السيستوسية[2] كانت السبب فى موته ، على أن كل هذه الأخبار من الأكاذيب ، فقد كان الموت يدرك الناس من حين ويأكلهم الدود ، ولكنهم لم يكونوا يموتون من الحب .

أورلاندو : لست أود أن تكون حبيبتى الحقيقية روزالند من هذا الرأى ، وإلا فإنى لعلى ثقة بأن تكشيرة واحدة منها توردنى مورد التهلكة .

روزالند : إذا كان قتلك بهذه اليد فهى لاتقوى على قتل ذبابة . ولكن ، دعك من هذا ، فإننى الآن سأكون حبيبتك روزالند على صورة أكثر تمشياً مع رغباتك ، فسلنى ماتشاء أهبه لك .

أورلاندو : إذن ، أجيبينى يا روزالند .

روزالند : تالله إنى لفاعلة ، فى أيام الجمع وأيام السبت وسائر الأيام .

أورلاندو : وهل ترضين بى زوجا ؟

---

(١) أى الهلسبونت وتعرف الآن بالدردنيل .

(٢) نسبة إلى سيستوس (Sestos) وهى بلدة من بلاد اليونان .

روزالند : أجل وأرتضى عشرين على شاكلتك .

أورلاندو : ماذا تقولين ؟

روزالند : أو لست رجلا طيبا

أورلاندو : أرجو أن أكون كذلك .

روزالند : عجبى ! أويتمنى المرء أن يصيب من الطيبات أكثر من حاجته ؟ هلمى يا أختاه ، ولتكونى أنت القسيس واعقدى قراننا . هات يدك يا أورلاندو . فما قولك يا أختاه ؟ .

أورلاندو : أتوسل إليك أن تعقدى قراننا.

سيليا : إنى أجهل الكلمات التى تتلى فى مراسم الزواج !

روزالند : يجب أن تبدئى هكذا : « أو تقبل يا أورلاندو »

سيليا : صه ، أو تقبل يا أورلاندو أن تتخذ من روزالند هذه زوجة لك ؟

أورلاندو : أقبل .

روزالند : جميل ، ولكن متى ؟

أورلاندو : عجباً ، الآن ، بأسرع ماتستطيع تزويجنا .

روزالند : إذن يجب أن تقول : « وأنا أقبل يا روزالند أن أتخذك زوجة لى »

أورلاندو : أقبل ياروزالند أن أتخذك زوجة لى .

روزالند : ربما سألتك من الذى خولك سلطة عقد القران ، ولكننى أقبل يا أورلاندو أن أتخذك زوجاً لى ، هاكم فتاة تنتظر القسيس ، ومن المحقق أن تفكير المرأة يسبق أفعالها .

أورلاندو : وكذلك جميع الأفكار فإن لها أجنحة .

روزالند : والآن ، خبرني كم من الوقت تود أن تستبقيها بعد أن امتلكتها ؟

أورلاندو : إلى الأبد ، وبعده بيوم .

روزالند : بل قل يوماً واحداً لاداعى لذكر الأبد . كلا ، يا أورلاندو ، لاتقل إلى الأبد ، فإن الرجال يبدون فى بهجة الزهر ورقته حينما يتغزلون ، وتجهم الشتاء واكفهراره حينما يتزوجون ، وأما الفتيات فيظهرون فى صفاء الربيع وصحوه وهن بعد عذارى ، ولكن طبعهن يتغير ويتبدل حينما يصبحن زوجات . لعمرى لأكونن أشد عليك غيرة من ذكر حمام الزاجل على أنثاه ، وأشد صياحاً وصخباً من الببغاء وهى تستقبل المطر ، وأشد ولوعاً من النسناس بكل جديد ، وأشد طيشاً فى رغباتى من القرد . أبكى فى غير ما داع للبكاء ، مثل ديانا[1] وهى تبكى عند النافورة ، أفعل ذلك عندما تجنح إلى البهجة والسرور ، وأضحك كالضبع حينما يداعب النوم أجفانك .

أورلاندو : ولكن أو تفعل ذلك حبيبتى روزالند ؟

روزالند : قسماً بحياتى إنها ستفعل ما أفعل .

---

(١) هى ابنة الإله جوبيتر . وكان أبوها قد أوصاها بعدم الزواج ، وجعلها ملكة على الغابات . وباغتها أكتيون ذات يوم وهى تستحم . فأطلقت عليه كلابها فنهشته وافترسته . وكانت فى الوقت نفسه مغرمة بالراعى أنديميون .

أورلاندو : عجباً ! ولكنها عاقلة .

روزالند : إن لم تفعل فإنها تكون محرومة من الذكاء الذى يعينها على ذلك ، فإن أعقل النساء أكثرهن عناداً وصلابة ، وإن حارس الباب الحصيف أعيته الحيل أمام ذكاء المرأة فإذا أغلق الباب تفر حيلها من النافذة ، وإذا أغلقت النافذة ، تسرب من ثقب المفتاح ، فإذا سدت الثقب انطلق من الدخان المنصرف من المدخنة .

أورلاندو : إن رجلا له امرأة بمثل هذا الذكاء ، لجدير بأن يقول : «إلى أين يقودك هذا الذكاء ؟ »

روزالند : كلا ، فإن الأحرى بك ألا تكبح جماح الذكاء عند زوجتك حتى تراه منطلقاً إلى فراش جارك .

أورلاندو : ولكن أى ذكاء مهما بلغ يستطيع أن يسوّغ هذه الفعلة ؟

روزالند : تالله لتقولن إنها جاءت تبحث عنك ، أما أنت فلن تأخذها بجريرة بدون أن تسمع أقوالها ، إلا إذا كنت قد تزوجتها خرساء بغير لسان .

أوه ، لعمرى إن المرأة التى لاتستطيع أن تتخذ من ذنبها فرصة لخداع زوجها غير جديرة بأن تقوم على تربية طفلها بنفسها ، وإلا فستربيه تربية الحمقى أو البلهاء !

أورلاندو : سأغيب عنك الساعتين القادمتين ياروزالند !

روزالند : واأسفاه ياحبيبى العزيز ، لا أستطيع قضاء هاتين الساعتين بدونك !

أورلاندو : يجب علىّ أن أقوم بخدمة الدوق على مائدة الغداء ، ولكن ما إن تحل الساعة الثانية حتى أكون قد عدت إليك .

روزالند : فليكن ، اذهب إلى حال سبيلك ، اذهب إلى حال سبيلك ، لقد كنت أعرف ماسيكون من أمرك ، لقد أخبرنى أصدقائى عنك بما فيه الكفاية ، ولم يكن رأيى دون رأيهم ، لقد أسرتنى بلسانك الحلو وألفاظه المعسولة ، إن هى إلا حياة أخرى انهارت فمرحبا بك أيها الموت ! أموعدك فى الساعة الثانية ؟

أورلاندو : نعم ، ياحبيبتى روزالند .

روزالند : أقسم بحق الله غير حانثة ، ليعوضنى الله خيراً ، وأقسم بكل الأيمان المغلظة غير المحرمة أنك لو نكثت بحرف واحد من وعدك ، أو أتيت بعد دقيقة واحدة من موعدك لأيقنت أنك أفجر المنكرين جميعاً جدارة بتلك التى تدعوها حبيبتك روزالند ، فاحذر لومى وتأنيبى ، واحرص على موعدك .

أورلاندو : سأبالغ فى الحرص عليه كما لو كنت حبيبتى روزالند حقًّا وصدقاً . فأستودعك الله .

روزالند : إى والله ، فإن الزمن هو ذلك القاضى الشيخ الذى يفصل فى أمر المذنبين الذين يقترفون مثل هذا الذنب ، ألا فليقض الزمن .

بحكمه . وداعاً .

(ينصرف أورلاندو)

سيليا : إنك إنما أسأت إلى بنات جنسك بعبثك فى أمور الحب ؛ وينبغى لنا أن نخلع عنك صدارك وجوربك ونكشف للعالم ماصنع الطائر بعشه .

روزالند : آه يابنة العم ، يابنة العم ، يابنة العم ، يابنة عمى الصغيرة اللطيفة ، آه لو عرفت إلى أى حد أنا غارقة فى الحب ! ولكن هيهات أن يعلم أحد مبلغ مانال منى ، فإن حبى بعيد الغور كخليج «البرتغال» لايعرف له قرار .

سيليا : لخير لك أن تقولى إنه بلا قرار ، فما تفيضى عليه من عاطفتك حتى يفيض .

روزالند : كلا ، ولكن ليعهد كيوبيد ذلك اللقيط الشرير من أبناء فينوس ، ربيب الكآبة والأهواء والجنون ، ذلك الغلام الأعمى الشرير الذى يخدع عيون الناس جميعاً لأنه حرم نعمة البصر ، ليشهد كم أنا غارقة فى الحب ، ألا فلتعلمى يا إليينا أننى لا أطيق البعد عن أورلاندو ، سأنطلق باحثة عن مأوى ظليل أزفر فيه وأتنهد حتى يعود .

سيليا : أما أنا فسأنام .

(تنصرفان)

المنظر الثانى

الغابة

(يدخل جاك واللوردات وحراس الغابة)

جاك : من ذا الذى قتل الغزال ؟

أحـــــد

اللوردات : أنا يا سيدى .

جاك : فلتقدمه هدية إلى الدوق كما كانوا يفعلون مع غزاة الرومان الفاتحين ، وإنه لمن الخير أن يزين رأسه بقرون الغزال كأنها إكليل من الغار ؛ ألا تحفظ ياحارس الغابة أغنية تناسب هذا المقام ؟

الحارس : بلى ، ياسيدى .

جاك : إذن غنها ، ودعك من لحنها مادامت تحدث من الجلبة ما فيه الكفاية .

(أغنية)

الحارس : بم يظفر ذلك الذى صرع الغزال ؟
يظفر بجلده ، فيرتديه ، وبقرونه فيلبسها
فلتغنوا له إذن ، وهو عائد إلى داره .

(يردد الباقون هذا المرجع)

لا تخجل من لبس القرن ، أوتستشعر شيئاً من الخزى ،
فقد كان شعاراً للأسرة قبل أن تولد ،
لبسه جدك لأبيك ،
ثم لبسه أبوك .
فالقرن ، القرن ، القرن الصلب ،
فإنه لايثير استهزاء ولاسخرية .
(ينصرفون)

* * *

المنظر الثالث

الغابة

(تدخل روزالند وسيليا)

روزالند : ما قولك الآن؟ ألم
تجاوز الساعة الثانية ، ولم يبد هنا أثر لأورلاندو؟ !

سيليا : أؤكد لك أنه قد حمل قوسه وسهامه ، والحب الطاهر يعمر
قلبه ، والقلق والاضطراب يساوران عقله ، ثم ذهب لينام .
انظرى ، من ذا الذى يقدم نحونا ؟

(يدخل سيلفياس)

سيلفياس : لقد أوفدت إليك فى مهمة أيها الشاب المليح ،
فإن حبيبتى فيبى حملتنى هذه الرسالة إليك ،
وليس لى علم بمضمونها ، بيد أننى استشففت
من تقطيب جبينها
وما اعتراها من حدة وقلق وهى تكتبها
أن الغضب يشيع بين سطورها . فالتمس عفوك ،
وما أنا إلا رسول لاذنب لى ولاجريرة .

روزالند : إن الصبر نفسه ليجفل من هذه الرسالة

ويترنّح جزعاً وفرقاً ، فإن هو احتملها احتمل ما عداها .
هى تقول : «إننى لست مليحاً ، وإن الأدب ينقصنى ، وهى
ترمينى بالكبرياء ، وتزعم أنها لاتستطيع أن تحبنى ،
ولو كان الرجال فى ندرة العنقاء ، رحماك ياآلهة السماء !
فإن حبها ليس بالصيد الذى أبتغيه ،
لماذا تكتب لى على هذا النحو؟ لعمرى أيها الراعى ،
إن هذه الرسالة من وضعك !

سيلفياس : كلا ! وإنى لأؤكد أننى لا أعرف فحواها ،
فقد كتبتها فيبى .

روزالند : هات هات ولاتخف ما فى نفسك ،
فيالك من مجنون غرق فى الحب إلى آذانه .
لقد رأيت يدها وكأنها الجلد المدبوغ ،
بدت فى لون أصفر ضارب إلى الحمرة ، حتى لقد دار فى خلدى
حقًّا
أنها كانت تلبس قفازها العتيق .
ومهما يكن من شىء فقد كانت يدها كيد ربة الدار ، بيد آن هذا
لا يهم ،
والذى أقوله هو أنها لم تنشئ هذه الرسالة أصلا ،
وإنما أنشأها رجل وخطها بيده .

سيلفياس : بل هى على التحقيق من صنعها .
روزالند : ولكن لم كان أسلوبها عنيفاً مراً ؟
أسلوب من يرمى القفاز ويتحدى . . . عجباً ! . . .
إنها تتحدانى كما يتحدى التركىُّ المسيحىَّ . إن عقل المرأة الرقيق
لا يمكنه أن يبدع مثل هذا الإنشاء العارم فى فظاظته وخشونته ،
وتلك الكلمات الحالكة حلوكة الأحباش ، كلمات وقعها أظلم
وأشد سواداً من مظهرها .
أتود أن تسمع الرسالة ؟
سيلفياس : إذا راق هذا لك ، فإننى لم أسمعها من قبل قط ،
وإن كنت قد سمعت الكثير عن قسوة فيبى .
روزالند : إنها تمثل دور فيبى علىّ ، انظر كيف تكتب الطاغية .
(تقرأ) أو تحسب أنك إلآهٌ تقمص روح راعٍ
ليضرم نيران الحب فى قلب فتاة ؟
أفى وسع امرأة أن تسخر على هذا النحو ؟
سيلفياس : أو تدعو هذا سخرية ؟
روزالند : (تقرأ) عـجبـاً ! هب أنك تخليت عن ألوهيتك
أكنت تستطيع أن تعبث بقلب امرأة ؟
أو سمعت بمثل هذا التهكم قط ؟
« إن عيون الرجل وهى تغازلنى

لا تستطيع أن تصيبنى بأى مكروه »
تعنى بذلك أننى وحش !
« إذا كانت نظرات الاحتقار التى تنطق بها عيناك المتألقتان ، لها
من السلطان مايبعث مثل هذا الحب فى قلبى ،
فآه من فعل عينيك إذا نظرتا إلىّ فى رفق وحنان !
لقد كنت تزدرينى فأحبك .
فكيف بروحى إذا سمعت توسلاتك وابتهالاتك ؟
إن الذى يحمل رسالة حبى إليك لايعرف إلا القليل عن هذا
الحب الذى تغلغل فى قلبى ،
فحمّله ردك مختوماً مطويًّا ،
وإذا طاوعك شبابك ورقة طبعك على قبول حبى ووفائى ، فأنا
لك وكل ماتملكه يدى ، وإلا فحمّله رفضك لهذا الحب ،
فأتدبر الوسيلة التى تخلصنى من هذه الحياة » .

سيلفياس : أو تسمى هذا تبكيتاً وتقريعاً ؟

سيليا : لهفى عليك أيها الراعى المسكين !

روزالند : أو ترثين له ؟ كلا ، إنه لا يستحق عطفاً ولا رثاء . أو تحب مثل هذه المرأة ؟ عجباً ، أتحبها لتتخذ منك آلة تلعب بك ماشاء لها الهوى ! إن هذا لايحتمله أحد . فليكن ، اذهب إليها فإننى أرى الحب قد جعلك رجلا شقيًّا بائساً ، ولتنقل إليها هذه الرسالة :

إذا كانت تحبنى ، فإنى أوكلها بحبك ، فإن لم تفعل فلن أتخذها
زوجة حتى تشفع لها أنت ، فإذا كنت محباً مخلصاً ، فأسرع إليها ،
ولاتنبس ببنت شفة ، فإن بعضهم مقبل علينا هنا .

(ينصرف سيلفياس)

(يدخل أوليفر)

أوليفر : طاب صباحكما أيها الشابان المليحان ، هلا تعرفان
في أطراف هذه الغابة
كوخ راع تحوطه حراج الزيتون ، فترشدانى إليه ؟

سيليا : إنه غرب هذا المكان ، أسفل هذا الوادى الذى يلينا ،
ولو أنك جعلت على يمينك صف أشجار الصفصاف التى تحف
بالجدول ذى الخرير
لبلغت الكوخ ،
ولكنك ستجده هذه الساعة خالياً لا يأوى إليه أحد .

أوليفر : لو أن عيناً أفادت أكثر من لسان ،
لوجب علىّ إذن أن أعرفك من أوصافك ،
فقد صدق من وصف ملابسك وقدر سنك : «إن الفتى مليح
عليه سيماء النساء ، ويبدو فى تصرفاته .
كأنه الأخت الكبرى ، أما الفتاة فقصيرة
وأشد سمرة من أخيها » أو لستما

صاحبى الدار التى أسأل عنها ؟

سيليا : أما وقد سألتنا فليس من دواعى فخرنا أن نقول : إننا صاحباها !

أوليفر : إن أورلاندو يبعث إليكما بتحياته ،
ويبعث بمنديله المخضب بالدماء إلى ذلك الشاب الذى يدعوه روزالند ! أو أنت هو؟

روزالند : أجل أنا هو ، وماذا عسى أن نتبين من هذا ،

أوليفر : مبلغ مالحق بى من خزى وعار إذا أصررتما على معرفة أى رجل أكون ؟ وكيف خضب هذا المنديل بالدماء؟ ولم ؟ وأين ؟

سيليا : أرجوك أن تقص علينا قصتك .

أوليفر : عندما غادركما أورلاندو الشاب آخر مرة ،
وعدكما بالعودة ثانية بعد ساعة ، وراح يجوس خلال الغابة متخذاً من حلو الحب ومره زاده وطعامه .
ولكن اسمعا ماذا حدث ! لقد حانت منه التفاتة ،
فإذا به يرى منظراً عجباً ،
رأى رجلا بائساً فى ثياب قد نما شعره وغزر ،
نائماً على ظهره فى ظل شجرة بلوط عتيقة ،
غطى الطحلب فروعها لكثرة مامر بها من سنين ،
وجف أعلاها وتعرى من الورق لفرط قدمها ، وقد التفت حول

رقبة الشيخ حية خضراء مذهبة ،
استخف الشر رأسها فاقترب من فمه المفتوح ،
ثم بغتت برؤية أورلاندو فتحللت من رقبته ،
وانسلت فى موجات إلى أجمة .
وكانت تقبع فى ظلال هذه الأجمة لبؤة قد نضبت ضروعها
نضوباً تاماً ، وحطت رأسها على الأرض ، وراحت كالنمر
تتربص .
بالرجل النائم أن يتحرك ، ذلك أن
من كريم طباع هذا الوحش ،
ألا ينقض على فريسة تبدو عليها سيماء الموت .
فما إن رأى أورلاندو ذلك حتى تقدم نحو الرجل
فإذا به أخوه ، بل أخوه الأكبر .

سيليا : يا للعجب ! لقد سمعته يتحدث عن ذلك الأخ نفسه ،
ووصفه بأنه ليس بين الناس من هو أشد منه شذوذاً وغرابة .

أوليفر : لقد كان على حق
إذ وصفه بهذا الوصف ، فأنا أعلم عن يقين أنه كان شاذًّا .

روزالند : ولكن لنعد إلى الحديث عن أورلاندو . أو ترك أخاه هناك
طعاماً لتلك اللبؤة الجائعة التى نضبت ضروعها ؟

أوليفر : لقد أدار ظهره مرتين وعزم أن يتركه ، أما والشفقة أنبل دائما من

الانتقام ،
والإحساس الطبيعى أقوى من الفرصة العادلة
التى تتيح للمرء أن يأخذ بثأره ، فقد تحول أورلاندو إلى مصارعة اللبؤة
فما لبثت أن خرت أمامه ،
واستيقظت على ضجة هذا العراك من غفوتى التى لم ألمّ بها .

سيليا : أو أخوه أنت ؟

روزالند : أو أنت الذى أنقذه أورلاندو ؟

سيليا : أو أنت الذى كثيراً مادبرت أمر قتله ؟

أوليفر : أجل لقد كنت أنا ، غير أنى لم أكن على مثل طباعى اليوم ،
ولست أستشعر خزياً
عندما أقول لكما كيف كنت ، لأن الانقلاب الذى طرأ علىّ
وجعلنى أبدو كما أنا اليوم ،
انقلاب حلو الطعم عذب المذاق .

روزالند : ولكن ماقصة ذلك المنديل الملطخ بالدماء ؟

أوليفر : رويدك ، لقد مسحت الدموع بيدها الرحيمة
ماذكرناه مما وقع لنا من أول الأمر إلى آخره ،
ومن ذلك كيف جئت إلى ذلك المكان المهجور .
وجملة القول أنه أخذنى إلى الدوق الكريم

فألبسنى ثياباً جديدة ، وأنعشنى ببعض المرطبات ، وأوصانى
بمحبة أخى .
ومالبث أخى أن قادنى إلى كهفه
ونزع عنه ملابسه ، فرأيت هنا على ذراعه
كيف نهشت اللبؤة بعض لحمه ،
الذى كان ينزف دماً طوال ذلك الوقت ، وعندئذ أغمى عليه
وصاح فى إغمائه
هاتفاً باسم روزالند .
وصفوة القول أنى أعدته إلى وعيه ، وضمدت له جرحه ،
وأفاق من غشيته بعد حين ،
فأوفدنى إلى هنا على الرغم من كونى غريباً عن المكان
لكى أنهى إليكما هذه القصة ، حتى تلتمسا له العذر
على إخلاله بموعده ، وأسلم هذا المنديل
المخضب بدمه إلى الراعى الشاب
الذى يسميه روزالند على سبيل المزاح .

(يغمى على روزالند)

سيليا : عجباً ! رماذا ، ألم بك ، يا جانيميد ! يا جانيميد العزيز !

أوليفر : إن كثيراً من الناس يغمى عليهم إذا رأوا الدماء .

سيليا : بل إن هناك سبباً أبعد من هذا . يا بن العم جانيميد !

أوليفر : انظرى إنه يستفيق !

روزالند : وددت لو كنت بالدار .

سيليا : ستقودك إليها .

أرجوك أن تأخذ بذراعه

أوليفر : تشجع أيها الشاب ، إنك رجل ! ولكن يعوزك جنانه !

روزالند : أعترف بأن ذلك يعوزنى : آه يا سيدى قد يظن أحد أننى قد أتقنت تمثيل دورى ، فأسألك أن تخبر أخاك كيف أتقنت التمثيل ، أواه !

أوليفر : لم يكن ذلك تمثيلا ، إن فى وجهك الشاحب لدليلا قويًّا على أن ما حل بك كان إغماء حقيقيًّا .

روزالند : إنه تمثيل ، أؤكد لك !

أوليفر : حسن إذن ، ولتكن قوىّ الفؤاد ومثل دور الرجل .

روزالند : وهذا ما أفعله ، ولكن لعمرى لقد كان أجدر بى أن أكون امرأة حقًّا .

سيليا : هلم ، إنك تبدو أشد شحوباً ، وإنى لأتوسل إليك أن نيمم شطر الدار ، تعال معنا أيها السيد العزيز .

أوليفر : هذا ما سأفعله ، إذ يجب أن أحمل معى الجواب شارحاً كيف قبلت عذر أخى ياروزالند ؟

روزالند : سأفكر فى شىء أجيب به ، ولكنى أرجوك أن تنقل إلى أخيك ماشاهدته من تمثيلى . هلا ذهبنا ؟ (ينصرفون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

الغابة

(يدخل تتشستون وأودرى)

تتشستون : سنجد من الوقت يا أودرى ما يسمح بعقد قراننا ، فصبراً أيتها العزيزة أودرى .

أودرى : الحق أن القسيس كان فيه الكفاية على الرغم من كل ما قاله الشيخ فيه .

تتشستون : إن السير أوليفر مارتكست ياأودرى رجل شرير موغل فى الشر ، دنيء ممعن فى الدناءة ! ولكن فى الغابة يا أودرى شابًّا يزعم أن له عليك حقًّا .

أودرى : نعم ، فإننى أعرف من هو ، وليس له حق علىّ أبداً ، هاهو ذا الرجل الذى تعنيه قادم .

(يدخل وليم)

تتشستون : إن رؤية مهرج هى عندى فى منزلة الأكل والشرب ، ولعمرى

إننا معشر الأذكياء موكلون بأمور كثيرة ، فلا مناص لنا من أن نسترسل فى الفكاهة لأننا لا نستطيع أن نكف عنها .

وليم : طاب مساؤك يا أودرى .

أودرى : وليسعد مساؤك يا وليم .

وليم : وليطب مساؤك أنت يا سيدى .

تتشستون : طاب مساؤك أيها الصديق الكريم . ضع قبعتك وغط بها رأسك . سألتك بالله أن تغطى رأسك . كم تبلغ من العمر أيها الصديق ؟

وليم : خمساً وعشرين سنة يا سيدى .

تتشستون : إذن فقد نضج سنك . أو تدعى وليم ؟

وليم : نعم يا سيدى ، وإنى لأحمد الله على ذلك .

تتشستون : « تحمد الله » هذه إجابة طيبة . أو أنت غنى ؟

وليم : يا سيدى إننى متوسط الحال .

تتشستون : « متوسط الحال » شىء جميل ، جميل جدًّا ، بل رائع ومع ذلك فهو ليس كذلك ، إنه لابأس به فحسب . أو أنت عاقل ؟

وليم : نعم يا سيدى ، فإن ذكائى لابأس به .

تتشستون : عجباً ! إنك تحسن القول ، وإنى لأذكر قولا مأثوراً هو : أن المجنون يحسب أنه عاقل ، ولكن العاقل يعلم أنه مجنون » . والفيلسوف الجاهل ، إذا أراد أن يأكل حبة من العنب ، فتح

شفتيه وهو يضعها فى فمه ، يعنى بذلك أن العنب قد خلق ليؤكل ، وأن الشفاه قد خلقت لتفرج . أو تحب هذه الفتاة ؟

وليم : نعم يا سيدى .

تتشستون : ناولنى يدك ، أو لست متعلماً ؟

وليم : كلا يا سيدى .

تتشستون : إذن فخذ عنى هذا ، امتلاكك الشىء هو استحواذك عليه ، وفى البلاغة مجاز يقول « إذا صببت الشراب من كأس فى كوب ، فإنك بملء أحدهما قد أفرغت الآخر » ، وكل كتابكم يوافقون على أن الكلمة اللاتينية « إيبس » معناها « هو » ، ولكنك لست أنت « إيبسى » بل أنا هو .

وليم : ومن « هو » يا سيدى ؟

تتشستون : إنه يا سيدى ، الرجل الذى يجب أن يتزوج هذه المرأة ، فعليك إذن أيها المهرج أن تمسك عن (وفى لغتكم العامية : تترك) صحبة (وفى لغتكم الريفية : رفقة) هذه الأنثى (وفى لغتكم الدارجة : المرأة) ولو ضربنا هذه الكلمات لكانت « أن تمسك عن صحبة هذه الأنثى » وإلا هلكت أيها المهرج . أو مت إذا شئت تعبيراً يزيدك فهماً . أو قل إنى قاتلك أو مزهق روحك ، أو ناقلك من الحياة إلى الموت ، ومن الحرية إلى الاستعباد ؛ سأستعين عليك بالسم ، أو بضربك بهراوة ، أو طعنك بالسيف ،

وستكون وسيلتى إليك بالمؤامرات أحيك أطرافها ، وأنا لك بالمكر والدهاء . سأقضى عليك بوسيلة من خمسين ومائة وسيلة ، ألا فلترتعد فرائصك ولترحل عن هذا المكان .

أودرى : افعل هذا أيها العزيز وليم .

وليم : أدام الله عليك نعمة السرور ياسيدى .

(ينصرف)

(يدخل كورين)

كورين : مولاى ومولاتى ، يبحثان عنك ، فهلمى هلمى !

تتشستون : عجلى يا أودرى ، عجلى ، وسأكون فى صحبتك ، سأكون فى صحبتك .

(ينصرفون)

* * *

المنظر الثانى

الغابة

(يدخل أورلاندو وأوليفر)

أورلاندو : أمن الممكن أن تحبها بعد هذه المعرفة القصيرة ، فلا تكاد تراها حتى تعشقها ، وما إن تحبها حتى تغازلها ؟ وتظل تغازلها حتى تلين لك ؟ أو أنك ستمعن فى مغازلتها حتى تحملها على الزواج منك ؟

أوليفر : لا تتحدث عن اندفاعي نحوها ، ولا عن فقرها ، ولا عن قلة معرفتى بها ، ولا عن حبى لها من أول نظرة ، ولا عن تقبلها لحبى فى التو واللحظة ، ولكن قل معى إنى أحب « إلىينا » ، وقل معها إنها تحبنى ، ولتصادق على ماارتبطنا به معا حتى يُسعد كل منا صاحبه ، فإن فى هذا منفعة لك ، ذلك أننى سأهبك بيت أبى وكل الدخل الذى يرد من أملاك والدنا المرحوم السير « رولاند » وسأعيش أنا هنا راعياً وأموت راعياً .

أورلاندو : ولقد نلت موافقتى ، وليكن زواجك غداً ، وسأدعو الدوق وكل من يقبل دعوتى من أتباعه إلى الحفل ، فاذهب وبلغ « إليينا » الخبر . انظر ، إن حبيبتى روزالند قادمة .

(تدخل روزالند)

روزالند : حفظك الله أيها الأخ ورعاك .

أوليفر : ليرعك أنت أيتها الأخت الحسناء[1] .

(يخرج)

روزالند : آه ياعزيزى أورلاندو ، لشد ما يحزننى أن تلف قلبك بوشاح !

أورلاندو : بل ذراعى .

روزالند : حسبت أن قلبك قد جرحته مخالب أسد .

أورلاندو : لا شك أن قلبى مجروح ، ولكن بعينى سيدة .

روزالند : هل أخبرك شقيقك كيف ادعيت الإغماء عندما أظهر لى منديلك ؟

أورلاندو : نعم ، وأطلعنى كذلك على ماهو أعجب من ذلك بكثير .

روزالند : وى ! إنى لأعرف إلام ترمى ، على أن كل ماروواه لك صحيح ، ولم يحدث شيء من ذلك مباغتة ، وما هو إلا تناطح كبشين ، وقول قيصر فى تفاخر ومباهاة : «جئت ، ورأيت ، وانتصرت ! » ذلك أن أخاك وأختى ما كادا يلتقيان حتى تلاقت نظراتهما ، وما إن تلاقت نظراتهما حتى تحابا ، وما إن تحابا حتى تنهدا وما إن تنهدا حتى أخذ كل منهما يسأل الآخر عن السبب ، وما كادا يعرفان السبب حتى أخذ يبحثان عن الدواء ، وبهذه الخطوات صنعا سلمين للزواج سيرقيانهما فوراً ، وهما الآن فى

---

(١) هكذا فى الأصل .

نشوة الحب وسكرته ، وسيلتئم شملهما ، وهيهات أن تفرق بينهما الهراوات نفسها .

أورلاندو : سيتزوجان غداً ، وسأدعو الدوق لحضور حفل القران . ولكن واأسفاه فلشد مايبعث على الحسرة أن أرى السعادة خلال عيني رجل آخر ، ولكنني سأعاني في الغداة من الحسرة والمرارة ماهو أشد وأنكى على قدر ماسيتملكني من الفرح والاغتباط عندما أرى شقيقي سعيداً بنوال مبتغاه .

روزالند : عجباً ، فهلا أستطيع غداً أن أمثّل لك دور روزالند ؟

أورلاندو : ماعدت أستطيع أن أعيش على الخيال .

روزالند : وإني إذن لا أستطيع أن أضنيك بعد الآن بحديث لاطائل وراءه . ألا فلتعرفني من ثم على حقيقتي ، وإني لمحدثتك حديثاً له غاية وهدف ، فقد علمت أنك سيد فاضل كريم المحتد ، ولست أقول ذلك لكي يحسن رأيك في معلوماتي لمجرد قولي إني أعرفك ، كما أنني لا أسعى إلى أن أظفر منك بتقدير أكثر من أن يحملك بعض الشيء على تصديق كلامي ، وأنا أبغي من وراء ذلك منفعتك ، ولا ألتمس شهرة لنفسي ، فأرجوك إذن أن تؤمني بي ، فإني أستطيع أن آتي بالعجائب ، فمنذ كنت في الثالثة من عمري خالطت ساحراً متضلعاً في فنه ، ولكنه لا يستأهل اللعنة . فإذا كان حب روزالند قد شغف فؤادك كما تنطق بذلك ملامحك ،

فإنك ستتزوجها عندما يتزوج أخوك من «إلبينا» . وإنى لأعلم بما تعانيه من ضيق رماها به القدر ، وليس بمستحيل علىّ ، إذا كان هذا لا يسوءك ، أن أجعلها تمثل أمام ناظريك غداً ، هى بعينها وصورتها الحقيقية ، من غير أن يكون فى ذلك أى خطر .

أورلاندو : أو تقول هذا جادًّا وفى كامل وعيك ؟

روزالند : أجل ، وأقسم على ذلك بحياتى ، وماهى على برخيصة ، وإن كنت أقول إننى ساحر ، فلترتد إذن أفخر ثيابك ، وأدع أصدقاءك لأنك ستتزوج غداً إن كنت تريد الزواج ، وستتزوج روزالند إذا كانت هذه هى رغبتك .

(يدخل سيلفياس وفيبى)

انظر ، هذه إحدى حبيباتى مقبلة فى رفقة حبيب لها .

فيبى : لقد أسأت إلىّ أيها الشاب إساءة بالغة .
إذا أطلعت الناس على الخطاب الذى كتبته لك .

روزالند : لا أبالى إذا كنت فعلت ، فقد تعمدت
أن أظهر بمظهر الحاقد عليك المسىء لك
فهاك راعياً مخلصاً يتعلق بأذيالك .
انظرى إليه بعين الاعتبار ، واشمليه بحبك فهو يعبدك .

فيبى : أيها الراعى الكريم ، قل لهذا الشاب ما هو الحب ؟

سيلفياس : الحب كله مخلوق من تنهدات ودموع ،

وهذا هو شأنى مع فيبى .

فيبى : وشأنى مع «جانيميد»

أورلاندو : وشأنى مع روزالند .

روزالند : أما أنا فليس هذا شأنى مع أية امرأة .

سيلفياس : الحب كله مخلوق من الإخلاص والمعروف ،
وهذا هو شأنى مع فيبى

فيبى : وشأنى مع «جانيميد» .

أورلاندو : وشأنى مع روزالند .

روزالند : أما أنا فليس هذا شأنى مع أية امرأة .

سيلفياس : الحب كله مخلوق من الخيال والأحلام ،
وجميعه من العاطفة والرغبات ،
ولحمته وسداه العبادة والواجب والاحترام ،
وجوهره التواضع والصبر ، والقلق ،
والطهارة ، والاختبار ، والاحترام .
وهذا هو شأنى مع فيبى .

فيبى : وشأنى مع «جانيميد» .

أورلاندو : وشأنى مع روزالند .

روزالند : أما أنا فليس هذا شأنى مع أية امرأة .

فيبى : إذا كان الأمر كذلك فلم تلومنى على حبى لك ؟

سيلفياس : وإذا كان الأمر كذلك فلم تلومينني لأنى أحبك ؟
أورلاندو : وإذا كان الأمر كذلك ، فلم تلومينني على حبى لك ! »
روزالند : لماذا تقول أنت أيضا « لم تلومينني على حبى لك ! »
أورلاندو : إنما أوجه خطابي إلى تلك التي ليست هنا ، ولا يمكنها سماعى .
روزالند : كفاكم بالله ما قلت ، ما مثلكم إلا كمثل الذئاب الإيرلندية تعوى إذا رأت القمر.
(إلى سيلفياس) سأساعدك إن استطعت ، (إلى فيبى) وسأحبك إذا كان ذلك فى مقدورى ، ألا فلتقابلونى جميعكم غداً ، (إلى فيبى) وسأتزوجك إن قدر لى يوماً أن أتزوج امرأة ما ، وسأتزوج أنا غداً . (إلى أورلاندو) وسأرضيك إذا قدر لى يوماً أن أرضى رجلا ، وستتزوج غداً . (إلى سيلفياس) وسأرضيك إذا كان مايسرك يرضيك ، وإنك لمتزوج غداً . (إلى أورلاندو) مادمت تحب روزالند فستلتقيان . (إلى سيلفياس) ومادمت تحب فيبى فستلتقيان . وما دمت أنا لا أحب أية امرأة فسألتقى بكم جميعاً وأستودعكم الله لقد بلغتكم أوامرى .
سيلفياس : لن أخلف الموعد إذا عشت .
فيبى : ولا أنا .
أورلاندو : ولا أنا . (ينصرفون)

* * *

المنظر الثالث

الغابة

(يدخل تتشستون وأودرى)

تتشستون : إن غداً ليوم سعيد ياأودرى ، فسيعقد قراننا غداً .

أودرى : إنى لأهفو إليه من كل قلبى . وأرجو ألا تكون رغبتى فى الزواج مما يخدش الحشمة ويخرج عن الأدب . هاك وصيفين من وصفاء الدوق المنفى مقبلين نحونا .

(يدخل وصيفان)

الوصيف الأول : ما أسعدنا بهذا اللقاء أيها السيد الأمين .

تتشستون : تالله إنى لسعيد به . هلما اجلسا .. أجلسا .. وأسمعانا أغنية .

الوصيف الثانى : سمعاً وطاعة ، ألا فلنجلس بيننا .

الوصيف الأول : هل نبدأ الغناء توًّا بدون أن نبصق أو نتنحنح ، أو نقول إننا نعانى من بحة فى الصوت ، وتلك مقدمات لا يجد من يغنى غيرها للاعتذار عن قبح صوته .

الوصيف الثانى : هيا بالله ، هيا بالله ، ولنغن نحن الاثنان لحناً واحداً كنوريين على ظهر جواد واحدا !

(أغنية)

كان محب وفتاته ،
ينشدان : هى ، هو ، هى نونينو
وقد اجتازا حقل القمح الأخضر ،
فى الربيع ، وهو الفصل الوحيد الجميل الذى يتبادل فيه المحبون
خواتم الزواج ،
عندما تغنى الطيور ، هى دنج . . آدنج . . دنج .
فإن العاشقين من أهل الرقة واللطف يحبون الربيع .
وبين حقول الجويدار ،
وعلى أنغام هى . . وهى . . نونينو ،
يضطجع هؤلاء القرويون أهل اللطف والظرف ،
فى وقت الربيع .
وقد بدأوا هذه الأغنية فى تلك الساعة ،
منشدين هى ، هو . هى نونينو ،
فما الحياة إلا زهرة تتفتح فى الربيع .
فاغنموا لحظتكم التى أنتم فيها ،
منشدين هى ، هو . . . هى نونينو ،
فإن الحب يبلغ عنفوانه ،
فى وقت الربيع .

تتشستون : الحق أيها الشابان أن كلمات الأغنية على مافيها من معنى قليل قد

خلا لحنها من الاتساق فبدا متنافراً أشد التنافر .

الوصيف الأول : أنت مخطئ يا سيدى . فلقد حافظنا على الإيقاع ولم نحد عنه .

تتشستون : تالله لقد حدتما عنه ، وإنى لأحسب أننا أضعنا وقتنا فى سماع مثل هذه الأغنية السخيفة . كان الله فى عونكما وأصلح من صوتكما هلم يا أودرى .

(ينصرفان)

* * *

المنظر الرابع

الغابة

(يدخل الدوق الكبير وأميينز وجاك وأورلاندو وأوليفر وسيليا)

الدوق : أو تظن ياأورلاندو أن فى وسع ذلك الشاب
تحقيق كل ماوعد به ؟

أورلاندو : أظن ذلك أحياناً ، ولا أظنه أحياناً أخرى ،
شأنى فى ذلك شأن أولئك الذين يتعلقون بالآمال ، وإن كانوا
يخشون ألا تتحقق .

(تدخل روزالند وسيلفياس وفيبى)

روزالند : اصبروا قليلا ريثما أقضى لكم ما اتفقنا عليه ،
أو لست تقول إنى إذا أتيتك بروزالند
وهبتها لأورلاندو الماثل أمامنا ؟

الدوق : هذا ما أنا فاعله ، ولو كانت لدى مما لك لأعطيته إياها معها .

روزالند : وأنت ، ألست تقول إنك ترتضيها زوجة إذا أتيتك بها ؟

أورلاندو : هذا ماسأفعله ولو كنت ملكاً على الممالك طراً .

روزالند : وأنت ألست تقولين إنك ستقترنين بى إذا أنا رغبت ؟

فيبى : هذا ما سأفعله ولو مت بعد ذلك بساعة

روزالند : ولكن إذا أنت رفضت الزواج منى ،
أو تقترنين بهذا الراعى الذى يخلص لك إخلاصاً لا إخلاص
بعده ؟

فيبى : هذا ما اتفقنا عليه .

روزالند : أو تقول إنك ترضى بفيبى إذا قبلت الزواج منك ؟

سيلفياس : حتى ولو كان حصولى عليها هو والموت سيان .

روزالند : لقد وعدت بأن أسوىّ هذا الأمر كله
أيها الدوق ، احفظ ما عاهدت نفسك عليه
بأن تهب ابنتك ،
وكن أنت ياأورلاندو عند قولك إنك سترتضى ابنته زوجة لك ،
وكونى أنت يا فيبى عند وعدك بأنك ستتزوجين منى ،
فإذا رفضت زواجى ، تزوجت من هذا الراعى .
ولتكن أنت عندما وعدت به يا سيلفياس من أنك ستقترن بها إذا
هى أبت الزواج منى ،
وهأنذا راحل من هنا
حتى أقطع الشك باليقين .
(تنصرف روزالند مع سيليا)

أورلاندو : لقد حسبت يا مولاى عندما شاهدته لأول مرة
أنه شقيق لابنتك .

ولكن هذا الغلام قد ولد فى الغابة يا مولاى الكريم ،
ثم تلقى على عمه
أصول كثير من الفنون التى تنطوى على الإقدام والمخاطرة .
وهو يقول إن عمه ساحر عظيم ،
يختفى فى رحاب هذه الغابة .
(يدخل تتشستون وأودرى) .

جاك : لاشك فى أن طوفاناً آخر يوشك أن يقع ، وأن هؤلاء الأزواج مقبلون على الفلك زوجاً فى إثر زوج : وهاك زوجاً من أغرب الوحوش تصفه جميع اللغات بالجنون .

تتشستون : السلام والتحيات لكم جميعاً .

جاك : ألا فلترحب بمقدمه يا مولاى الكريم . فهذا هو السيد المتقلب الأطوار الذى كثيراً ما التقيت به فى الغابة . وهو يقسم إنه كان من رجال البلاط .

تتشستون : لو أن هناك من يشك فى ذلك فليختبرنى . فلقد رقصت فى إحدى الحفلات الرسمية وغازلت سيدة ، وكنت ماكراً مع صديقى ، كيّساً ليناً مع عدوى ، وألحقت الخراب بثلاثة خياطين ، وتعاركت أربع مرات ، وأوشكت أن أبارز خصمى فى إحداها .

جاك : وكيف تصالحتما ؟

تتشستون : لعمرى لقد تلاقينا ووجدنا أن تعاركنا كان حول الجولة السابقة .

جاك : الجولة السابقة وكيف ؟ (مخاطباً الدوق) ألا فلتشمل بعطفك هذا الفتى يا مولاى الكريم .

الدوق : إنى أحبه حبًّا شديداً .

تتشستون : جزاك الله ياسيدى ، وإنى لأبادلك كريم عواطفك ، وقد حشرت نفسى يا مولاى فى زمرة هؤلاء الريفيين الراغبين فى الزواج ، وإنى لأقسم ثم أحنث بيمينى فأقول إن الزواج يربط بين القلوب ولكن الشهوات تفرق ما بينها ! إنها يا مولاى عذراء مسكينة ، دميمة الخلقة يا سيدى ولكنها امرأتى ، إنها نزوة من نزواتى القبيحة يا سيدى أن أحصل على مايزهد فيه أى رجل آخر . إن العفة النادرة كالبخيل يا مولاى تسكن المنزل الحقير ، وهى فى ذلك كاللؤلؤ تأوى إلى البحار القذرة .

الدوق : تالله إنه لحاضر البديهة سديد الإجابة .

تتشستون : إن ذلك يرجع يا مولاى إلى جواب المجنون الذى ينطلق كالسهم ، وإلى لغوه الممتع الثاقب .

جاك : ولكن لنتحدث عن الجولة السابقة ، كيف وجدت أن سبب العراك كان على الجولة السابقة .

تتشستون : كان العراك من أجل كذبة محققت سبع مرات – شدى قامتك يا أودرى فهو أصلح لشأنك – كان الأمر يا مولاى كما سأقول ،

فلقد أعربت عن نفورى من الطريقة التى يقص بها بعض رجال البلاط لحاهم ، فبعث إلىّ بكلمة يقول فيها إننى إذا كنت قلت إن لحيته لم تكن مقصوصة قصًّا حسناً فإنه يرى أنها كانت مقصوصة جيداً ، وهذا هو مايسمُّونه بالرد المهذب . ولو أننى أرسلت إليه مرة أخرى أقول : «إنها لم تكن مقصوصة قَصًّا حسناً » ، لأجابنى قائلا : «إنه قصها على ما يهوى ! » وهذا ما يسمونه بالتهكم المقتصد ، ولو أنى عدت من جديد وقلت : «إنها لم تكن جيدة القص » ، لأجاب بأننى جانبت الحق ، وهذا مايسمونه بالرد الخشن . ولو أننى عاودت الكرة وقلت إنها لم تكن مقصوصة قصًّا حسناً لأجابنى بأننى جانبت الصواب ، وهذا مايسمونه باللوم الجرىء . ولو أننى عدت فقلت إنها لم تكن مقصوصة قصًّا جيداً لأجاب بأننى كذبت . وهذا ما يسمونه صد المناجز ، ثم يستمر بنا الأمر حتى نصل إلى الكذب العارض ثم إلى الكذب المباشر.

جاك : وكم عدد المرات التى قلت فيها إن لحيته لم تكن مقصوصة قصًّا حسناً ؟

تتشستون : لم أجرؤ على مجاوزة الكذب العارض ولا هو جرؤ على أن يرمينى بالكذب المباشر ، ومن هنا كنا نصل إلى حد التهيؤ للمبارزة ثم نفترق .

جاك : أو تستطيع أن تردد على مسامعنا الآن درجات الكذب ؟

تتشستون : لعمرى يا سيدى إننا نتشاجر طبقاً للنصوص الواردة فى الكتاب . أما وقد توافر لكم كتب فى آداب السلوك ، فإنى ذاكر لكم درجات الكذب . وأولها الرد المهذب . وثانيها التهكم وثالثها الرد الخشن ، ورابعها اللوم الجرىء ، وخامسها صد المناجز ، وسادسها الكذب العارض ، وسابعها الكذب المباشر ! وكل هذه الدرجات مما يمكن تجنبه ما عدا الكذب المباشر . ومع ذلك فيمكن تجنب هذا أيضاً متى استعنا بلفظ الشرط « إذا » ، وقد اتصل بعلمى قصة سبعة من القضاة لم يفلحوا فى إصلاح ما اشتجر من نزاع بين خصمين ، فلما التقى الخصمان على انفراد فكر أحدهما فى استعمال لفظ « إذا » وحسب ، كقولك « إذا قلت كذا رددت عليك بكذا » ثم تصافحا وأقسما ليكونن صديقين أخوين ، إن قولك « إذا » هو الحل الوحيد لإصلاح ذات البين ألا ما أكثر فضائل لفظ « إذا » !

جاك : أو ليس هذا الرجل يا مولاى رفيقاً يندر أن تجد مثله ؟ إنه بصير بكل شىء ، ومع ذلك فهو مجنون .

الدوق : إنه يستخدم جنونه كفحل الخيل ، وتحت هذا الستار يطلق لذكائه العنان .

(يدخل هيمن وروزالند وسيليا) (موسيقى بطيئة ناعمة)

هيمن : إن الفرح يشيع فى السماء ،
عندما تتواءم المخلوقات
وتتفق فيما بينها ،
فيأيها الدوق الكريم تسلم ابنتك .
فإن « هيمن » قد هبط بها إليك من السماء ، أجل فقد أتى بها
إلى هنا ،
حتى تستطيع أن تعقد لها على ذلك الذى أسرت قلبه بين
جوانحها .

روزالند : (مخاطبة الدوق) إليك أسلم نفسى فأنا ملكك . (مخاطبة أورلاندو)
وإليك أسلم نفسى ، فأنا ملكك .

الدوق : إذا كانت الحقيقة ما أرى ، فأنت ابنتى .

أورلاندو : وإذا كانت الحقيقة ما أرى فأنت روزالند .

فيبى : وإذا كان المنظر والصورة صادقين ،
فوداعاً يا حبى .

روزالند : (إلى الدوق) لن يكون لى أب إذا لم تكنه ، (إلى أورلاندو) ولـن
يكون لى زوج إذا لم تكنه ، (إلى فيبى) لا ولن تكون لى زوجة إذا
لم تكونيها .

هيمن : صمتاً أيها القوم فإنى أمنعكم من إحداث أى ضوضاء ،
وإنه لواجب علىّ أن أختتم

هذه الحوادث الممعنة فى الغرابة ،
هاكم ثمانية يجب أن تتشابك أيديهم ليدخلوا فى زمرة هيمن إذا
كان الحق حقًّا ، (مخاطباً أورلاندو وروزالند) فأنت وأنْتِ لن يفرق
بينكما سوء ،
(مخاطباً سيليا وأوليفر) وأنت وأنتِ قد اجتمعتما قلباً إلى قلب ،
(مخاطباً فيبى) وأنت ليس لك إلا أن تقبلى حبه
أو تتخذى من امرأة زوجاً لك .
(مخاطباً تتشستون وأودرى) أما أنت وأنت فقد ارتبطتما برباط وثيق
كارتباط الشتاء بالجو العكر .
ألا فلننشد ترنيمة الزواج .
أما أنتم فأشبعوا نهمكم بالحديث
حتى يقل تساؤلكم
ويخف عجبكم من التقائنا على هذا النحو ، ومن النهاية التى
انتهت إليها الأمور .
(أغنية)
الزواج تاج «يونو»[1] العظيم ،
تباركت أيها الرباط المقدس الذى يجمع بين الأزواج على المائدة
وفى الفراش ،

---

(١) يونو (Juno) هى زوجة الإله «جوبيتر» .

إنهم حزب « هيمن » فى كل بلد ،
المجد ، المجد العظيم وذيوع الصيت ،
لهيمن ، إله كل مدينة .

الدوق : إيه يا بنة أخى العزيز .. مرحباً بك بين ظهرانينا ،
ولو كنت ابنتى لما قل ترحيبى بك عن ذلك .

فيبى : (مخاطبة سيلفياس) لن أنكث وعدى ، وأنت الآن لى ، فإن ثباتك
على حبى يربط أحلامى بأحلامك .

جاك دى بويز: اسمحوا لى أن أقول كلمة أو كلمتين ،
إنى الابن الثانى للمرحوم السير رولاند ،
وأنا الذى أحمل الأنباء إلى هذا الحفل الجميل .
لقد ترامت الأخبار إلى الدوق فردريك بأن رجالا من ذوى
المكانة يلجأون كل يوم إلى هذه الغابة
فجهز جيشاً قويًّا
سار على رأسه ، معتزماً
مباغتة أخيه هنا وحمله على القتال
حتى يقتله ، فلما بلغ أطراف هذه الغابة المتوحشة
التقى بناسك من النساك ،
استطاع بعد حديث قصير أن يصرفه عن غرضه
بل عن الإقبال على الدنيا

متنازلا عن تاجه لأخيه المنفى ،
كما قرر أن يرد إلى جميع الذين صحبوا أخاه
فى المنفى كل ما كان قد استولى عليه من أراضيهم .
وإنى لأقسم بحياتى إن هذا الذى قلت هو الحق .

الدوق : مرحباً بك أيها الشاب ،
إنك تقدم لأخويك هدية ثمينة فى حفل زواجهما .
فتهدى لأحدهما أرضه التى صودرت ، وتهب الآخر
ملكاً مترامى الأطراف ، بل دوقية لها طول وطول .
وأول ما يجب أن نفعله الآن فى هذه الغابة هو أن نحقق الأغراض
التى كان التوفيق حليفنا فى الشروع فيها وفى رسمها ،
ثم إن كل فرد من أفراد هذا الجمع السعيد ،
الذى كابد معنا أياماً وليالى عصيبة
سينال نصيبه من أملاكنا
التى ردت إلينا ، كل بحسب ما كان يملك من أرض
ولننس الآن ذلك الذى نزل أخيراً عن عرشه .
ولنأخذ فى مرحنا ولهونا البرىء .
هلموا اعزفوا الألحان ، وأنتم أيها العرائس والعُرْس جميعاً يا من
شربتم كأس السعادة حتى الثمالة ارقصوا على نغمات الموسيقى .

جاك : مولاى عفوك ، فإنى – إذا لم يكن قد خاننى سمعى –

قد فهمت أن الدوق انقطع للنسك والعبادة ،
وتخلى عن أبهة البلاط وعظمته .

جاك دى بويز : نعم ، لقد فعل ذلك .

جاك : سأسعى إليه ، فإن لدى أولئك الذين يرتدون إلى أحضان الدين كثيراً مما يجدر بالمرء سماعه ومعرفته . (مخاطباً الدوق) وإنى لأترك لك العودة إلى سابق مجدك .
فإنك لجدير بما نلت لصبرك وفضائلك .
(مخاطباً أورلاندو) أما أنت فأتركك للحب الذى يستأهله إخلاصك الحق .
(مخاطباً أوليفر) وأنت إلى أرضك وحبك وأصدقائك العظام و (وإلى سيلفياس) وأنت إلى فراش مقيم نلته بجدارة .
(مخاطباً تتشستون) وأما أنت فإلى مخاصماتك ، فإن رحلة حبك لن تستمر أكثر من شهرين ، ألا فانصرفوا إلى لهوكم ،
أما أنا فإن لى شأناً غير نغمات الرقص .

الدوق : بل أقم يا جاك . . وابق معنا .

جاك : سأبقى ، لا لقطع الوقت ، ولكن لأعرف ماتريده منى فى كهفك المهجور . (ينصرف)

الدوق : هلموا . . هلموا . . سنشرع فى إقامة هذه الشعائر ، (رقصة)
ونرجو أن تنتهى فى فرح وبهجة صادرين من القلب .

الخاتمــة

روزالند : ليس من المألوف رؤية سيدة تلقى كلمة الختام ، ولكن ذلك ليس أشد غرابة من رؤية سيد يلقى كلمة الافتتاح . وإذا صح بأن الخمر الجيدة لاتحتاج إلى إعلان ، فإن التمثيلية الجيدة لاتحتاج إلى ختام . ومع ذلك فإنهم يستخدمون الإعلان الجيد عن الخمر الجيدة ، كما أن التمثيليات الجيدة تزيد حسناً بكلمات الختام الجيدة . فماذا يكون موقفى منكم إذن وأنا لا أستطيع أن أهيئ لكم خاتمة جيدة ، أو أستدر عطفكم على تمثيلية جيدة ، وإنى لأرتدى ثياب المتسولين ، ولذلك فإن استعطافى لكم لا يليق بى ، وإن سبيلى إليكم هو أن أهيب بكم . وهأنذى أبدأ بمخاطبة السيدات : إنى لأطالبكن أيتها السيدات ، بحق ما تضمرون للرجال من حق ، أن تحببن من هذه التمثيلية ما يروق لكن . كما أطالبكم أيها الرجال ، بحق ماتضمرن للنساء من محبة – وإنى لألمح فى تهافتكم عليهن أن أحداً منكم لا يكرههن – أن تشاطروا النساء الإعجاب بهذه المسرحية . فلو كنت امرأة[1] لقبلت أكبر

(١) كان الشبان يقومون بأدوار النساء فى عهد « شيكسبير » وقد ألقى كلمة الختام الشباب الذى قام بدور روزالند .

عدد يرضيني من اللحى وأكبر عدد من الوجوه التي تروقني والأنفاس التي لا أنفر منها . وإني لواثقة أن الكثيرين من أصحاب اللحى الجميلة والوجوه المليحة والأنفاس العطرة . سيجازونني على ذلك العرض الكريم الذي عرضته فيحسنون ودادي وأنا أنحني انحناءة التحية والاهتمام .

فهرس المسرحيتين

رقم الإيداع	١٩٨١/٢٩٤٤
الترقيم الدولى ٩٧٧-٧٣٤٦-٧٠-٠	ISBN

١/٧٣ /٣٠٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

